المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
الدراسات العليا - قسم العقيدة

الشيخ محمد أنور شاه الكشميري وآراؤه الاعتقادية (عرضًا ونقدًا)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد
الطالب/محمد عبد الله فاروق أنصاري

إشراف
فضيلة الشيخ الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فهذه نبذة مختصرة عن محتويات الرسالة، وهي كالتالي:-

العنوان: الشيخ محمد أنور شاه الكشميري وآراؤه الاعتقادية عرض ونقد.

تنقسم الرسالة إلى مقدمة، وبابين، وخاتمة، وفهارس.

أما المقدمة فهي تشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وخطة ومنهج البحث.

والباب الأول يشتمل على دراسة حياة الشيخ الكشميري، وهو يتضمن تمهيداً وسبعة فصول.

أما التمهيد فهو يشتمل على ذكر النهضة في العلوم الشرعية في الهند في عصر الشيخ الكشميري. والفصول تشتمل على ذكر عصر الشيخ الكشميري من الناحية السياسية والعلمية والاجتماعية، موطنه، اسمه ونسبه، مولده ونشأته، أشهر شيوخه وتلامذته، ثقافته ومؤلفاته، مكانته العلمية والاجتماعية، وفاته، ثناء العلماء عليه.

وأما الباب الثاني فهو يشتمل على دراسة آرائه الاعتقادية ومقارنتها بآراء علماء أهل السنة والجماعة، ومدى موافقتها لها أو مخالفتها، وهو يحتوي على عشرة فصول، تتناول هذه الفصول الاستدلال على وجود الله، وصفات الله تعالى، ورؤية الله تعالى، والقضاء والقدر، وأفعال العباد، والإيمان والإسلام، وقضية التكفير، وختم النبوة مع الردّ على القاديانية، وأشراط الساعة، وعذاب القبر، والشفاعة.

وتبين من خلال دراسة هذه الآراء أن الشيخ الكشميري لم يتعرض لذكر بعض القضايا بالصراحة؛ واكتفى بالإشارة إليها، وذهب في الصفات الخبرية إلى التأويل، وقال بالكسب في أفعال العباد، وأرجع الخلاف في قضية الإيمان إلى خلاف لفظي، وأثبت مبدأ ختم النبوة مع الرد البليغ على القاديانية قلماً ولساناً، كما أثبت أشراط الساعة وعذاب القبر، والشفاعة، ورد على من أنكرهما.

وأما الخاتمة فهي تتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، ثم أتبعت الرسالة **بفهارس مفصلة.**

ومن خلال الدراسة تبين لي أن الشيخ محمد أنور شاه الكشميري كان علماً من أعلام العلماء بالهند. وله خدمات جبارة مشكورة في خدمة نشر الدين، ومحاربة الفتنة القاديانية، والحفاظ على العقيدة. وإن كان متأثراً بالأشاعرة والماتريدية في بعض آرائه الاعتقادية.

وأسأل الله العلي القدير أن يتقبل مني هذا العمل، ويجعل في موازين حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الطالب	المشرف	عميد كلية الدعوة وأصول الدين
محمد عبد الله فاروق أنصاري	د. أحمد عبد الرحيم السايح	د. محمد طاهر بن عبدالرحمن نورولي

كلمة شكر وتقدير

الحمد لله الذي وفقني وأعانني لإتمام البحث، فهو الذي بيده العون، ومنه التوفيق والسداد. وبعد:

فاعترافًا بالفضل والكرم لذويه وإيمانًا بقول الله عز وجل: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[١]. واستجابة لقول الرسول ﷺ: «من صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه به فادعوا له حتى تروا أن قد كافأتموه»[٢]. وقوله ﷺ: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»[٣] أتقدم بخالص الشكر وعظيم التقدير لأستاذي الجليل فضيلة الشيخ الدكتور/ أحمد عبد الرحيم السايح حفظه الله ورعاه، الذي تولّى الإشراف على هذا البحث، فكان لتوجيهاته السديدة، وتشجيعه المستمر، وخبرته الطويلة في هذا المجال أكبر الأثر في إنجاز هذا البحث، وإخراجه إلى حيز الوجود بعد فضل الله تعالى، فقد أعطاني الكثير من أوقاته برحابة صدره، وطلاقة وجهه، ودماثة أخلاقه، إذ لم يكن يقتصر -حفظه الله- على ساعات الإشراف من الأوقات الرسمية المحدودة، بل كان يستقبلني في منزله متى شئت بوجه مشرق، ونفس راضية، ووفر لي بعض المصادر والمراجع من مكتبته الخاصة، فجزاه الله خير الجزاء في الدارين.

كما أتقدم بخالص الشكر لجامعة أم القرى ممثلة في القائمين عليها، وأخص منهم بالذكر معالي مدير الجامعة، وعميد الدراسات العليا، وعميد كلية الدعوة وأصول الدين، ورئيس قسم العقيدة، وموظفي عمادة الدراسات العليا، والكلية، فقد قاموا بما يجب عليهم نحو الطلاب خير قيام، وحرصوا

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٢) رواه أبو داود في سننه في كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله عز وجل ٢/ ٣١٠.

(٣) رواه الترمذي في سننه في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ٤/ ٣٣٩.

على تقديم كل ما يساعدهم على أداء مهمتهم .

كما لا يفوتني أن أتقدم بوافر الشكر وعظيم التقدير إلى الأستاذين الكريمين الفاضلين فضيلة الشيخ سعادة الدكتور محمد يسري بن جعفر، وفضيلة الشيخ سعادة الدكتور عبد اللّه بن عمر الدميجي حفظهما اللّه اللذين تفضلا بالموافقة على قبول المناقشة لهذه الرسالة .

كما أشكر كل من أسهم في إنجاز هذا البحث من التوجيه والطباعة والدعاء، فلهؤلاء جميعًا أتقدم بخالص الشكر داعيًا اللّه سبحانه تعالى أن يجزيهم أحسن الجزاء .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وحبيبه، بلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأمة، وتركها على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، وجاهد في سبيل الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١).

﴿يَـٰأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٢).

﴿يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيمًا﴾(٣).

أما بعد:

فقد بعث الله تعالى نبيه وحبيبه محمداً ﷺ برسالته عامة شاملة عالمية، رسالة الإسلام، وأكمل به الدين وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام ديناً، كما قال عز وجل:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠-٧١.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾[١].

قام رسول الله ﷺ بتبليغ رسالته إلى كافة الناس، دعاهم إلى عبادة الله وحده، وإفراده بالربوبية والألوهية، وعدم الإشراك به، وبَيّنَ لهم حسن العاقبة إن أجابوا، وسوء العاقبة إن تمادوا في غيّهم وضلالهم.

فوفق الله لإجابة دعوته المباركة من شرح الله صدره للإيمان، وتلقاها بالقبول والتسليم، وقد مضى زمن الرسول ﷺ والمسلمون على عقيدة واحدة، ظلت -بفضل الله تعالى- صافية نقية سليمة، كما جاءت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. يصور لنا ابن القيم -رحمه الله- ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من اتفاق في مسائل العقيدة قائلا:

«قد تنازع الصحابة في كثير من الأحكام، وهم سادات المؤمنين، وأكمل الأمة إيمانًا، ولكن -بحمد الله- لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال، بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة من أولهم إلى آخرهم، لم يسوموها تأويلاً، ولم يحرّفوا عن مواضعها تبديلاً، ولم يبدوا لشيء منها إبطالاً، ولا ضربوا لها أمثالاً، ولم يدفعوا في صدورها وأعجازها، ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها، وحملها على المجاز، بل تلقوها بالقبول والتسليم، وقابلوها بالإيمان والتعظيم»[٢].

هذه هي الصورة الصادقة التي عاش عليها المسلمون الأوائل، فظلوا على عقيدة واحدة، إلا أن مجريات التاريخ أحدثت أمورًا تعرضت جوانب العقيدة الإسلامية فيها إلى كثير من صور التأويل والتشبيه، والتعطيل والتجسيم، الأمر الذي أبعدها عن نقائها وصفائها، وذاقت الأمة بسبب ذلك الفوادح

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) إعلام الموقعين، لابن قيم الجوزية ١/ ٤٩.

الكثيرة، لا سيما بعد ظهور مدرسة علم الكلام وحركة الترجمة لكتب المنطق والفلسفة اليونانية. فقد كان لها الأثر الكبير في زعزعة الأفكار وبلبلة المفاهيم.

إلا أن اللّه عز وجل -رحمةً بهذه الأمة- قيض لها من أبنائها -في حلقات متصلة- من حفظ لها تراثها، وتوفر على شرح قواعد عقيدتها، ونفى كل دخيل عليها.

وفي الحديث «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر اللّه وهم ظاهرون»[١].

وهذه الطائفة هم العلماء والمجاهدون الذين ينشرون الخير، وله يحرسون، فإن هذا العلم يحمله من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين.

ومن هؤلاء العلماء الأعلام الشيخ محمد أنور شاه الكشميري - الذي له دور بارز في الحفاظ على العقيدة، وبخاصة عقيدة ختم النبوة، والرد على القاديانية التي ظهرت في عصره، وأفسدت مفهوم ومعنى ختم النبوة، ولذلك وقع اختياري لرسالة الماجستير على عنوان "الشيخ محمد أنور شاه الكشميري وآراؤه الاعتقادية عرضًا ونقدًا".

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالسنة، باب قول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون وهم أهل العلم ٨/ ١٤٩.

أسباب اختيار الموضوع:

أولاً : لا يخفى على من له أدنى إلمام بالتاريخ الإسلامي أن الهند كانت حلقة ذهبية مهمة من حلقات العالم الإسلامي ، وقد مثلت دوراً عظيمًا في الفكر الإسلامي والعلوم الإسلامية ، ولم يزل علماء المسلمين في الهند عاكفين على التدريس والتصنيف والتأليف ، وبث الوعي الإسلامي ، ونشر الدين الصحيح ، إلا أنها لم تأخذ حظها من البحث عند كثير من العلماء والمؤرخين ، فلم يطلعوا على فحول علماء الهند ونوابغ رجالها الذين بذلوا حياتهم في إحياء علوم الدين ، وعلى خدماتهم العلمية الجبارة .

ومن هؤلاء العلماء النوابغ الشيخ محمد أنور شاه الكشميري رحمه اللّه الذي كان من العلماء المعدودين على الأصابع في القرن الماضي في الهند الذين لهم مكانة مرموقة في خدمة علوم الدين بالتدريس والتأليف . وقد كتب عن حياته ومآثره العلمية كثير من العلماء ، إلا أن الجانب الاعتقادي من حياة وفكر الشيخ الكشميري لم ينل حظه -في حدود علمي القاصر- من الدراسة ، حتى ظن فيه بعض الناس ظن السوء ، ومن ثم وجدت رغبة في الكشف عن شخصية الشيخ الكشميري والبحث في آرائه التي تتعلق بالعقائد في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة .

ولا نزاع في أن حياة هذا العالم الكبير مليئة بخدمة الدين وأبنائه ، ومما امتاز به أنه تصدى للتيارات المعادية للإسلام ، كالقاديانية والشيعة والقبورية ، (١) وكان يتحسر ويتألم من الهجمات والمكائد ضد الإسلام .

ثانيًا : إن دراسة الآراء الاعتقادية لعَلَم من الأعلام من أكبر الوسائل لإثراء الباحث علميًا ، فإنها تتيح له فرصة للاطلاع على أكثر القضايا والمسائل العقدية ، وللمعرفة على عقيدة أهل السنة والجماعة وأدلتهم .

---

(١) سيأتي التعريف بهذه الفرق .

الصعوبات التي واجهتني في إعداد البحث:

إن العمل كان ميسوراً بتوفيق اللّه عز وجل ثم بتوجيهات سعادة المشرف حفظه اللّه إلا أني واجهت بعض الصعوبات :-

١- قلة المراجع .

٢- صعوبة الحصول على بعض كتب الشيخ الكشميري التي طبعت ولم يجدد طبعها .

٣- نقل بعض المراجع التي هي باللغة الفارسية إلى اللغة العربية .

٤- صعوبة الفهم لبعض النصوص ؛ لأن أسلوبه أسلوب القدماء من العلماء في الدقة والاختصار .

منهجي في البحث:

وقد اتبعت في إعداد هذا البحث المنهج التالي :-

١- الاعتماد على مؤلفات الشيخ الكشميري في عرض آرائه الاعتقادية .

٢- الاستفادة ممن ترجموا له .

٣- عرض عقيدة أهل السنة والجماعة من مصادرها الأصلية .

٤- ذكر الآيات القرآنية مع عزوها إلى رقمها واسم السورة، والتركيز في كتابتها على الرسم العثماني .

٥- ذكر الأحاديث النبوية من أمهات كتب الحديث .

٦- إيراد أقوال علماء أهل السنة والجماعة لمقارنة آراء الشيخ الكشميري بها ولمعرفة مدى الموافقة أو المخالفة .

٧- ترجمة الأعلام الذين ورد ذكرهم في البحث عدا كبار الصحابة والأئمة الأربعة المجتهدين ، وعند تكرار الأسماء أشرت إلى سبق الترجمة .

٨- القيام بتعريف الفرق التي ورد ذكرها بشكل موجز .

٩- شرح الألفاظ الغريبة الواردة أثناء البحث .

١٠- الخاتمة : وهي تضمنت أهم النتائج التي وصلت إليها من خلال البحث .

١١- الفهارس العلمية المفصلة ، وتشتمل على :-

أ- فهرس الآيات القرآنية على ترتيب سور القرآن .

ب- فهرس الأحاديث النبوية على ترتيب الحروف الهجائية .

ج- فهرس الأعلام المترجم لهم على ترتيب الحروف الهجائية .

د- فهرس المصادر والمراجع على ترتيب الحروف الهجائية لاسم الكتاب .

هـ- فهرس الموضوعات .

خطة البحث:

أما الخطة التي وضعتها للبحث فقد اشتملت على مقدمة وبابين وخاتمة .

أما المقدمة: فقد تحدثت فيها عن أهمية الموضوع ، وسبب اختياره ، ومنهجي في البحث ، والخطة التي اتبعتها في البحث .

خصصت الباب الأول بحياة الشيخ محمد أنور شاه الكشميري وجاء في تمهيد وسبعة فصول :

التمهيد: النهضة في علوم الشريعة في الهند في عصر الشيخ الكشميري .

الفصل الأول: موطنه وعصره .

الفصل الثاني: نسبه وبيئته .

الفصل الثالث: طلبه العلم وشيوخه .

الفصل الرابع: اشتغاله بالتدريس وأهم تلاميذه .

الفصل الخامس: ثقافته ومؤلفاته .

الفصل السادس: شخصيته الخلقية والاجتماعية .

الفصل السابع : وفاته وثناء العلماء عليه .

الباب الثاني: تحدثت فيه عن آرائه الاعتقادية في عشرة فصول :

الفصل الأول : الاستدلال على وجود اللّه تعالى .

الفصل الثاني : صفات اللّه تعالى .

الفصل الثالث : رؤية اللّه تعالى .

الفصل الرابع : القضاء والقدر .

الفصل الخامس : الإيمان والإسلام .

الفصل السادس : قضية التكفير .

الفصل السابع : ختم النبوة .

الفصل الثامن : أشراط الساعة .

الفصل التاسع : عذاب القبر .

الفصل العاشر : الشفاعة .

وأخيراً ختمت البحث بخاتمة موجزة أوضحت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها .

وبهذا أكون قد انتهيت من إعداد هذا البحث ، وأرجو من اللّه أن أكون قد وُفقت إلى الصواب ، ولا أدَّعي أني قد وفيت هذا البحث حقه ، ولكنني بذلت جهدي المتواضع غاية ما استطعت ، فما كان من صواب فمن اللّه ، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان ، واللّه ورسوله منه بريئان .

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين ، وصلى اللّه وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، ولاحول ولاقوة إلا باللّه العلي العظيم .

الباب الأول

حياة الشيخ الكشميري

وتحته تمهيد وسبعة فصول:

التمهيد:

الفصل الأول: موطنه وعصره.

الفصل الثاني: نسبه وبيئته.

الفصل الثالث: طلبه العلم وشيوخه.

الفصل الرابع: اشتغاله بالتدريس وأهم تلاميذه.

الفصل الخامس: ثقافته ومؤلفاته.

الفصل السادس: شخصيته الخلقية والاجتماعية.

الفصل السابع: ثناء العلماء عليه، ووفاته.

التمهيد

النهضة في علوم الشريعة

في عصر الشيخ الكشميري في الهند

إن العصر الذي كان فيه الشيخ الكشميري رحمه الله يعد في الهند -بحق- عصر النهضة الإسلامية التي لم يسبق لها نظير في ما سبق من الزمان في تاريخ الهند. فقد انتهض فيه علماء بارعون في العلوم الاسلامية على اختلاف فنونها وأنواعها، وبخاصة في علوم القرآن وتفسيره، والحديث ومصطلحه، والفقه وأصوله، وفي متعلقات هذه العلوم. إنهم قدموا للمكتبات الإسلامية من انتاجاتهم العلمية الرائعة القيمة في هذه العلوم ما يبهر العيون والعقول، ويخلد ذكراهم.

كما تصدى أهل العلم وأصحاب الصدق والإيمان لإنشاء المدارس، وإقامة الحلقات العلمية، وكانت هذه المدارس بمنزلة معسكرات إسلامية تعتني - بالإضافة إلى خدمة الكتاب والسنة ونشر معارفهما- بإعداد دعاة ومجاهدين في سبيل الله، وحماة للدين الحنيف وقائمين على ثغور الإسلام في الهند.

والحق -والحق أحق أن يقال- إن هذه المدارس التي انتشرت في طول البلاد وعرضها قد قامت بدور عظيم وخدمة مشكورة في الحفاظ على الدين والكتاب والسنة، وبث علومهما، ونشر معارفهما فيما بين الناس، ودعوتهم إلى المنهج السليم، والدرب المستقيم، وصيانة أبناء الأمة الإسلامية من الانمياع تحت ضغوط المذاهب الهدامة والدعوات غير الخلقية. كما أن لهذه المدارس فضلاً عظيماً، ودوراً مشكوراً في تخريج علماء متبحرين، ونوابغ متضلعين في العلوم الإسلامية. وعلى رأس هذه المدارس الجامعة الشهيرة بدار العلوم[1] بديوبند التي هي بمثابة أم المدارس في شبه القارة الهندية، ومدرسة مظاهر العلوم[2] بسهارن فور، والجامعة

---

(١) قد أسست سنة ١٢٨٣هـ بأيدي الأجلاء من العلماء، وسيأتي الكلام عنها ص ٣٣.

(٢) أسست سنة ١٢٨٣هـ.

القاسمية[١] بشاهي مسجد بمراداباد، والمدرسة الإمدادية بتهانه بهون، والمدرسة الرحمانية بدلهي، ومدرسة دار العلوم ندوة العلماء[٢] بلكناؤ، والجامعة الإسلامية تعليم الدين بدابيل، إلى غير ذلك من المدارس الدينية والجامعات الإسلامية التي لها فضل مشكور وجهود جليلة في خدمة العلوم الإسلامية وإحياء الثقافة الإسلامية، والحفاظ على الآداب والأخلاق النابعة من الكتاب والسنة، والذود عن حمى الشريعة الغراء.

وقد تخرج من هذه المدارس علماء الشريعة والمتبحرون في العلوم الإسلامية، وقامت بهم سوق العلم والأدب، وازدهرت الثقافة الإسلامية، وفاقت الهند بهم كثيراً من البلدان الإسلامية، وأصبحت موضع اغتباط واعتبار لأهلها.

وكم لعلماء الهند من أيادي بيضاء في خدمة العلوم الإسلامية، وأعمال جليلة فريدة في نوعيتها، يقدرها ويشكرها ويتبع أثرها المعنيون بالعمل في الحقول العلمية والأدبية. وها هي مكتبات العالم الإسلامي زاخرة بمؤلفاتهم، وهواة العلم والأدب يتزاحمون على اقتنائها بلهفة زائدة وشوق كبير.

ومن الصعب جداً بل من العسير حقيقة أن تحصى أعمالهم وخدماتهم للعلوم الإسلامية من جميع النواحي، فإن لبعضهم أعمالا تعدل عمل أمة وجماعة وحدها.[٣] فنكتفي بذكر قدر قليل لأهم بعض مؤلفاتهم في علم

---

(١) أسسها الشيخ محمد قاسم النانوتوي سنة ١٢٩٦هـ.

(٢) أسسها الشيخ محمد علي المونگيري سنة ١٣١١هـ.

(٣) أمثال الشيخ أشرف علي التهانوي المتوفى سنة ١٣٦٢هـ، مؤلفاته زهاء ألف ما بين صغير وكبير، وما في مجلد وفي مجلدات، وأمثال العلامة محمود حسن التونكي، المتوفى سنة ١٣٦٣هـ، صاحب معجم المصنفين، فإنه استوعب في هذا المعجم من علماء الإسلام في الشرق والغرب وجاء هذا المعجم في ستين مجلداً مشتملاً على تراجم أربعين ألفًا من المصنفين، وقد طبعت منه أربعة أجزاء على نفقة الحكومة الآصفية بحيدرآباد في بيروت، والباقي مازال مخطوطًا. انظر: نزهة الخواطر ٨/ ٤٦٤.

الحديث ومتعلقاته باعتباره المصدر الأساسي الثاني للعقيدة تبصرة للقارئ، وتذكرة لأولي الألباب، وتسليطًا للضوء على اهتمام علماء الهند بهذا العلم الشريف، وتجلية لبعض نواحي النهضة للعلوم الإسلامية في عصر العلامة الكشميري رحمه الله. فدونك الآن بعض أهم الكتب المصنفة في علم الحديث في عصر الشيخ الكشميري رحمه الله:

١- آثار السنن للشيخ العلامة المحدث ظهير شوق النيموي المتوفى سنة ١٣٢٥هـ، في جزئين جمع فيهما الأحاديث المتعلقة بالطهارة والصلاة على اختلاف مذاهب الفقهاء، وتكلم عن كل حديث منها جرحًا وتعديلاً على طريقة المحدثين، وكان يريد أن يجرى على طريقته هذه إلى آخر أبواب الفقه ولكن المنية حالت دون أمنيته.

وعلى هذا الكتاب للشيخ الكشميري حواشٍ وتعليقات زادت في حسن هذا الكتاب ونفعه. (١)

٢- التعليق الحسن على آثار السنن للشيخ النيموي المذكور.

إن هذا التعليق بمنزلة الشرح لآثار السنن، وهذا التعليق يشرح ما عسى أن يعلق بذهن القارئ من شبهات حول احتجاج المصنف بالأحاديث في المسائل، وهو ضعف أصل الكتاب. (٢)

٣- بذل المجهود في شرح سنن أبي داود، للشيخ المحدث العلامة خليل أحمد السهارنفوري المهاجر إلى المدينة المنورة، المتوفى سنة ١٣٤٦هـ.

قد عكف الشارح رحمه الله على هذا الشرح عشرة أعوام وشهور، وهو شرح حافل، يعدم نظيره من بين الشروح لسنن أبي داود ويشهد بتضلع المؤلف رحمه الله من علوم الحديث وتبحره فيها. (٣)

---

(١) طبع هذه الحواشي مع أصل الكتاب المجلس العلمي بكراتشي.

(٢) قد طبع هذا التعليق مع الأصل في باكستان.

(٣) طبع هذا الكتاب في عشرين مجلدًا من المكتبة الإمدادية بمكة المكرمة، وهو متداول بين علماء الحديث.

٤- عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة المحدث أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، المتوفى سنة ١٣٢٩هـ.(١)

وقد شاركه في تأليفه المحدث عبد الرحمن المباركفوري صاحب تحفة الأحوذي.

وله كتاب آخر في شرح سنن أبي داود سماه "غاية المقصود" ولم يتم.

٥- أنوار المحمود في شرح سنن أبي داود للمحدث العلامة عبد الهادي محمد صديق النجيب آبادي، المتوفى سنة ١٩٧٧م.(٢)

٦- الكوكب الدري على جامع الترمذي، وهو عبارة عن إفادات الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي(٣) رحمه الله، جمعها تلميذه البارع في العلوم الدينية العلامة محمد يحيى الكاندهلوي، ثم علق عليها ابنه الشيخ محمد زكريا صاحب أوجز المسالك، فزاد نفعه.(٤)

٧- العرف الشذي على جامع الترمذي(٥)، وهو أيضًا مجموعة إفادات للشيخ الكشميري رحمه لله، جمعها أثناء إلقاء الدرس تلميذه چراغ محمد.

٨- تحفة الأحوذي شرح الجامع للترمذي، للمحدث العلامة عبد الرحمن المباركفوري.

إن هذا الشرح نال قبولاً وإعجابًا بين علماء الحديث، ويشهد بنبوغ

---

(١) طبعته المكتبة السلفية بمصر في ١٣ مجلداً.

(٢) قد طبع هذا الشرح أول مرة في مطبعة جمال بدلهي سنة ١٣٥٦هـ، ثم لم يعد طبعه.

(٣) رشيد أحمد الكنكوهي، هو: رشيد أحمد بن هداية أحمد الأنصاري أحد العلماء المحققين والفضلاء المدققين، لم ير مثله في زمانه في الصدق والعفاف والتوكل والتفقه في الدين، ولد سنة ١٢٤٤هـ، من مصنفاته "زبدة المناسك"، توفى رحمه الله ١٣٢٣هـ. انظر: نزهة الخواطر ١٤٨/٨.

(٤) طبع هذا الكتاب في مجلدين سنة ١٣٨٥هـ، ثم طبع في أربعة مجلدات من مطبعة دار العلوم ندوة العلماء بلكناو.

(٥) طبع هذا الكتاب في مجلد واحد.

المؤلف رحمه الله في علم الحديث، وبراعته وتغلغله في الخلافيات، وقد أكثر الشارح فيه النقول عن الحافظ ابن حجر والشوكاني رحمهما الله.

وقد ألف -رحمه الله- مقدمة بسيطة لهذا الشرح، وهي في غاية النفع، يشتمل على مباحث حديثية.(١)

٩- معارف السنن في شرح الجامع للترمذي، للشيخ المحدث الأديب محمد يوسف البنوري رحمه الله.

إن هذا الكتاب كما يمتاز بتناول الشارح الكلام على كل حديثه سندًا ومتنًا، وغوصًا في المسائل الفقهية الخلافية، وترجيح الراجح منها في ضوء الدلائل البينة، كذلك يمتاز بلغة سلسة عذبة، والأسلوب الإنشائي البارع، فإن الشارح -رحمه الل- كان متضلعًا عن اللغة العربية نطقًا وكتابة.(٢)

١٠- فتح الملهم في شرح الصحيح لمسلم، للمحدث الجليل والمفسر العظيم العلامة شبير أحمد العثماني، المتوفى سنة ١٩٤٩م.

والناظر في هذا الشرح يرى أن المؤلف -رحمه الله- لم يدع أمرًا إلا بان ماله وما عليه بكل إنصاف، ثم شرح الأحاديث في الأبواب بغاية من الاتزان فلم يترك بحثًا فقهيًا من غير تمحيصه، وكذلك لم يهمل أمرًا يتعلق بالحديث في الأبواب كلها بل وفاه حقه من التحقيق والتوضيح.(٣)

وقد ألف الشارح مقدمة حافلة لهذا الشرح تجمع شتات علم أصول الحديث بتحقيق، وإن هذه المقدمة تكفى المطالع مؤنة البحث.(٤)

---

(١) طبع هذا الكتاب عدة طبعات في الهند وخارجها، وهو متداول بين علماء الحديث.

(٢) طبع هذا الشرح في ست مجلدات من المجلس العلمي بكراتشي، وتوفى الشارح سنة ١٣٩٧هـ قبل أن يتم هذا الشرح.

(٣) قد وصل المؤلف إلى المجلد الثالث وبدأ في المجلد الرابع إلا أن الظروف السياسية قد شغلته عن إتمامه، فلم يتم هذا الشرح، وقام الشيخ محمد تقي العثماني بإتمام هذا الشرح فجاءت هذه التكملة في ثلاث مجلدات وطبعت في كراتشي.

(٤) نشرت هذه المقدمة بتحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة وتعليقه.

١١- ومن أهم ما ألف في الحديث في عصر الشيخ الكشميري رحمه الله كتاب "إعلاء السنن" للشيخ ظفر أحمد التهانوي، المتوفى سنة ١٣٦٢هـ. وقد تم تأليف هذا الكتاب النادر العجيب في عشرين سنة، دام المؤلف في هذه المدة ليلاً ونهارًا يجمع أحاديث الأحكام في الأبواب من مصادر صعبة المثال حتى رتبها بغاية من الإجادة بتوفيق من الله تعالى.[١]

١٢- إنها السكن إلى من يطالع إعلاء السنن.

وهذا الكتاب عبارة عن المقدمة التي وضعها صاحب إعلاء السنن في جزئين: الأول: يتعلق بالمباحث الفقهية، والثاني: يتعلق بالمباحث الحديثية،[٢] وهذا الجزء الثاني طبع باسم قواعد في علوم الحديث، بتحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، يقول أبو غدة عن هذه المقدمة: «وكتابه هذا جليل القدر، رفيع المقام والذكر، عظيم النفع والإفادة، فريد المعرفة في كثير من جوانبه، وفصوله جميل الترتيب والنظام، تدارك به مؤلفه قسمًا كبيرًا من المباحث المغفلة في كتب مصطلح الحديث وعلومه، فنظمها خير تنظيم، وقعّدها أحسن تقعيد»[٣].

١٣- أوجز المسالك شرح الموطأ للإمام مالك، للعالم الرباني الشيخ محمد زكريا، المتوفى سنة ١٩٨٢م. ومما يمتاز به هذا الكتاب الكلام على جميع المذاهب الفقهية بتفصيل وافر مع غاية الإنصاف، وإيراد غور النصوص من مؤلفات علماء المذاهب التي ليس الوصول إليها بمتناول كل أحد. وقد اعتنى بهذا الشرح فحول علماء المالكية، وشهدوا لمؤلفه النبوغ في علم الحديث، وفي معرفة المذاهب الفقهية.[٤]

---

(١) وقد جاء هذا الكتاب في عشرين مجلدًا في خمسة آلاف صفحة.

(٢) طبع الجزءان في كراتشي بباكستان.

(٣) مقدمة قواعد في علوم الحديث للتهانوي ص ٢.

(٤) طبع هذا الكتاب في ست مجلدات في الهند أول مرة، ثم تتابعت طبعاته الهندية، ثم طبع في القاهرة في ١٥ مجلدًا، وأخيرًا طبعته وزارة الأوقاف بدولة الأمارات المتحدة.

١٤- لامع الدراري على جامع البخاري.

هذا الكتاب عبارة عن الإفادات الدراسية للشيخ رشيد أحمد الكنكوهي رحمه الله، قد جمعها ورتبها الشيخ يحيى الكاندهلوي، ثم علق عليها ابنه الشيخ محمد زكريا حتى صارت هذه الإفادات كشرح مستقل للجامع للإمام البخاري.(١)

١٥- التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح، للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي من تلامذة الشيخ الكشميري، وهو من أنفع الكتب المؤلفة في شرح مشكاة المصابيح لطلبة علوم الحديث، فإن المصنف -على إيجازه- لم يدع جانبًا مهمًا مع شرح ألفاظ الحديث شرحًا لغويًا وافيًا. وحيث أن المؤلف كان من نوابغ الأدباء للغة العربية فشرحه هذا جاء أيضًا بديعًا من حيث الأدب والإنشاء في أسلوب الأدباء البارعين.(٢)

١٦- قلائد الأزهار على كتاب الآثار للإمام أبي حنيفة رحمه الله، للمفتي الشيخ مهدي حسن وهو شرح حافل بالمباحث الحديثية والفقهية، يشهد بنبوغ الشارح في علمي الحديث والفقه.(٣)

١٧- ترجمان السنة للشيخ بدر عالم الميرتهي من أرشد تلامذة الشيخ الكشميري.

ألف المؤلف هذا الكتاب باللغة الأردية، وهو كتاب يبحث عن عقائد أهل السنة في ضوء الأحاديث النبوية، ويذب عن السنة الشبهات لمنكري السنة، كما فيه ردود على شبهات القاديانية، والحق أن فضل هذا الكتاب لا يظهر إلا لأهل العلم من الفضلاء الكمل.

يندهش القارئ ببلاغته البيانية، وقدرته الكلامية وعلمه الغزير وتغلغله في المباحث الخلافية، تتجلى في أثناء كلامه غيرته الإيمانية، وعاطفته

(١) طبع هذا الكتاب في عشرة أجزاء من المكتبة الإمدادية بمكة المكرمة.

(٢) طبع هذا الكتاب في خمسة أجزاء في بيروت، ثم أعيد طبعه في كراتشي.

(٣) طبعته أولاً المكتبة النعمانية بديوبند، ثم طبعته دار المعارف النعمانية بحيدر آباد.

الجياشة للذود عن حمى الشريعة الغراء وإيمانه العميق بأبدية رسالة الإسلام، والحق أن هذا الكتاب جدير بالنقل إلى اللغة العربية بل إلى اللغات العالمية.(١)

وبعد: فهذه إلمامات سريعة خاطفة تسلط بعض الضوء على ما كان في عصر الشيخ الكشميري -رحمه الله- من نهضة العلوم الإسلامية.

والحق أن هذا الموضوع يقتضي مجلدًا كبيرًا بل مجلدات كبار لعرض جميع ما كان في عصره من آثار النهضة العلمية في مجالات مختلفة من العلوم والفنون. فإن عصره -رحمه الله- كان عصرًا انتعشت فيه العلوم الإسلامية انتعاشًا كبيرًا، وازدهرت أرضها ازدهارًا رائعًا، وقد وجد فيه العلماء والنبغاء من المؤلفين في شتى العلوم والفنون. وفيهم من كان وحده أمة في مجال التأليف والبحث والتحقيق كالشيخ أشرف علي التهانوي(٢)، ومن تلاميذ الشيخ الكشميري أمثال المفتي محمد شفيع(٣)، ومنهم المؤرخ مناظر حسن الكيلاني، ومنهم المحدث حبيب الرحمن الأعظمي(٤) رحمهم الله.

وهكذا سلسلة طويلة من تلامذة العلامة الكشميري الذين لهم جهود بارزة وأعمال بارزة في إنهاض العلوم الإسلامية، وفي خدمة الكتاب والسنة.

وأما إدارات التأليف والتصنيف فهي أيضًا بكثرة يصعب على الباحث حصرها. ومن أهمها: إدارة إحياء المعارف النعمانية بحيدر آباد، ودائرة المعارف العثمانية بها، ودار المصنفين بأعظم جره، وندوة المصنفين بدلهي، والمجلس العلمي بدابيل وإلى غير ذلك من الإدارات العلمية التي لها أيادي بيضاء في أعناق أهل العلم في الهند، وفي غيرها من البلدان الإسلامية.

---

(١) طبعته ندوة المصنفين بدلهي.

(٢) ستأتي ترجمته ص ٧٨.

(٣) ستأتي ترجمته ص ٤٥.

(٤) ستأتي ترجمته ص ٤٨.

الفصل الأول

موطنه وعصره

وتحته تمهيد ومبحثان:

المبحث الأول: موطنه.

المبحث الثاني: عصره سياسيا، علميا، اجتماعيا.

تمهيد

رأيت من الضروري - وقد اخترت مجال بحثي شخصية عظيمة من أبرز الشخصيات في شبه القارة الهندية التي كان لها دور بارز في خدمة الدين- أن أقدم بين يدي دراستي لهذه الشخصية -كعادة الباحثين- دراسة موجزة عن وطنه وعصره الذي ترعرع في أكنافه وهو أمر من الضرورة بمكان ما. إذ أنه يمكن الباحث من الوقوف على العوامل التي كان لها دور فعال في نبوغ تلك الشخصية. وفي التأثير على اتجاهها؛ لأن الإنسان كما يتأثر بمشايخه الذين يتلقى عنهم فإنه بنفس القدر يكون تأثره عن بيئته التي يعيش فيها، وبالأحوال والظروف المحيطة به.

لذلك كان لزامًا علي أن أعطي فكرة موجزة عن موطنه، وعن عصره من نواح ثلاث السياسية، والاجتماعية، والعلمية.

المبحث الأول

موطنه

ولد الشيخ محمد أنور شاه الكشميري في ولاية كشمير، وهي منطقة تقع في الشمال الغربي لشبه القارة الهندية، وهي شهيرة بجمالها، وجوها، وحسن منظرها. يقصدها السياحون في فصل الصيف نظراً لجوها الممتع، ومناظرها الخلابة الطبعية، وأنهارها الجارية، وجبالها العالية الشامخة.[١]

لقد أشرقت شمس الإسلام على هذه الولاية مبكراً في أواخر القرن الأول الهجري، وفتحها هشام[٢] بن عمرو التغلبي والي السند في عهد أبي جعفر المنصور[٣] (١٣٦هـ-١٥٨هـ)[٤]. وزاد انتشار الإسلام في عهد المعتصم[٥] (٢١٨هـ-٢٢٧هـ).

وتمكن الإسلام في هذه الولاية في مستهل القرن الرابع عشر الميلادي عندما وصل إليها داعية معروف باسم "بُلبُل"[٦] أمكنه أن يقنع أحد حكامها

---

(١) الهند في العهد الإسلامي، للعلامة السيد عبد الحي الحسني، ص ٦١.
كفاح المسلمين في تحرير الهند، للدكتور عبد المنعم النمر، ص ٢٨٩.

(٢) هشام بن عمرو التغلبي: هشام بن عمرو بن بسطام التغلبي الوائلي، ولاّه المنصور على السند سنة ١٥١هـ، ولما بلغها وجه الغزاة لنواحي الهند، فافتتح كشمير، والملتان، وقندهار، واستمرت ولايته ست سنوات، ثم عاد إلى بغداد سنة ١٥٧هـ معزولاً. انظر: الأعلام للزركلي ٩/٨٦.

(٣) أبو جعفر المنصور: الخليفة العباسي، ولد سنة ٩٥هـ، كان فحل بني العباس هيبةً وشجاعةً، ورأيًا وحزمًا، كامل العقل، بعيد الغور، حسن المشاركة في الفقه، مات سنة ١٥٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٧/ ٨٣.

(٤) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي، للدكتور حسن إبراهيم حسن، ص ٢٤٥-٢٤٧.

(٥) المعتصم: الخليفة العباسي محمد بن هارون الرشيد، ولد سنة ١٨٠هـ، بويع بعهد من المأمون. كان ذا قوة وبطش، وشجاعة، وهيبة، وامتحن الناس بخلق القرآن، ومات سنة ٢٢٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٩٠.

(٦) هو: الشيخ شرف الدين الحسيني، أحد الرجال المعروفين بالفضل والصلاح، قدم كشمير في سنة ٧٢٥هـ، أسلم خلق كثير على يده من أهل كشمير. انظر: نزهة الخواطر ٢/ ٤٩.

باعتناق الإسلام، فسمَّاه صدر الدين، فكان أول حاكم مسلم لكشمير. وانتشر الإسلام على يد الداعية سيد علي الهمداني [(١)] الذي وصلها حوالي عام ٧٤٠هـ الموافق ١٣٨٨م من فارس، وصحبه في هجرته أكثر من ٧٠٠ داعية مسلم. وأصبحت كشمير جزءًا من الدولة الإسلامية الهندية منذ عام ٧٤٠هـ الموافق ١٣٨٨م. [(٢)]

وبحلول عام ٩٩٧هـ الموافق ١٥٨٨م تمكن الإمبراطور المغولي أكبر [(٣)] من كشمير وبنى قصره في "سري نغر" [(٤)]. وجاء بعده ابنه "جهانگير" [(٥)] وقام بتجميل هذا الوادي بغرس الأشجار وإنشاء الحدائق والمنتزهات.

وفي القرن السابع عشر الميلادي أخذت قوة المغول في الاضمحلال في كشمير، وحلت بها فترة من الاضطراب وعدم الاستقرار في الحكم، فانتهز أحمد شاه الدراني [(٦)] هذه الفرصة، فهاجم على كشمير، وتسيطر عليها سنة ١٧٥٠م، واستمرت حكومة أفغانستان على كشمير إلى سنة ١٨١٩م. وفي

---

(١) سيد علي همداني: المعروف بشاه همدان، من أسرة السادات بهمدان بايران، ولد في السنة ٧١٤هـ، وبعد حصول العلوم النقلية والعقلية اشتغل بالعبادة والرياضة ست سنوات، وهاجر إلى كشمير بعد ما حدث خلاف بينه وبين الأمير تيمور سنة ١٣٦٩م، وقام بالدعوة والإصلاح فيها. وله كتب أكثر من سبعين، ومنها: "ذخيرة الملوك"، توفى سنة ٧٨٦هـ. انظر: اردو دائره معارف إسلامية ١٧/ ٣٠٢، آب كوثر لمحمد أكرم ص ٣٧٧.

(٢) حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، للدكتور جميل عبد الله محمد المصري، ص ٣٥٠.

(٣) أكبر: هو جلال الدين محمد أكبر بن همايون بن بابر من أباطرة المغول المسلمين في الهند، ولد سنة ٩٤٩هـ، سعى إلى توحيد الأديان كلها. مات سنة ١٠١٤هـ. انظر: أردو دائرة المعارف الإسلامية. ٣/ ٤٠.

(٤) سري نغر (SRI NAGAR) اسم مدينة، عاصمة ولاية كشمير.

(٥) جهانگير: هو محمد سليم بن محمد أكبر الأمبراطور المغولي، ولد سنة ١٥٧٠م، وتولى الحكم بعد وفاة أبيه سنة ١٦٠٥م. وكان سليم العقيدة، ومحترمًا للدين وتعاليمه. مات سنة ١٦٢٧م. انظر: تاريخ الإسلام في الهند، للدكتور عبد المنعم النمر، ص ٢٢٨.

(٦) أحمد شاه الدراني: أحد قادة نادر شاه، من قبيلة سدو زئي الأفغانية. ولد سنة ١٧٢٢م، أعلن نفسه ملكًا في قندهار بعد مقتل نادر شاه سنة ١٧٤٧م. مات سنة ١٧٧٣م. انظر: اردو دائرة المعارف الإسلامية ٢/ ١٣١.

نفس هذا العام غـزا "المهاراجـا رنجيت سنغ "[(١)] كشمير بقيادة "جولاب سنغ "[(٢)]، وهزم الحاكم جبار خان -آخر الحكام الأفغان- وضم كشمير إلى ملكه بعد أن سفك دماء المسلمين، وأحرق مساجدهم، ولم تنجح مقاومة المسلمين له. وفي عام ١٨٢٠م عُيّن جولاب سنغ حاكمًا على كشمير، وسميت الأسرة الملكية التي أسسها جولاب سنغ "أسرة دوجره"[(٣)].

وحين أخذت شركة الهند الشرقية البريطانية تطوي تحت نفوذها أراضي الهند الشاسعة اصطدمت بالسيخ[(٤)]، وانتصرت عليهم عام ١٨٣٩ الميلادي، ولكنها رأت أن يبقى المهاراجا جولاب سنغ أميرًا على كشمير مقابل سبعة ملايين ونصف روبية هندية يدفعها للبريطانيين على أن يعترف بالسيادة

---

(١) رنجيت سنغ: مؤسس امبراطورية السيخ في شمال الهند. ساعد الإنكليز ضد الأفغان.

(٢) جولاب سنغ: هندوسي فقير، هاجر إلى كشمير حيث عمل عند المهاراجا، وتدرج في الوظائف وبنفوذه في حكومة المهاراجا سهل للإنجليز الاستيلاء على كشمير، فكافأه الإنجليز بإبقائه حاكمًا هو وذريته من بعده على كشمير. انظر: كفاح المسلمين في تحرير الهند، د. النمر ص ٢٨٩.

(٣) الموسوعة العالمية العربية ٨/ ١٥٢.

(٤) السيخ: مجموعة دينية من الهنود ظهروا في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلادي داعين إلى دين جديد فيه شيء عن الديانتين الإسلامية والهندوسية، المؤسس الأول لهذه الديانة هو غورو نانك (GURU NANAK)، درس علوم الدين وتنقل في البلاد، وادعى أنه رأى الربّ حيث أمره بدعوة البشر، ثم اختفى أثناء استحمامه في أحد الجداول وغاب لمدة ثلاثة أيام، ظهر بعدها معلنًا "لا هندوس ولا مسلمون". أصول الدين لديهم خمسة:

١- ترك الشعر مرسلاً بدون قص من المهد إلى اللحد، وذلك لمنع دخول الغرباء بينهم بقصد التجسس.

٢- أن يلبس الرجل سوارًا حديديًا في معصمه بقصد التذلل والاقتداء بالدراويش.

٣- أن يلبس الرجل تبانا وهو آشبه بلباس السباحة تحت السراويل رمزا للعفة.

٤- أن يضع الرجل مشطا صغيرا في شعد راسه • وذلك لتمشيط الشعر وترحيله وتهذيبه.

٥- أن يتمنطق السيخ بحربة صغيرة اوخنجر على الدوام، وذلك لإعطائه القوة، وللمدافعة عن نفسه وقت الحاجة. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص ٢٨٣.

البريطانية عليه كبقية الإمارات، وبقي الحكم في أسرة جولاب سنغ وراثيًا حتى سنة ١٩٤٧م.[١]

وكان حكم جولاب سنغ مضرب المثل في الضرائب التعسفية، والقوانين الجائرة، وسوء المعاملة مع الشعب المسلم.[٢]

وعند تقسيم القارة الهندية سنة ١٩٤٧م رفض المهاراجا الانضمام إلى الهند أو باكستان، وأراد أن يستقل بالبلاد تحت حكمه، غير أن أغلبية أهالي كشمير -وهم مسلمون- ثاروا عليه مطالبين بالانضمام إلى باكستان، فهرب المهاراجا إلى الهند، وطلب منها التدخل في كشمير لحمايته، وهكذا دخلت كشمير في الأراضي الهندية.[٣]

إن كشمير كانت مركزًا للعلم والحضارة والفنون من قديم الزمان، لقد ولد بها شخصيات ذات فضل ومعرفة - منها الشيخ محمد أنور شاه الكشميري، وزارها حملة الأقلام وأولو العلم من أرجاء الهند وخارجها لسمعتها وشهرتها وجمالها الطبيعي. منهم الشاعر الشهير الفيضي[٤] صاحب الأمبراطور المغولي أكبر، والشاعر العرفي[٥] الذي كتب قصيدة شهيرة في وصف كشمير، وملك الشعراء كليم الهمداني[٦]، والمحقق البيروني[٧] وغيرهم.

---

(١) الموسوعة العالمية ٨/ ١٥٢. دائرة المعارف الإسلامية الأردية.

(٢) ماسأة كشمير المسلمة، للدكتور إحسان حقي، ص ١٠٨.

(٣) كفاح المسلمين في تحرير الهند، للدكتور النمر.

(٤) الفيضي: هو أبو الفيض الفيضي، ولد سنة ١٥٤٧م، كانت له قدرة عجيبة في الشعر والنثر الغير المنقوط. له كتاب في التفسير سماه "سواطع الإلهام" من الحروف المهملة. مات سنة ١٥٩٥م. انظر: نزهة الخواطر ٥/ ٢٤.

(٥) لم أجد ترجمته فيما بين يدي من المراجع.

(٦) كليم الهمداني: اسمه أبو طالب، شاعر إيراني جاء إلى الهند سنة ١٠٢٧م، وبعد سنة عاد إلى إيران. انظر: دائرة المعارف الإسلامية الأردية ١٧/ ٣٧٢.

(٧) البيروني: هو أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، أحد الحكماء المشهورين في الصناعة الطبية، دخل الهند، وسكن بها عدة سنين، وله كتاب نفيس في وصف بلاد الهند. انظر: نزهة الخواطر ١/ ٦٧.

المبحث الثاني

عصره

أما الحديث عن عصر الشيخ الكشميري فيكون من نواح ثلاث: السياسية والعلمية الدينية، والاجتماعية.

١- عصره من الناحية السياسية:

عاش الشيخ الكشميري -رحمه الله- في الفترة الواقعة ما بين عام ١٢٩٢هـ - ١٣٥٢هـ الموافق ١٨٧٥م - ١٩٣٣م، وفي ذلك الوقت كانت أسرة "دوجرا" تحكم ولاية كشمير تحت السيادة البريطانية مقابل سبعة ملايين ونصف روبية هندية كما سبق أن ذكرنا.

ووجد الشيخ الكشميري العهد الأخير من حكومة المهاراجا رنبير سنغ الذي تولى الحكم من سنة ١٨٥٧م إلى سنة ١٨٨٥م، وكذلك وجد عهد المهاراجا برتاب سنغ الذي تولى الحكم بعده. واشتهرت هذه الحكومة بالشدة والتعصب مع المسلمين في الضرائب، والجور في القوانين، وسوء المعاملة معهم.(١)

وقد حدثت في هذا العهد عدة وقائع للإحراق التي قضت على كثير من الأحياء المسلمة، وحولها إلى رماد.(٢)

وكان الإنجليز تسيطروا علي الهند بعد فشل ثورة عام ١٨٥٧م. وحيث أن المسلمين هم الذين تزعموا هذه الثورة فاشتد الإنجليز في هجمتهم على المسلمين من قتل، وتمثيل، وإحراق، وشنق، ونهب مما يندى به جبين الإنسانية.

---

(١) انظر: مأساة كشمير المسلمة، للدكتور إحسان حقي، ص ١٠٨.

(٢) الأنور ص ١٩ نقلاً عن كتاب تاريخ حسن لپير غلام حسن كهويهائي ٤٧٩/١.

يقول مؤلف أمريكي عن حادثة رآها:

«منظر فاجع، أناس يحرقون أحياء بالنار، والإنجليز والسيخ قائمون حولهم يتلذذون برؤيتهم كأنهم في منتزه عام»[١].

وقد اعتبر الإنجليز المسلمين عدوهم الوحيد المناهض لأساليبهم الاستعمارية فعملوا على إذلالهم ومطاردتهم والقضاء على كل حيوية فيهم، وقد أعلن بذلك الحاكم البريطاني اللورد نبرو فهو يقول:

إن العنصر الإسلامي في الهند عدو بريطانيا اللدود، وإن السياسة البريطانية يجب أن تهدف إلى تقريب العناصر الهندوكية إليها تساعدهم في القضاء على الخطر الذي يتهدد بريطانيا في هذه البلاد»[٢].

إن هذه المحن والمظالم التي سمعها أو رآها الشيخ الكشميري في عصره، قد تركت أثرًا كبيرًا في نفسه، ولذلك نرى أنه كان موافقًا في موقف أستاذه وشيخه محمود حسن[٣] من الإنجليز باعتبارهم عدوًا للمسلمين، وفي حركته الشهيرة لطرد الإنجليز من أراضي الهند، وكان الشيخ الكشميري ممن أفتوا بعدم جواز موالاة الإنجليز.[٤]

٢- عصره من الناحية العلمية والدينية:

إن الاستعمار البريطاني للهند، وحكومة "دوجرا" على ولاية كشمير ترك أثرًا سيئًا على أبناء الهند المسلمين من الناحية العلمية والدينية، فإن "حكومة دوجرا" جعلتهم يشتغلون في مزارعهم ومواشيهم، يكدحون ويجتهدون ليدفعوا الضرائب المفروضة عليهم، ولم تتح لهم الفرصة لتعليم أبنائهم، وبالتالي تأخروا في العلم، وفشا فيهم الجهل والبعد عن الكتاب

---

(١) علماء هند كا شاندار ماضي، لمحمد ميان، ص ٥٩.

(٢) حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، للدكتور جميل عبد الله المصري، ص ٣٣٧.

(٣) ستأتي ترجمته.

(٤) انظر: الأنور ص ٤٨٦، حيات أنور ص ٣٠٨، نقش دوام ص ٢٠٢.

والسنة .[١]

وأما الاحتلال البريطاني للهند فقد توجه إلى قتل المسلمين بالجهل بكل وسيلة . أكثر الإنجليز من الحملات التنصيرية لمحاربة الإسلام ، وحاربوا مدارسهم التي كانت منبع العلم والثقافة ، ونزعوا الأوقاف المسلمة التي كانت توفر لها المساعدة ، وعمدوا إلى الأغنياء فأخافوهم ليمتنعوا عن الإنفاق على هذه المدارس[٢] ، واستخدموا لأغراضهم الخبيثة بعض ضعاف النفوس المسلمة ونتجت عن ذلك فرقة "القاديانية" .[٣] وزاد الطين بلة عند ما أنشأوا مدارسهم وقرروا فيها مناهج للتعليم تنفر المسلمين من ارتيادها إن أرادوا أن يبقوا متمسكين بعقائدهم[٤] ، وبالتالي تأخر المسلمون تأخراً واضحًا في مجال التعليم ، فابتعدوا بذلك عن دينهم القويم ، ولولا فضل الله على العلماء بفتح المدارس الأهلية للحفاظ على الإسلام في المسلمين بالهند لنجح الإنجليز في خطتهم إلى حد كبير .

٣- عصره من الناحية الاجتماعية:

الحالة الاجتماعية في أي عصر ترتبط -في الغالب- بالوضع السياسي السائد ، ولما كانت هذه الفترة فترة حكومة "دوجرا" على كشمير ، والمسلمون في هذه الفترة قد عانوا كثيراً من الجور والظلم بسبب سوء أحوال المعيشة ، وكثرة الفساد ، والزلازل ، والحرائق والفيضانات مما حملتهم إلى الانصراف والاهتمام بمتطلبات الحياة الضرورية ، والاشتغال في مزارعهم ومواشيهم .

وهذا أدى إلى فقدان الثقة بالنفس وانتشار الجبن والخوف ، وسقوط

---

(١) الأنور ص ١٣٦ .

(٢) نقش حياة ، لمولانا سيد حسين أحمد مدني ١/ ٣٦٣ .

(٣) القاديانية : نسبة إلى مرزا غلام أحمد القادياني ، وسيأتي الحديث عنها في الباب الثاني .

(٤) نقش حياة لمولانا سيد حسين أحمد مدني ١/ ١٨٦ ، دار الإشاعة ، كراتشي ١٩٧٩م .

الأخلاق وانهيار القيم والمثل.[١]

وأما الاحتلال البريطاني على الهند فإن سياسته قد فرضت على الحكام الإنجليز أن يروجوا الإلحاد والفساد بتصدير الحضارة الغربية باسم التقدم، والمدنية، وأن ينشروا الخلاعة والمجون والإباحية للقضاء على أخلاق الإسلام باعتبار أنها رجعية، وقديمة، وأن يوسعوا الخرق بين المسلمين والهندوسيين بعد أن كانوا يعيشون -على اختلاف الأديان والمذاهب- في جو آمن متحابين متماسكين بالقيم والأخلاق فحلّ البغض، والنفاق، والاختلاف، محل الصداقة، والمحبة، والاتفاق، وذلك لأجل أن يتلاءم الجو لاستمرار الاحتلال الغاشم على الهند، ولا تقوم ثورة ضدهم.[٢]

ورغم هذا الانحراف في المجتمع فقد بقي الإسلام برسالته حيًا في الهند بفضل من اللّه ثم بالجهود المشكورة التي قام بها العلماء في ذلك الوقت.

---

(١) انظر: الأنور ص ٢٦، نقلا عن كتاب "دى ويلي آف كشمير لمؤلفه والتر آر لارنس، ص ٢ و٢١٦، لندن/ ١٨٩٥م.

(٢) انظر: نقش حياة، ص ٢٩٧ وما بعدها.

الفصل الثاني

نسبه وبيئته

الفصل الثاني

نسبه وبيئته

هو حافظ العصر، المحدث، المفسر، الفقيه، اللغوي، الشاعر الإمام الشيخ محمد أنور شاه[(١)] الكشميري بن الشيخ معظم شاه بن شاه عبد الكبير ابن شاه عبد الخالق بن شاه محمد أكبر بن شاه محمد عارف بن شاه حيدر بن شاه علي بن شيخ عبد الله بن شيخ مسعود النروري الكشميري. أحد علماء الحديث الأجلاء وفقهاء الحنفية الكبار.[(٢)]

وبالرغم من ورود بعض[(٣)] ما يوحي بصحة نسبه إلى الإمام أبي حنيفة -رحمه الله- إلا أن الحديث عن هذه القضية لا طائل تحته؛ لأن المهم في حياة

---

(١) انظر ترجمته في كل من:

١- نفحة العنبر للشيخ محمد يوسف البنوري.

٢- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، للعلامة عبد الحي الحسني ٨/ ٨٠.

٣- الموسوعة العالمية العربية ٣/ ٢٨٣.

٤- دائرة المعارف إسلامية أردو ١٩/ ٣٧٥.

٥- نقش دوام، للشيخ أنظر شاه.

٦- الأنور، لعبد الرحمن كوندو.

٧- حياة أنور للشيخ أزهر شاه.

٨- تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر وآثارهم الفقهية، لعبد الفتاح أبو غدة، ص ١٣.

٩- تذكرة مشايخ ديوبند، لمفتي عزيز الرحمن بجنوري. ص ٢٩٢.

١٠- دار العلوم ديوبند كي پچاس مثالي شخصيات، للقاري محمد طيب، ص ١٢٤.

١١- علماء حق، لمحمد ميان.

١٢- الشيخ محمد أنور شاه الكشميري ومآثره العلمية، للدكتور رضوان الله، رسالة دكتوراة مقدمة إلى الجامعة الإسلامية بعليجراه.

١٣- مجلة "البيان" العدد العاشر لعام ١٤٠٨هـ الموافق ١٩٨٨م، الصادرة من لندن.

(٢) نفحة العنبر، ص ١.

(٣) نقش دوام، ص ٢٤.

الإنسان هو عمله وكسبه لا أصله ونسبه.

وتذكر بعض المصادر أن سلفه جاؤوا من بغداد ونزلوا "ملتان"(١)، ثم رحلوا منها إلى "لاهور"(٢)، ومنها إلى كشمير فأصبحت لهم مستقراً ومقامًا.(٣)

وقد ذكر الشيخ الكشميري نسبه إلى الشيخ مسعود النروري في بعض كتبه ثم يقول عن وطنه:

«وفي المكتوبات الخطية عند خلف الشيخ مسعود أن سلفه جاؤوا من بغداد إلى الهند ودخلوا ملتان، ثم ارتحلوا إلى بلدة لاهور، ثم إلى كشمير»(٤).

وُلد الشيخ الكشميري في قرية "وَدْوَان" من كورة "لولاب" بناحية شمالية من مضافات كشمير صباح يوم السبت ٢٧ من شهر شوال سنة ١٢٩٢هـ الموافق ٦ من شهر اكتوبر سنة ١٨٧٥م.(٥)

نشأ الشيخ في بيت علم وصلاح، فكان أهله معروفين بالعلم والصلاح، يحافظون على تعاليم دينهم الحنيف، ويواظبون على أداء الشعائر الدينية بامتثال الأوامر وترك النواهي، ملتزمين بالخلق الحسن والعادات الجميلة، تاركين عادات وتقاليد الجاهلية.

فكان القاضي شاه عبد الكبير جد الشيخ الكشميري من الصلحاء

---

(١) ملتان: مدينة تاريخية في باكستان، غزاها محمد بن قاسم في عهد وليد بن عبد الملك. انظر: معجم البلدان للحموي ٥/ ٢٢٧.

(٢) لاهور: ثانية أكبر مدينة باكستان الواقعة في شمال غرب باكستان، تعد مركزًا لصناعة النسيج والحياكة وصناعات أخرى، كما تعتبر مركزًا تعليميًا أيضًا. انظر: الموسوعة العالمية العربية ٢١/ ٥٣.

(٣) نفحة العنبر، ص ١، نقش دوام، ص ٢٥.

(٤) خاتمة كتاب "كشف الستر عن صلاة الوتر"، للشيخ الكشميري.

(٥) نفحة العنبر، ص ١، نقش دوام، ص ٢٥.

الأتقياء، معروفًا بالعلم والزهد. وولاه ولي المنطقة منصور خان منصب القضاء في حدود منطقته لما رأى منه من العلم والصلاح والتقوى، فكان قاضيًا في هذه المنطقة إلى وفاته.[١]

وكان أبوه الشيخ معظم شاه عالـمًا كبيرًا، معروفًا بالدعوة والإرشاد، والنصح والموعظة، يقوم بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ويعظ، وينصح الناس، ويدعوهم إلى الدين الإسلامي وعقائده الصافية السليمة، والإقلاع عن الذنوب والمعاصي، ونبذ العادات السيئة، وترك التقاليد الجاهلية، والشعائر الوثنية، ويدعوهم إلى الالتزام بسنة الرسول ﷺ، والانتهاء عن البدع والخرافات. وكانت لجهوده الإصلاحية الدعوية ثمارها الطيبة، يجتمع الناس حوله ويستمعون إليه. ولم يكن أبوه رجلا ذا علم ودعوة فقط، بل كان رجلاً اجتماعيًا يشارك الناس في أفراحهم وأحزانهم، ويرجع إليه الناس في نوائبهم وحوائجهم يستشيرونه ويعملون بما يشير به عليهم.

وكانت أمه يتيمة دهرها في الورع، والزهد، والعبادة، تحافظ على الفرائض والواجبات، وتراعي حقوق الآخرين، زاهدة في الدنيا، راغبة إلى الآخرة.

فنشأ الشيخ الكشميري في ظل عطوفة أبويه الصالحين الكريمين، وتربَّى في رعاية دقيقة، وتربية عجيبة، حتى أن والده كان يوقظه في صغره بالليل حين يقوم لصلاة القيام، فكان يجلسه بجنبه وهو يصلي، فهكذا تنزل عليه البركات، ويحيط به صالح الدعوات وهو صبي لم يترعرع.[٢]

إن هذه التربية الصالحة تركت أثرًا بارزًا في حياة الشيخ الكشميري، فصار من أعلام العلماء وكبار الفقهاء وعظام المحدثين في عصره.

---

(١) الأنور، ص ٦٩٨.

(٢) نفحة العنبر، ص ٢٩٩.

الفصل الثالث

طلبه العلم وشيوخه

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: طلبه العلم.

المبحث الثاني: شيوخه.

المبحث الثالث: رحلته إلى الحرمين الشريفين.

المبحث الأول

طلبه للعلم

لما دخل الشيخ الكشميري في الخامسة من عمره فأخذ في القراءة، بدأ أولاً قراءة القرآن الكريم وبعض الكتب الفارسية حسب ما توارث أهل بلدته، وفرغ منها في عامين، وبرع فيها ما شاء الله، وحوى علمًا بتلك الكتب الفارسية والعلوم المتعارفة فيها.

وبما أوتي من ذكاء مفرط فقد فاق أقرانه في زمن يسير، وأشير إليه بالبنان، وحصلت له ملكة في صياغة الأشعار وإنشاء النثر باللغة الفارسية ولم تتم له بعد عشرة سنوات.[١]

وبعد ما انتهى من قراءة الكتب الفارسية شرع في تحصيل العلوم العربية من النحو والصرف والفقه وأصوله، وكان والده فاضلاً عالمًا في جملة من العلوم الشرعية والآلية، فتعلم الشيخ الكشميري منه هذه العلوم.

وفي خلال دراسته لهذه الكتب الابتدائية يسأل أسئلة يحتاج المدرس في الإجابة عنها إلى مراجعة الكتب العالية، يقول والده:

«إنه كان يسألني أسئلةً في درس "مختصر القدوري"[٢] تصعب عليّ الإجابة عنها بدون مراجعة الكتب المبسوطة. وكنت أمنعه من هذه التدقيقات وأركز عنايته على فهم متن الكتاب، ولكن بدون جدوى»[٣].

ويقول أيضًا:

«إني فوضت دراسته إلى عالم آخر من بلدته فهو أيضًا كان يشكو كثرة سؤالاته»[٤].

---

(١) الأنور، ص ٦٣.

(٢) كتاب في الفقه الحنفي، لأبي الحسين أحمد بن محمد البغدادي القدوري.

(٣) نفحة العنبر، ص ٢٣.

(٤) الأنور ص ٦٥.

وكان من عادة الشيخ الكشميري أنه كان خارج دراسته ساكتًا صامتًا لا يرغب فيما يرغب فيه الأطفال في هذه السنين من الملاعب، وكل هذا ينبئ أن هذا الطفل له شأن آخر في المستقبل، وقد بشَّر بذاك بعض أصحاب الفضل والصلاح.

يقول والده:

«أتيت به إلى شيخ عارف مجاب الدعوة في بلادنا لطلب الدعاء له فلما رآه قال: «سيكون أعلم عصره في العلوم»[(١)].

وكان الشيخ الكشميري خلال دراسته لبعض كتب المنطق يعلق عليه ويكتب بيده رأيه، فلما رآه بعض علماء عصره تفرسوا بأنه سيكون غزالي عصره ورازي دهره.[(٢)]

وحصل الشيخ الكشميري على علوم العربية والفقه والحديث والتفسير بكل فهم وإتقان مما جعله مؤهلا للإفتاء وهو في الثانية عشرة من عمره.

ولما ارتوى وتضلع من علوم كشمير بدا له أن يأخذ بسنة السلف في الرحلة لطلب العلم، فترك أبويه وبلدته بما فيها من مناظر طبعية، وجو ممتع إلى بقاع هزاره من حدود بنجاب بالمغرب الشمالي، وذلك سنة ١٣٠٥هـ. ومكث فيها ثلاث سنوات، يستفيد من الأساتذة المتقنين وحذاق الفنون المتداولة ومهرة العلوم الدراسية في ذلك العصر، وفي ذلك المكان.[(٣)]

بيد أنه لم تقنع نفسه بهذا القدر من العلوم بل اشتاقت إلى مزيد من العلوم فسافر سنة ١٣١٠هـ إلى مهد العلماء الربانيين في الهند آنذاك "الجامعة الإسلامية دار العلوم[(٤)]" بقرية ديوبند. وكانت هذه الجامعة -في ذلك

---

(١) نفحة العنبر ص ٢٣.

(٢) نفحة العنبر ص ٢٤.

(٣) نفحة العنبر ص

(٤) من أكبر الجامعات الإسلامية في شبه القارة الهندية، وهي على نحو ١٥٠كم من الجانب الغربي الشمالي لمدينة دلهي عاصمة الهند. وهي إحدى الجامعات التي خرّجت الفقهاء ===

الوقت- تزخر بكبار العلماء الأفاضل في كل علم، في الحديث الشريف ومصطلحه، وفي التفسير وأصوله، وفي الفقه وأصوله والعلوم العقلية. وكانت هذه الجامعة شمسًا ساطعةً أضاءت منها بقاع الهند، فأحيت السنة النبوية -على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم- دراسة في ساحاتها وفي حياة العلماء وسلوكهم، وأزالت ظلمات البدع المتكاثفة بعد ما تراكمت في تلك البقاع عهودًا طويلة.

أدرك الشيخ الكشميري في هذه الجامعة علماء أفاضل جمعوا إلى علومهم الناضجة وقدراتهم الدقيقة رفق القول، وصالح السلوك والعمل، كانوا أصحاب سنة، وورع، وزهد، وتقوى، أصحاب هيئة ووقار. مكث الشيخ الكشميري في هذا الجو العلمي الصافي، واستفاد منهم علمًا صحيحًا، ورأيًا صائبًا، وشغفًا باتباع السنة وتحصيلها ونشرها، ودرس أمهات الكتب في الحديث والتفسير إلى أن تخرج من هذه الجامعة سنة ١٣١٣هـ عالمًا فاضلاً يشار إليه بالأصابع في علمه وسعة نظره واطلاعه، وورعه وتقواه.(١)

=== والمحدثين الأعلام، والعلماء النوابغ طوال قرن ونصف، وإن علماءها حملة رأية التوحيد في شبه القارة الهندية، ورموز الجهاد والكفاح لنشر السنة وإماتة البدعة والتفاني في سبيل الله، وقد وصفهم القبوريون "بالوهابية"، وعانوا معاناة كبيرة طوال فترة حكم الإنجليز، وإن الانتماء إليها دليل على الالتزام بالسنة والتمسك بمبدأ التوحيد. انظر: تاريخ دار العلوم ديوبند لسيد محبوب رضوي.

(١) نزهة الخواطر ٨/ ٨١، نفحة العنبر ص ٣، نقش دوام ص ٣٠.

المبحث الثاني

شيوخه

للشيخ الكشميري رحمه الله شيوخ كثيرون أخذ عنهم العلم والعمل، واستفاد منهم، ويقتصر حديثي على إيراد أشهر أساتذته ومشايخه.

١- من أشهر أساتذة الشيخ الكشميري الشيخ العالم الكبير محمود حسن الملقب بشيخ الهند في الديار الهندية، شيخ الجامعة بديوبند في ذلك الوقت، قرأ عليه الشيخ الكشميري الجامع الصحيح للإمام البخاري، والجامع للإمام الترمذي، والسنن لأبي داود من كتب الحديث، والجزئين الأخيرين من كتاب الهداية للمرغيناني في الفقه.

يقول تلميذه البنوري:

«سمعت من حضرة شيخنا - رحمه الله- صاحب الترجمة أنه يقول: قرأت صحيح الإمام البخاري، والسنن للإمام أبي داود السجزي، والجامع للإمام أبي عيسى الترمذي والجزئين الأخيرين من الهداية على الشيخ العالم شيخنا المحمود قدس سره»(١).

والشيخ محمود حسن بن ذوالفقار علي كان من أعلم العلماء في العلوم النافعة، وأحسن المتأخرين في الفقه وأصوله، وأعرفهم بالنصوص الشرعية، ولد سنة ١٢٦٨هـ في مدينة "بريلي" ونشأ بديوبند، قرأ العلم على الشيخ يعقوب(٢) بن مملوك علي، وعلى العلامة

---

(١) نفحة العنبر ص ٦.

(٢) يعقوب بن مملوك علي: هو الشيخ العالم المحدث أحد الأساتذة المشهورين في الهند، ولد سنة ١٢٤٩هـ بقرية "نانوته" تولى التدريس في جامعة ديوبند، وكان من كبار الأساتذة في الفقه والحديث والأدب. توفى سنة ١٣٠٢هـ. انظر: نزهة الخواطر ٨/ ٥٢٤.

محمد قاسم[١] النانوتوي، وعلى غيرهما من العلماء، حتى صار بارعًا في العلوم، وتولى التدريس في دار العلوم بديوبند.

وقد وضع خطة لتحرير الهند من الإنجليز ولكن اكتشفت هذه الخطة قبل أن تتحقق وألقى القبض عليه في الحجاز، وظل معتقلاً في سجن مالطة[٢] نحو ثلاث سنوات، ثم عاد إلى الهند ودعا الناس إلى مقاطعة الإنجليز.

وكان الشيخ آية باهرة في علو الهمة وبعد النظر، والأخذ بالعزيمة، وحب الجهاد في سبيل الله. له تعليقات لطيفة على السنن للإمام أبي داود، و "جهد المقل في تنزيه المعز والمذل" باللغة العربية، وكتاب في مسألة إمكان الكذب وامتناعه، و "الأدلة الكاملة في جواب السؤالات العشرة"، و "إيضاح الأدلة"، وهذه كلها باللغة الأردية.

توفى -رحمه الله- ٨ من شهر ربيع الأول سنة ١٣٣٩هـ.[٣]

٢- ومن أساتذة الشيخ الكشميري الشيخ خليل أحمد السهارنفوري. قرأ عليه بعض الكتب، والشيخ خليل أحمد من كبار المحدثين بالهند، ولد في شهر صفر سنة ١٢٦٩هـ. أخذ العلم عن الشيخ يعقوب[٤] النانوتوي،

---

(١) محمد قاسم النانوتوي: أحد العلماء الربانيين، ومؤسس جامعة ديوبند، ولد في سنة ١٢٤٨هـ الموافق ١٨٣٢م، درس في مدارس دلهي وتخرج على كبار علمائها، واشترك في الثورة ضد الإنجليز سنة ١٨٥٧م. له مشاهد عظيمة في المباحثة ضد النصارى والآريين، وله مؤلفات في الرد عليهم، تعتبر من أمهات الكتب في هذه المادة. توفى -رحمه الله- سنة ١٢٩٧هـ الموافق ١٨٧٩م. انظر: نزهة الخواطر ٧/ ٣٨٢.

(٢) مالطة: جزيرة تقع بالقرب من وسط البحر المتوسط نحو ٩٥كم جنوبي صقلية. انظر: الموسوعة العربية العالمية ٢٢/ ١١٣.

(٣) انظر: نزهة الخواطر ٨/ ٤٦٥.

(٤) سبقت ترجمته ص ٣٥.

والشيخ محمد مظهر[١] النانوتوي في جامعة ديوبند ومدرسة مظاهر العلوم بسهارنفور، وعيّن أستاذًا في جامعة ديوبند سنة ١٣٨٠هـ، واستمر على القيام بتدريس الحديث ست سنوات.

وكانت له الخبرة والملكة الراسخة في الحديث وعلومه، وكان من أكبر أمانيه أن يشرح السنن لأبي داود، وتحققت -بتوفيق الله وفضله- هذه الأمنية، وجاء هذا الشرح باسم "بذل المجهود في حل أبي داود" بعد ماستمر في العكوف على إعداد هذا الكتاب عشر سنوات. وله أيضًا من المصنفات. منها: "المهند على المفند" في الرد على البريلوية[٢]، ومطرقة الكرامة على مرآة الإمامة، و"هدايات الرشيد إلى إفحام العنيد" في الرد على الشيعة الإمامية.

وفي آخر عمره سافر إلى المدينة المنورة وبقي هناك حتى وافاه الأجل ١٦ من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٤٦هـ، ودفن بالبقيع.[٣]

٣- ومن أساتذته الشيخ محمد إسحاق الكشميري، قرأ عليه الجامع الصحيح للإمام مسلم، والسنن للإمام النسائي، والسنن للإمام ابن ماجه.

يقول الأستاذ البنوري نقلا عن شيخه[٤]:

---

(١) محمد مظهر النانوتوي: الشيخ المحدث أحد العلماء البارزين في الحديث والفقه، ولد بقرية "نانوته" وسافر للعلم إلى دلهي، فكان عالمًا متبحرًا متقنًا، زاهدًا، بعيدًا عن التكلف. توفى سنة ١٣٠٢هـ. انظر: نزهة الخواطر ٨/ ٤٥٥.

(٢) البريلوية: فرقة صوفية، ولدت في الهند أيام الاستعمار البريطاني، وقد غالى أفرادها في محبة وتقديس الأنبياء والأولياء بعامة، والنبي ﷺ بخاصة، وأضفوا عليهم صفات تعلو بهم عن خصائص البشر. انظر: الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة، ص ٦٩، الندوة العالمية للشباب الإسلامية، الطبعة ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

(٣) انظر: نزهة الخواطر ٨/ ١٣٣، تذكرة الخليل لعاشق إلهي الميرتهي، مكتبة قاسمية، سيالكوث، ١٩٦٩م.

(٤) نفحة العنبر ص ٦.

«قرأت "الصحيح" للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، وسنن الإمام النسائي الصغرى، وسنن الإمام ابن ماجه القزويني على الشيخ محمد إسحاق الأمرتسري»[١].

---

(١) لم نجد فيما بين أيدينا من المراجع ترجمة الشيخ محمد إسحاق الأمرتسري، غير أنه من تلامذة خير الدين الآلوسي، وهو تلميذ أبيه السيد محمود الآلوسي صاحب روح المعاني. انظر: ملفوظات الشيخ الكشميري ص ٢٧٥.

المبحث الثالث

رحلته إلى الحرمين الشريفين

يشتاق كل مؤمن بالله ورسوله إلى زيارة الحرمين الشريفين، ويغريه الحنين إلى رؤية هذه البقاع الطاهرة.

والشيخ الكشميري -رحمه الله- أيضًا كان يزداد غرامه كل حين إلى زيارة الحرمين الشريفين، حتى وفق لتحقيق هذه الأمنية المباركة الكامنة في نفسه سنة ١٣٢٣هـ، فمكث بمكة المكرمة عدة شهور، يُطفئ ضرام وجده بعبادة الله، والطواف حول بيته المشرف داعيًا، باكيًا ليلاً ونهاراً.

ثم حنه داعي الشوق إلى المدينة المنورة فشدّ الرحيل إلى زيارة مسجد الرسول ﷺ، وبقي فيها برهة من الدهر.

اغتنم الشيخ الكشميري فرصة بقائه في الأرض المقدسة، فلقي أكابر علماء البلاد الإسلامية وذاكرهم وناقشهم في القضايا المهمة المعاصرة، فشهدوا له بفضله وعلمه، واعترفوا بعظمته، ونال الشيخ الكشميري لديهم منزلة سامية.

ومن بين هؤلاء الأفاضل الشيخ الفاضل حسين الطرابلسي(١)، قابله الشيخ الكشميري بل جاوره، فأثنى عليه ثناءً حسنًا، ونوه بشأنه ما يدل على أنه وقع منه بمكانة عالية، وأجازه بأسانيده في الحديث، وكتب له ورقة الإجازة بيده.

واغتنم الشيخ الكشميري فرصة بقائه في المدينة المنورة، وقربه من

---

(١) حسين الطرابلسي: هو حسين بن محمد بن مصطفى الجسر. عالم بالفقه، والأدب، ولد في بيت علم في طرابلس وتعلم بها، ثم رحل إلى مصر، فدخل الأزهر سنة ١٢٧٩هـ، واستمر به إلى ١٢٨٤هـ، ثم عاد إلى طرابلس، وتوفى بها.

له مؤلفات. منها: "الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية" و "إشارات الطاعة في حكم صلاة الجماعة". انظر: الأعلام للزركلي ٢/ ٢٥٨.

المكتبات فيها، خاصة مكتبة شيخ الإسلام "عارف حكمت" و"المكتبة المحمودية"، فانكبّ على مطالعة نوادرهما ونفائسهما من كتب الحديث والتفسير وغيرهما حتى طفح صدره بعلوم تلك الأسفار الزاخرة.

ثم عاد الشيخ الكشميري إلى وطنه "كشمير" يطوي في ضميره الرجوع إلى الحرمين الشريفين، والمجاورة في مدينة الرسول ﷺ حتى لقاء اللّه تعالى.[1]

(١) نفحة العنبر ص ٩-١٠، نزهة الخواطر ٨/ ٨١.

الفصل الرابع

اشتغاله بالتدريس وأهم تلامذته

وتحته مبحثان:

المبحث الأول: اشتغاله بالتدريس

المبحث الثاني: أهم تلامذته.

المبحث الأول

اشتغاله بالتدريس

كان الشيخ الكشميري -رحمه اللّه- لا يحب السمعة والشهرة بل يرى أن يعيش خاملاً، عاكفًا على مراجعة ومطالعة الكتب، ولكنه اضطر إلى العمل. فبعد أن تخرج واكتملت معارفه وتفرس فيه بعض الأفاضل مخايل النجابة فتقدم إليه صديقه الشيخ أمين الدين الدهلوي[(١)] راجيًا أن ينهض بتأسيس مدرسة عربية في دلهي، فاستجاب لذلك وأسس فيها "المدرسة الأمينية"[(٢)] نسبة إلى صديقه أمين الدين. والشيخ الكشميري هو أول من تبرع[(٣)] للمدرسة بإعطاء عشر روبيات.

وشاع صيت هذه المدرسة في أقطار الهند، وقصدت من كل جانب، وبدأ الشيخ الكشميري يدرس بنفسه فيها الحديث والتفسير والبيان والمعقول، وبقي على التدريس والإفادة حوالي خمس سنوات، وتخرج على يديه كثيرون الذين غدوا من بعد من كبار العلماء.[(٤)]

وبعد مضي هذه المدة أغراه الحنين إلى مولده وبلده كشمير فعزم على الرحيل بعد ما اطمأنت نفسه إلى بُسُوق المدرسة الأمينية واستكمال وجودها، فتوجه إلى كشمير، ولما رأي ما سادَ أهل كشمير من غلبة الجهل والشغف بالبدع والرسوم المحدثة باندراس المدارس ومعالم السنة فبدأ الشيخ الكشميري بالدعوة والموعظة لإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

---

(١) أمين الدين الدهلوي: الشيخ العالم أمين الدين بن محمد إسماعيل، أحد العلماء العاملين الصالحين، ولد بإقليم الدكن، وسافر إلى جامعة ديوبند للدراسة سنة ١٣٠٩هـ، وبعد أن أتم الدراسة سافر إلى دلهي، وأسس بها مدرسة، توفى سنة ١٣٣٨هـ. انظر: نزهة الخواطر ٨/ ٧٨.

(٢) لا تزال هذه المدرسة مستمرة في القيام بخدماتها في سبيل نشر الدين.

(٣) أكثر المدارس الدينية في الهند تقوم على تبرعات المسلمين بدون أي مساعدة من الحكومة.

(٤) نفحة العنبر ص ٧-٨.

ثم بدا له أن يؤسس مدرسة دينية، فأسس بها مدرسة "الفيض العام" لتعليم الدين الإسلامي وخدمة السنة النبوية، وتولى الشيخ بنفسه التدريس والإفتاء، ونصح الأمة قلمًا ولسانًا، وأرشدهم إلى الصراط المستقيم، وأزال كثيرًا مما راج هناك من البدع والرسوم المحدثة، فانقشعت بفضل من الله ثم بجهوده المتواصلة سحائب الجهل المتراكمة، وحلت محلها آثار السنة النبوية.[١] ولكن من سوء الحظ لأهالي كشمير لم يقدر لهذه المدرسة البقاء لمدة طويلة؛ وذلك لعدم إقبال مسلمي كشمير على التعليم وعدم مساعدتهم، وأقلقت الشيخ الكشميري هذه الظروف وتأذّى به، وأراد الهجرة إلى المدينة المنورة والإقامة في هذه البقعة الطيبة، فترك كشمير وأراد أن يزور شيخه الشيخ محمود حسن[٢] -رحمه الله- في سفره إلى المدينة المنورة.

فلما بلغ الشيخ الكشميري إلى ديوبند لزيارة شيخه فأخبره بما يريد من الهجرة وكان شيخه قد تفرس فيه آثار النجابة الباهرة ومخايل الكرامة فأمره بفسخ العزم وأبرم عليه الإقامة في ديوبند. وفوض إليه تدريس الجامع الصحيح للإمام مسلم، والسنن للإمام النسائي، والسنن لابن ماجه في جامعة ديوبند، فنهض بها الشيخ الكشميري على خير وجه واستمر على ذلك إلى سنة ١٣٣٢هـ.

ولما أراد الشيخ محمود حسن السفر إلى الحرمين الشريفين للمفاوضة في طرد الإنجليز من الهند في حركته الشهيرة، ففوض إليه تدريس الجامع الصحيح للبخاري، والسنن لأبي داود، والجامع للترمذي.

فبقي الشيخ الكشميري يدرس أمهات الكتب في الحديث النبوي في جامعة ديوبند، وقام بمهمته في رحاب هذه الجامعة أحسن قيام، وجرت من قلبه وفمه ينابيع الحكمة ومنابع العلم والمعرفة، حتى استفاد منه رجال من

---

(١) نفحة العنبر ص ٢٨، الأنور ص ١٣٠، نقش دوام ص ٣٥.

(٢) سبقت ترجمته.

الأفاضل وأماثل العصر، وتضلع من لا يُحصى عددًا من الأصاغر والأكابر. وتخرج في تلك المدة ما بين سنة ١٣٢٨هـ وسنة ١٣٤٦هـ أكثر من ألفي عالم ممن قرأوا عليه أمهات الكتب في الحديث.[١]

وفي سنة ١٣٤٦هـ استقال الشيخ الكشميري من رئاسة التدريس ومشيخة الحديث في جامعة ديوبند، فاكتنفته الدعوات وتقدم الرجال بالطلب من كل جهة للتدريس حتى أغروه برواتب سامية وخدمات متوفرة، ولكن قدر الله أن يمتطى الشيخ الرحيل إلى ولاية غجرات بالهند، فوصل في آخر سنة ١٣٤٦هـ إلى قرية "دابيل"[٢]، وبقي هناك خمس سنوات عاكفًا على التدريس والإفادة، والدعوة والموعظة.[٣]

يصور البنوري ما قام به الشيخ الكشميري هناك قائلاً:

«بقي الشيخ -رحمه الله- فيها خمس سنين، يجود بحره الزاخر بحقائقه ومعارفه الإلهية، وتجري ينابيع السنة النبوية من فيه، وصدره، ويعظ الناس في الجُمعات، والمجامع الحافلة بعظات بليغة، مؤثرة في النفوس، حتى كنا نشاهد أن العيون تذرف دموعها، وأن القلوب تكاد تطير صدوعها، إلى أن أصبح كثير من الرسوم والبدعات المحدثة ببركته هباءً منثوراً، ونبتت في كثير من القلوب محبة أهل العلم، وخدمة الدين، والذب عن حريمه بما تيسر وأمكن، وكيف لا؟ وحضّ الناس على الخير، ودعاهم إلى الحق، وأضحى نفسه لهم أسوة، وورعًا وتقوى، وعلمًا وعملاً، وزهدًا في الدنيا وإيثاراً للآخرة، فرحمه الله رحمة واسعة»[٤].

---

(١) نفحة العنبر ص ١٢، نقش دوام ص ٣٧.

(٢) دابيل: قرية في مديرية بلسار بولاية غجرات على بعد ١٥٠ ميل من بومباي.

(٣) نزهة الخواطر ٨/ ٨١-٨٢.

(٤) نفحة العنبر ص ١٨.

المبحث الثاني

أهم تلامذته

لقد كان لملازمة الشيخ محمد أنور شاه الكشميري للتدريس في المدرسة الأمينية وفي جامعة ديوبند ولشيوع صيته وسمعته العلمية سبب كبير في كثرة تلاميذه وتخريجه أفواجًا كثيرة من العلماء في شتى المعارف والعلوم، ولقد تجاوز عدد من قرأ عليه واستفاد منه أكثر من ألفين.

وسوف يقتصر حديثي على ذكر من برز واشتهر لنرى مدى انتشار الأثر العلمي للشيخ الكشميري. فمنهم :-

١- الشيخ بدر عالم الميرتهي:

هو من العلماء الكبار الذين هاجروا من الهند إلى المدينة المنورة، واستوطنوا بها. ولد سنة ١٣١٦هـ الموافق ١٨٩٨م، اشتغل أولاً بتحصيل العلوم العصرية ثم رغب في تحصيل العلوم الشرعية، ودرس كتب الحديث من الشيخ الكشميري، واستفاد منه، وأخيرًا هاجر إلى المدينة المنورة، وتوفى هناك، ودفن بالبقيع.

وكان له شغف بالحديث النبوي، وألف كتابًا "ترجمان السنة" في الحديث باللغة الأردية، لم يسبق له نظير بهذه اللغة، وقام بجمع إفادات الشيخ الكشميري العلمية في كتاب "فيض الباري"، وله مؤلفات عدة في الرد على القاديانية(١) (٢).

٢- المفتي محمد شفيع:

هو محمد شفيع بن محمد ياسين. ولد سنة ١٣١٤هـ في أسرة علمية، وحفظ القرآن الكريم، وتلقى الدراسية الابتدائية عن أبيه، ثم التحق بجامعة

---

(١) القاديانية: سيأتي الحديث عنها في الباب الثاني.

(٢) دار العلوم ديوبند إحياء إسلام كي عظيم تحريك، للأسير أدروي ص ٢٥٧.

ديوبند، وأتم المنهج الدراسي على الأساتذة الموجودين في تلك الجامعة وعلى رأسهم الشيخ الكشميري، فاستفاد منه كثيراً، ثم تولى منصب الإفتاء في هذه الجامعة، واستمر ثماني سنوات.

وبعد انقسام الهند هاجر المفتي محمد شفيع إلى كراتشي بباكستان، وأسس بها مدرسة، وعين عضواً في الجمعية الخاصة بوضع القوانين الشرعية. له مؤلفات قيمة في التفسير، والحديث، والفقه، والرد على القاديانية، والقضايا المستحدثة المعاصرة.

توفي المفتي بكراتشي يوم ١٠ من شهر شوال سنة ١٣٩٦هـ إثر نوبة قلبية[(١)].

٣- محمد يوسف البنوري:

هو: محمد يوسف بن السيد زكريا بن السيد مير مزمل شاه. ولد سنة ١٣٢٦هـ الموافق ١٩٠٨م. تلقى الدراسة الابتدائية في كابل بأفغانستان، وأكمل المتوسطة في بيشاور، ثم سافر إلى جامعة ديوبند للدراسة، ثم بعد استقالة الشيخ الكشميري من رئاسة التدريس في جامعة ديوبند ذهب البنوري معه إلى مدرسة دابهيل، واستفاد من الشيخ الكشميري، وتخرج من هذه المدرسة. بعد التخرج اشتغل في الخدمات الاجتماعية والملية ببشاور، وبعد وفاة الشيخ الكشميري حل محله في التدريس في مدرسة دابهيل.

وبعد انقسام الهند سافر إلى كراتشي، وأسس بها مدرسة طار صيتها، وصارت من المدارس الشهيرة بباكستان. وله مؤلفات قيمة، من أشهرها "معارف السنن" في شرح سنن الترمذي، ولكنه لم يكتمل هذا الشرح حيث وافاه الأجل سنة ١٩٧٧م.

شارك في مؤتمر العالم الإسلامي بالقاهرة ومؤتمر رابطة العالم الإسلامي

---

(١) نقوش رفتگان لمحمد تقي عثماني، ص ٦٥، مكتبة جاويد، ديوبند ١٩٩٤م.

بمكة المكرمة عدة مرات .

ومما هو جدير بالذكر أن الفضل في إصدار قرار رسمي من حكومة باكستان في القاديانيين أنهم أقلية غير مسلمة يرجع بعد اللّه -سبحانه وتعالى- إليه . فقد أثمرت جهوده الطيبة المتواصلة وآتت أكلها . رحمه اللّه رحمة واسعة .(١)

٤- الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي:

هو محمد إدريس بن الحافظ محمد إسماعيل . ولد سنة ١٣١٧هـ الموافق ١٩٠٠م في مدينة بهوفال(٢) . حفظ القرآن الكريم ثم تلقى الدراسة الابتدائية، ودرس كتب الحديث والتفسير من الشيخ خليل أحمد(٣)، والشيخ الكشميري، واستفاد من علومهما، وعين مدرساً في المدرسة الأمينية بدلهي، ثم في جامعة ديوبند، واستمر في التدريس بها تسع سنوات .

وبعد انقسام الهند هاجر إلى باكستان، وتولى منصب مشيخة الحديث في الجامعة العباسية ببهاولفور، ثم في الجامعة الأشرفية بلاهور .

قضى حياته في خدمة الحديث النبوي، والتصنيف والتأليف حتى تجاوز عدد مؤلفاته مائة . ومن أشهرها : "التعليق الصبيح" في شرح مشكاة المصابيح، و"سيرة المصطفى"، و"الخلافة الراشدة"، و"الإسلام والنصرانية" . توفي -رحمه اللّه- سنة ١٣٩٤هـ الموافق ١٩٧٤م .(٤)

---

(١) انظر : مجلة "البينات" الصادرة من كراتشي، عدد خاص بحياة البنوري، لشهر يناير وفبراير لعام ١٩٧٨م .

نقوش رفتگان، لمحمد تقي عثماني، ص ٨٥، مكتبة جاويد، ديوبند، ١٩٩٤م .

(٢) بهوفال : مدينة هندية، عاصمة ولاية ماديا براديش .

(٣) سبقت ترجمته .

(٤) انظر : مجلة "الرشيد" عدد خاص عن جامعة ديوبند، ص ٢١٩، الصادرة من الجامعة الرشيدية ساهيوال بباكستان .

٥- المحدث حبيب الرحمن الأعظمي:

أحد العلماء البارزين المشهورين في علم الحديث في الديار الهندية، ولد سنة ١٣١٩هـ. وبعد ما أخذ مبادئ العلم في مدينته التحق بجامعة ديوبند سنة ١٣٣٧هـ، لإكمال دراسته، واستفاد من علوم الشيخ الكشميري -رحمه الله- والشيخ الأعظمي له مكانة عظيمة في التفسير والحديث والفقه والأدب، ولكن تمتاز شهرته في علم الحديث ورجاله. وقد قام بدراسة وتحقيق مجموعة من الكتب القيمة في الحديث، وأشاد العلماء في الهند وخارجها بجهوده، واعترفوا بفضله ونبوغه في هذا العلم. ومن هذه الكتب:

١- المصنف لعبد الرزاق، المتوفى سنة ٢١١هـ.

٢- كتاب السنن لسعيد بن المنصور، المتوفى سنة ٢٢٧هـ.

٣- كتاب الزهد والرقائق لعبد الله بن مبارك، المتوفى سنة ١٨١هـ.

٤- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية للحافظ ابن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢هـ.

٥- كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي، المتوفى سنة ٨٠٧هـ.

٦- المسند للحميدي، المتوفى سنة ٢١٩هـ.

بالإضافة إلى عدة كتب باللغة الأردية. نالت إعجابًا وقبولا في الأوساط العلمية، توفي - رحمه الله- العاشر من شهر رمضان المبارك ١٤١٢هـ، الموافق ١٦ مارس ١٩٩٢م.(١)

٦- محمد منظور النعماني:

أحد العلماء المشهورين في الهند، أخذ مبادي التعليم في قريته، ثم التحق بجامعة ديوبند سنة ١٣٤٣هـ، ومكث فيها سنتين، وقرأ على الشيخ الكشميري، واستفاد منه كثيراً، وتخرج سنة ١٣٤٥هـ.

---

(١) انظر: مجلة "ترجمان الإسلام" العدد الحادي عشر، والعدد الثاني عشر، الصادرة في شهر يوليو لعام ١٩٩٢م، عن الجامعة الإسلامية، بنارس - الهند.

قضى حياته في الدعوة، والإصلاح، والتأليف والتصنيف، وفي الرد على الفرق الباطلة كالبريلوية، والشيعة. وله مؤلفات نافعة، ومن أهمها: "معارف الحديث" في ثمانية مجلدات، وهو: مجموعة من الأحاديث النبوية مع الشرح باللغة الأردية، لا يستغنى عنها عالم.

توفي -رحمه الله- ٢٦ ذي الحجة لعام ١٤١٧هـ.[1]

---

(١) انظر: مجلة "الفرقان" عدد خاص بحياة محمد منظور النعماني.

الفصل الخامس

ثقافته ومؤلفاته

وتحته مبحثان:

المبحث الأول: ثقافته.

المبحث الثاني: مؤلفاته.

المبحث الأول

ثقافته

لقد كان الشيخ محمد أنور شاه الكشميري عالمًا، واسع الثقافة، فكان عالمًا بالقرآن وتفسيره، وعالمًا بالسنة وعلومها، وعالمًا بالفقه وأصوله، وعالمًا بالعقائد وأصول الدين، عالمًا باللغة العربية وآدابها، عالمًا باللغة الفارسية وقواعدها، عالمًا بالعلوم العقلية، حتى شهد له بذلك أولو العلم والفضل.

يقول الشيخ المحدث حسين أحمد المدني[١]:

«لم أر مثله في الاستبحار، والإحاطة بسائر العلوم النقلية والعقلية بالهند، ولا بالحجاز، والعراق، والشام مع أني رأيت ولاقيت أعاظم رجال هذه البلاد وعلماءها، وفضلاءها»[٢].

١- معرفته للقرآن:

لقد نزل القرآن الكريم على رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ فتلقفه الصحابة -رضي الله عنهم- والتابعون، وتابعوهم إلى يومنا هذا، يتلونه، ويحفظونه، ويتدبرون في آياته، ويفسرونها، ويستنبطون الأحكام منها، فماذا كان نصيب الشيخ الكشميري من هذا؟

لقد حظى الشيخ الكشميري من هذا بالنصيب الأوفر، فكانت بداية دراسته بالقرآن العظيم، فقرأه وهو في الخامس من عمره، وكان يتلو القرآن

---

(١) حسين أحمد المدني: الشيخ العالم المحدث. ولد سنة ١٢٩٦هـ، أخذ العلم عن العلامة محمود حسن، وتفقه عليه، ولازمه مدة طويلة، هاجر إلى المدينة المنورة مع أبيه، ودرّس في مدينة الرسول ﷺ الحديث، والتفسير، والفقه محتسبًا، متطوعًا. دخل في الثورة السياسية ضد الإنجليز مع أستاذه، وحكم عليه بالسجن، كان من نوادر العصر صدقًا وإخلاصًا. انظر: نزهة الخواطر ٨/ ١١٥.

(٢) نفحة العنبر ص ٢٣٠.

الكريم في شهر رمضان بغاية التدبر، وكثيراً ما يتوقف عند آية يتفكر ويتدبر فيها، وأحيانًا كان يبقى سنين في التأمل في بعض الآيات القرآنية حتى يبلغ إلى درك البحر، فيخرج اللآلي المكنونة فيه.

وكان من عادته إذا عرضت له أية مشكلة في فهم آية من آيات القرآن أن يتفقد لحلها أسفار علماء الأمة الذين لهم عناية بحل مثل هذه المشكلات، فإن فاز بشيء أحال عليه في مذكرته، وإلا كان يطيل النظر والفكر حتى يصل إلى الحقيقة.

وكان رحمه الله يقول:

«لا ريب إن حق القرآن ليس مما يقوم بإيفائه المخلوق»(١).

وكان يقول:

«تفسير القرآن هو حل نظمه الجزيل بحيث يستغني عن تكلفات وتقديرات، ويبقى تعبيره المعجز على سذاجة فطرية أوفى بالغرض بما يقتضيه جزالة التنزيل وفخامة شأنه الجليل»(٢).

وكان يقول:

«إن مشكلات القرآن تربو على مشكلات الحديث، بيد أني أتأسف على أنه لم تخدم الأمة القرآن مثل خدمة الحديث، وكان الاعتناء به أهم منه بالحديث»(٣).

وكان يقول:

«ليس موضوع القرآن استيعاب التاريخ والوقائع كلها، فالإيجاز في مقام، والإطناب في آخر، والتقديم في أجزاء الواقعة في موضوع، والتأخير

---

(١) نفحة العنبر ص ٣٨.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٣) المصدر نفسه والصفحة.

في آخر لحكَم وأسرار ربما تقصر عنها الأفكار، وللتنزيل في ذلك خصائص دقيقة تحتاجَ إلى غور بعيد، وتدبر طويل»[١].

وللشيخ الكشميري كتاب في "مشكلات القرآن"، وهو عبارة عن تفسير للآيات المشكلة من القرآن. وهو يحتوي على نكات ودقائق، وعلوم وحقائق.

٢- معرفته للحديث:

لقد قضى الشيخ الكشميري -رحمه الله- معظم حياته في الحديث وعلومه تعلمًا وتعليمًا، وطالع من كتب الحديث ما تيسر له من كتب متون الحديث وشروحه بعد الكتب الستة من المسند للدارمي، والمسند للإمام أحمد ابن حنبل، والمنتقى لابن الجارود، والمستدرك للحاكم، والسنن للدار قطني، والمصنف لابن أبي شيبة، ومجمع الزوائد للهيثمي، والجامع الصغير للسيوطي، وكنز العمال لحسام الدين علي المتقي وغيرها مما وفقه الله لمطالعته من المطبوعات والمخطوطات في مكتبات الهند والحرمين الشريفين.

وطالع من كتب شروح الحديث ما يزيد على مائتين، وقرأ من شروح الجامع الصحيح للإمام البخاري نحو ثلاثين شرحًا، وكان يفضل فتح الباري لابن حجر على سائر الشروح مع استدراكاته عليه في بعض المباحث.[٢]

وكان الشيخ الكشميري -رحمه الله- على قدر كبير في علم الجرح والتعديل، فهو كان يبحث عن أحوال الرواة في أسانيد الحديث أثناء التدريس ويشرح شرحًا وافيًا كما يتضح ذلك في أماليه "فيض الباري".

٣- معرفته للعقيدة:

إن العقيدة الإسلامية مما اهتم به العلماء قديمًا وحديثًا للحفاظ عليها، وبذلوا كل غال ورخيص في سبيل بقائها نقية صافية كما هي مستمدة من

---

(١) نفحة العنبر ص ٣٨.

(٢) نفحة العنبر ص ٤٨.

الكتاب والسنة، ودافعوا عنها كل المخالفات، والتيارات المعادية لها التي قام بها أعداء الدين من الكفرة والزنادقة.

والشيخ الكشميري -رحمه الله- أيضًا كان ممن له جهود طيبة مثمرة في الحفاظ على عقائد الإسلام، ولأجل ذلك قد أحاط علمًا بالأناجيل وأسفار العهد القديم، ودرس التوراة، وكان يحفظ عدة فقرات منها مما يتعلق ببشارة رسالة محمد ﷺ. وقد أفحم بعض القساوسة بكشمير في المباحثة والمناقشة حول رسالة محمد ﷺ ببعض الآيات التي قدّمها عن العهد القديم والجديد. وفي الحفاظ على قضية ختم النبوة بنبوة محمد ﷺ وفي إثبات قضايا أخرى له جهود طيبة، وآراء. كما سيأتي ذكرها في الباب الثاني عند ذكر آرائه الاعتقادية.

٤- معرفته للفقه:

لقد قطع الشيخ الكشميري -رحمه الله- شأوًا بعيدًا في علم الفقه. ومما يدل على صحة علمه بالفقه أنه طالع كثيرًا من كتب الفقه من مؤلفات الإمام محمد بن الحسن الشيباني(١) والإمام الطحاوي(٢) رحمهما الله.

يقول الشيخ الكشميري فيما حكاه عنه تلميذه البنوري:

«إني طالعت "المختصر" للطحاوي نحو عشرين مرة ومع ذلك لم يشتف صدري في مواضع كثيرة»(٣).

---

(١) محمد بن الحسن الشيباني: هو العلامة، فقيه العراق، صاحب أبي حنيفة. ولد بواسط، ونشأ بالكوفة، وأخذ الفقه عن أبي حنيفة وأبي يوسف، وأخذ عنه الإمام الشافعي. ولي القضاء بعد أبي يوسف في عهد هارون الرشيد، ومع تبحره في الفقه يضرب بذكائه المثل. انظر: سير أعلام النبلاء ٩/ ١٣٤.

(٢) الطحاوي: هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الحنفي. ولد سنة ٢٣٩هـ، برز في علم الحديث والفقه، من مؤلفاته: معاني الآثار، ومشكل الآثار، والعقيدة الطحاوية. انظر: سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٧.

(٣) نفحة العنبر ص ٨٦.

وهكذا طالع ما تيسر له من الكتب المطبوعة والمخطوطة في مكتبات الهند ومصر، ومما يدل على مدى تفقهه في علم الفقه أن العلماء بكشمير يراجعونه في المسائل المشكلة ويستفتونه.

يقول الشيخ الكشميري:

«أفتيت بكشمير للمفتيين والعلماء في الفتاوي المشكلة وفي المسائل التي تختلف فيها آراؤهم ثلاث سنين كاملة، ولم أفتقر لمراجعة كتاب في تلك البرهة»[١].

ثم هو لم يكتف بمطالعة الكتب في الفقه الحنفي بل طالع كثيراً من الكتب في الفقه المالكي، والشافعي والحنبلي أيضاً. وكان يثني كثيراً على ذكاء الإمام الشافعي وحسن تأليفه لكتابه "الأم"، وكان يقول:

«كلما أطالع كتاب "الأم" يقع في قلبي أن الإمام الشافعي -رحمه الله- من أذكياء الأمة»[٢].

وكان يقول:

«أقدر على تلخيص أي كتاب من الكتب إلا كتاب "الأم"»[٣].

ومع ترجيح المذهب الحنفي لديه لقوة الدليل يعترف بفضل الأئمة المجتهدين الآخرين ويقدر جهودهم الفقهية، وكان يوجه طلبة العلم إلى احترامهم وتقديرهم. وكان يقول:

«كلهم أئمة، قدوة، ولنا فيهم أسوة، ولكل وجهة هو موليها»[٢].

٥- معرفته للعلوم العقلية:

إن العلوم العقلية مما يساعد على فهم العلوم النقلية، ولذلك اعتنى

---

(١) المصدر نفسه والصفحة.

(٢) نفحة العنبر ص ٨٧.

(٣) نفحة العنبر ص ٨٧.

(٤) نفحة العنبر ص ٩٦.

المتقدمون بالحصول عليها، فهذه العلوم العقلية بمنزلة الآلة للعلوم النقلية. والشيخ الكشميري أيضًا صرف همته إلى تحصيلها وسعى سعيًا حثيثًا في مطالعة الكتب في المنطلق والفلسفة الطبعية والإلهية، ودرس من كتب الفلسفة "الشفاء" و"النجاة" و"التعليقات" و"الإشارات" لابن سينا.

وكذلك اطلع على الكتب التي ترجمت باللغةالعربية من اللغتين الإنجليزية والفرنسية، فحصل له إلمام بالفلسفة الجديدة وآراء العلماء المعاصرين فيها.

وكذلك أحاط علمًا بكتب المحققين المتقدمين الذين كتبوا في العلوم العقلية كالإمام الغزالي(١)، وفخر الدين الرازي(٢)، وشيخ الإسلام ابن تيمية(٣)، والإمام الشاه ولي اللّه الدهلوي(٤) وغيرهم من المحققين الذين لهم باع طويل في العلوم العقلية. وكان يثني كثيرًا على شيخ الإسلام ابن تيمية

---

(١) الغزالي: هو الشيخ الإمام، حجة الإسلام، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي الشافعي الغزالي، برع في المذهب، والأصول، والجدل، والمنطق، وقرأ الحكمة والفلسفة، وتصدى للرد عليهم، صاحب التصانيف، والذكاء المفرط. توفى سنة ٥٠٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٣٢٢/١٩.

(٢) فخر الدين الرازي: هو محمد بن عمر بن الحسين. ولد سنة ٥٤٤هـ، عالم زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. له مؤلفات في التفسير، والعقيدة، والمنطق، والفلسفة، وانتشرت تواليفه في البلاد شرقًا وغربًا. وكان يتوقد ذكاءً. توفى سنة ٦٠٦هـ بهراة. انظر: الأعلام للزركلي ٦/ ٣١٣، سير أعلام النبلاء ٢١/ ٥٠٠.

(٣) ابن تيمية: هو شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن السلام بن تيمية الحمراني. ولد في حران، وانتقل إلى دمشق فنبغ واشتهر، سجن مرات من أجل فتاواه، كان داعية إصلاح الدين، آية في التفسير، والعقائد، والأصول، فصيح اللسان، مكثرًا من التصنيف. توفى في سجن القلعة بدمشق سنة ٧٢٨هـ. انظر: الأعلام للزركلي ١/ ١٤٤.

(٤) الشاه ولي اللّه: هو الشيخ الإمام الهمام ولي اللّه بن عبد الرحيم الدهلوي، ولد سنة ١١١٤هـ، أخذ العلوم عن والده، ثم سافر إلى بلاد الحرمين الشريفين واستفاد من العلماء هناك، قضى على كثير من البدع والخرافات في الهند، ونشر علوم الكتاب والسنة، لقد أكرمه اللّه بنعم كثيرة، صنف في العلوم العديدة فأجاد، من أشهر تصانيفه "حجة اللّه البالغة" "إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء". توفى سنة ١١٧٦هـ بمدينة دلهي. انظر: نزهة الخواطر ٣٩٨/٦.

في تبحره في العلوم والمنطق والفلسفة مع بعض التعقيب عليه في بعض المسائل.[١]

٦- معرفته للغة العربية وآدابها:

كان الشيخ الكشميري يملك ملكة راسخة في اللغة العربية، فله أشعار وأبيات باللغة العربية في عدة مناسبات، ونظّم بعض أصول الفقه، وله كتاب منظوم في علم التوحيد وعلم الكلام، وله أشعار في رثاء بعض شيوخه.

وكان الشيخ الكشميري يرتجل الأشعار. ومما يدل على ذلك أنه اجتمع مع غيره من العلماء الأفاضل للمناقشة والمباحثة مع القاديانيين، فاشترط القاديانيون أن تكون هذه المباحثة باللغة العربية، فأجابهم الشيخ الكشميري قائلا: تكون هذه المباحثة باللغة العربية شعراً لا نثراً، فولى القاديانيون هاربين.[٢]

وقد حصلت له هذه القدرة إرثًا من أسرته، فقد كان أبوه وإخوته من الشعراء، بالإضافة إلى منطقة كشمير، فإن جمالها الطبيعي من الأنهار والأودية والجبال والجو اللطيف يحمل أبناءها على صياغة الأشعار.

والفضل في سعة ثقافته وعلومه يرجع إلى اللّه تعالى، ثم إلى فرط ذكائه وقوة حفظه، فإن الشيخ الكشميري قد رزقه اللّه من الذكاء والحافظة ما يندر نظيره في العصر القريب، حتى قال هو:

«إذا طالعت كتابًا مرتجلاً ولم أرد ادخار مباحثه يبقى في حفظي إلى خمس عشرة سنة»[٣].

وشهد له علماء عصره بأنه مكتبة حية تمشي على الأرض، ولذلك يراجعه العلماء الأفاضل في حل مشكلة علمية إذا عجزوا عن حلها.

---

(١) نفحة العنبر ص ٩٥.

(٢) الأنور ص ٤٢٨.

(٣) نفحة العنبر، ص ٢٦.

يقول الشيخ شبير أحمد العثماني[١]:

قد اعتاص على حل فتنة سيدنا داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام عند تحرير "فوائد التنزيل العزيز" فتصفحت أسفار القوم من جميع مظانها، وأجلت قداح النظر في أنجادها وأغوارها، واستنفدت جهدي في الاستقراء البالغ حتى بقيت في حل هذه العقدة العويصة نحو خمسة عشر يومًا، فما صادفت ما يشفي صدري، وينقع غلتي بما يناسب عظمة شأن الأنبياء عليهم السلام، وعصمتهم ووجاهتهم، وما يلائم نظم التنزيل المعجز وسياقه البليغ حتى عييت فيه فراجعته حضرة الشيخ أنور -رحمه اللّه- وكان مريضًا ذا فراش وكشفت له عن الحال والداء العضال، فقال -رحمه اللّه- مرتجلاً مقتضبًا:

أخرج أبو عبد اللّه الحاكم في مستدركه أثرًا لابن عباس رضي اللّه عنهما وهو يفيد في انحلال هذه العقدة فراجعه لعله يشفي صدرك، وهو أحسن ما روي في هذا الباب.

يقول العثماني: فراجعته وتأملته فسقى غلتي وشفى علتي، وانحلت به عقدتي.[٢]

ومثل هذه الوقائع كثيرة لا يسع المقام لسرده. ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء، واللّه ذو الفضل العظيم.

---

(١) شبير أحمد العثماني بن فضل الرحمن العثماني: أحد كبار علماء ديوبند، ولد ١٠ محرم سنة ١٣٠٥هـ المطابق ١٨٨٥م، تخرج على الشيخ محمود حسن، وشارك في تأسيس الجامعة الإسلامية بدابهيل، وتولى رئاسة تدريس الحديث فيها، كان مولعًا بالقرآن والحديث، فسر القرآن باللغة الأردية، وشرح صحيح مسلم باسم "الفتح الملهم" باللغة العربية ولكن حال الأجل دون إتمامه، وهو مطبوع. توفى ٢١ صفر سنة ١٣٦٩هـ المطابق ١٣ دسمبر ١٩٤٩م. انظر: إسلامي انسائيكلو پيڈيا، ص ٩٧٦، شاه كار بك فاؤنڈيشن، كراچي، وخطبات عثماني ص ٩،٧، ناشر: نذر سنز، لاهور - باكستان..

(٢) نفحة العنبر، ص ٢٥.

المبحث الثاني

مؤلفاته

أ - مؤلفاته المطبوعة:

لقد كان الشيخ الكشميري كما قدمنا واسع الثقافة، مشتغلاً بالعلم والتعليم، قضى معظم حياته في الدرس والتدريس، وكان اهتمامه بالتأليف والتدوين محدوداً، ولو أنه صنف علومه ومعارفه -كغيره من العلماء- لترك لنا ثروة علمية كبيرة من المؤلفات النافعة في علوم شتى.

إلا إن الفتنة القاديانية والظروف الأخرى اضطرته في آخر حياته إلى التأليف والتصنيف، فاجتمعت له عدة مؤلفات.

١- مشكلات القرآن:

تفسير للآيات المشكلة من القرآن مما قاله علماء الأمة، وما جادت به قريحة الشيخ الكشميري، وهو يحتوي على دقائق، ونكات، وعلوم، وحقائق.

٢- فيض الباري على صحيح البخاري:

شرح حافل للجامع الصحيح للإمام البخاري. له خصائص لا توجد في غيره. جمع هذا الكتاب من أمالي الشيخ الكشميري في درس الجامع الصحيح للبخاري.

٣- فصل الخطاب في مسألة أم الكتاب:

اختلف الأئمة المجتهدون في قراءة الفاتحة خلف الإمام، تكلم الشيخ الكشميري في هذا الموضوع في هذا الكتاب، ولم يقصد الشيخ الكشميري بهذا الكتاب الرد على المذاهب الأخرى بل قصد إيراد الأدلة على ترك قراءة الفاتحة خلف الإمام ووجوب الإنصات. يقول هو في آخر الكتاب:

«اعلم أني ما كتبت هذه السطور بقصد الرد على الشافعية، وإنما كتبتها ليعلم وجه الحنفية في اختيار الترك»[١].

٤- خاتمة الخطاب في فاتحة الكتاب:

كتاب صغير في الموضوع السابق ذكره، ألفه الشيخ الكشميري باللغة الفارسية في ابتداء عهده بالتدريس في جامعة ديوبند.

٥- عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام:

كتاب في إثبات حياة عيسى عليه السلام والرد على من أنكرها.

يقول الشيخ البنوري فيما حكاه عن شيخه الكشميري:

«إني أوردت في هذه الرسالة أدلة حياة سيدنا عيسي عليه السلام، ونزوله قرب القيامة مما استنبطته من القرآن صدعًا بها أو إشارة إليها، ولم أرد سرد الأحاديث في هذا الباب واستيعابها»[٢].

٦- تحية الإسلام في حياة عيسى عليه السلام:

هذا الكتاب تعليق على الكتاب السابق ذكره، ورد على مؤسس القاديانية الميرزا غلام أحمد.

يقول الشيخ الكشميري في فاتحة الكتاب بعد الحمد والصلاة والتسليم:

«وبعد فهذه حواش تفتر عن لؤلؤ رطب، وعن شنب ناهيك عن شنب، وتبسم عن بشر ونشر، كافيك من أمل ومن أرب، وتطلق لك عن بلج جبين وثلج يقين، وشرح صدر ونور مبين، أخذت من العربية أعربها وأغربها، ومن نكات البلاغة أعذبها وأطربها، . . . إلى أن قال:

علقتها على رسالتي "عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام"، وسميتها "تحية الإسلام في حياة عيسى عليه السلام"، . . . خدمت بها أهل

---

(١) نفحة العنبر ص ١١٢.

(٢) نفحة العنبر ص ١١٤، مقدمة عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام ص ١٥.

الحق وأعوانه، وآل العلم وإخوانه، وادخرتها عند الله تعالى في الآخرة والأولى»[١].

٧- إكفار الملحدين في ضروريات الدين:

كتاب منفرد في نوعه، يتكلم عن مسألة الإنكار في ضروريات الدين، حقق الشيخ الكشميري في هذا الكتاب مسألة الإيمان والكفر، والإنكار لشيء من ضروريات الدين والتأويل فيه، والإلحاد في شرع الله والتحريف فيه في ضوء النقول من كتب القدماء والمتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين.

٨- التصريح بما تواتر في نزول المسيح:

جمع الشيخ الكشميري -رحمه الله- في هذا الكتاب أحاديث نزول عيسى عليه السلام من كتب الحديث مما انتهى إليه نظره الوسيع وفكره الغائر حتى جمع سبعين حديثًا وثلاثين أثرًا من آثار الصحابة رضي الله عنهم.

ولم يسبقه أحد في جمع هذا القدر من أحاديث الرسول ﷺ في هذا الموضوع حتى أن القاضي الشوكاني[٢] لم يجمع إلا تسعة وعشرين حديثًا في كتابه "التوضيح فيما تواتر في المنتظر والمهدي والمسيح" مع سعة اطلاعه وكثرة معرفته وتوفر كتب الحديث في بلاده.

٩- نيل الفرقدين في مسألة رفع اليدين:

رفع اليد في الصلاة عند كل خفض ورفع اختلف العلماء المجتهدون فيه، رأى فريق الرفع، بينما رأى الآخر عدم الرفع. واستدل كل فريق على رأيه بالأحاديث، وذهب إلى ترجيح ما رآه راجحًا، وقال به. أوضح الشيخ

---

(١) تحية الإسلام في حياة عيسى عليه السلام ص ٣٩.

(٢) الشوكاني: هو محمد بن علي الشوكاني، فقيه، مجتهد، من كبار علماء اليمن من أهل صنعاء. ولد في شوكان من بلاد خولان سنة ١١٧٣هـ، ونشأ في صنعاء وولي قضاءها حتى مات سنة ١٢٥٠هـ. له مصنفات تزيد على مائة وأربعة عشر مصنفًا، منها: "نيل الأوطار" و"فتح القدير". انظر: الأعلام للزركلي ٦/ ٢٩٨.

الكشميري هذه المسألة في هذا الكتاب بكل نواحيها في ضوء الأحاديث الشريفة وأثبت أن الاختلاف في هذه المسألة هو اختلاف في الأفضلية لا غير. فهو يذكر وجه تأليفه، ويقول بعد الحمد والصلاة والتسليم:

«فهذه نبذة في مسألة رفع اليدين قبل الركوع وبعده، وبين السجدتين، وبعد الركعتين، وما يدور من النظر والمعنى فيها في البين، سميتها "نيل الفرقدين في مسألة رفع اليدين"، وما قصدت به إخمال أحد الطرفين، ولا يستطيعه ذو عينين، وإنما أردت بها أن بيد كل واحد من الفريقين وجها من الوجهين، وهما على الحق من الجانبين، وليس الاختلاف اختلاف النقيضين بل اختلاف تنوع في العبادة من الوجهتين، وكل سنة ثابتة عن رسول الثقلين، تواتر العمل بهما من عهد الصحابة والتابعين وأتباعهم على كلا النحوين»(١).

١٠- بسط اليدين لنيل الفرقدين:

هذا الكتاب تعليقات وإضافات وزيادات على الكتاب السابق ذكره.

١١- كشف الستر عن صلاة الوتر:

ذكر الشيخ الكشميري في هذا الكتاب مسألة صلاة الوتر من حيث عدد ركعاتها وكونها واجبة أو سنة، يقول هو في أول هذا الكتاب:

«فهذه رسالة في الكشف عن مسألة الوتر وما فيها من الاشتباه العظيم لأهل العلم والذكر»(٢).

١٢- ضرب الخاتم على حدوث العالم:

كتاب منظوم في أربعمائة بيت في إثبات وجود الباري تعالى، وعلمه المحيط، وقدرته التامة، وإرادته الأزلية المستقلة. ويقول الشيخ الكشميري فيما حكاه عنه تلميذه البنوري:

«إن موضوع الرسالة سرد أدلة إثبات الباري -جل شأنه- ولما كان في

---

(١) نفحة العنبر ص ١١٨.

(٢) كشف الستر عن صلاة الوتر للكشميري، ص ١.

عنوان "إثبات الباري" نوع شناعة لم أرتض به، وغيرت عنوانه إلى حدوث العالم، والمفاد واحد.

١٣- مرقاة الطارم لحدوث العالم:

كتاب صغير في تقرير حدوث العالم وتقريبه إلى الأذهان بنظائر، وبينات، وشواهد.

ولما اطلع الشيخ مصطفى صبري[١] على هذه الرسالة فقال:

«لقد تحيرت من دقة نظر صاحبها وثلج صدره بهذه العلوم، وكان لي رأي في مسألة كلامية ظننت أني لم أسبق إليه، فرأيت أن الشيخ قد سبقني إلى مثلها، وإني أفضل هذه الوريقات على هذا الكتاب "الأسفار الأربعة" للشيرازي[٢]، وكان الكتاب أمامه»[٣].

وذكر الشيخ صبري هذا الكتاب في كتابه "موقف العقل والعلم"[٤].

١٤- سهم الغيب في كبد أهل الريب:

كتاب صغير، ألفها الشيخ الكشميري باللغة الأردية في ريعان شبابه في الرد على البريلوية[٥] التي تزعم أن محمداً ﷺ يحيط علماً بجميع الكليات

---

(١) مصطفى صبري: فقيه باحث، من علماء الحنفية، تركي الأصل والمولد، عين مدرسًا في جامع محمد فاتح باستنبول، ثم تولى المشيخة في الدولة العثمانية، وقاوم الحركة الكمالية بعد الحرب العالمية الأولى. ألف كتبًا عدة، منها: "موقف العقل والعلم والعالم"، وله مؤلفات بالتركية. توفي بالقاهرة سنة ١٣٧٣هـ الموافق ١٩٥٤م. انظر: الأعلام للزركلي ٧/ ٢٣٦.

(٢) الشيرازي: هو محمد بن إبراهيم الشيرازي. فيلسوف فارسي الأصل وعربي التصنيف، رحل إلى أصبهان وتعلم فيها، وتوفي بالبصرة وهو متوجه إلى مكة حاجًا سنة ١٠٥٩هـ. وله مؤلفات، منها: "أسرار الآيات"، و"الأسفار الأربعة في الحكمة". انظر: الأعلام ٦/ ١٩٤.

(٣) نفحة العنبر ص ١٢٧.

(٤) انظر: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، لمصطفى صبري ٣/ ٣٨٦، المكتبة الإسلامية، ١٣٦٩هـ الموافق ١٩٥٠م.

(٥) سبق التعريف بها.

والجزئيات مما كان، ومما يكون من غير فرق بينه وبين علام الغيوب إلا فرق العرضية والذاتية.

١٥- كتاب في الذب عن قرة العينين:

كتاب بديع، ألفه الشيخ الكشميري للرد على الرافضة. ووجه تأليفه أن الإمام الشاه ولي اللّه الدهلوي[1] ألف كتابًا في تفضيل أبي بكر وعمر على عثمان وعلي رضي اللّه عنهم باسم "قرة العينين في تفضيل الشيخين"، فقام أحد الرافضة وألف كتابًا في الرد عليه، فأزعج هذا الكتاب الشيخ الكشميري، فانتهض للرد عليه بتأليف كتابه "كتاب في الذب عن قرة العينين" باللغة الفارسية نظرًا إلى لغة الكتابين السابقين.

١٦- خاتم النبيين:

كتاب قيم، هو آخر تصانيف الشيخ الكشميري، ألفه في آخر حياته للرد على القاديانية. فسر فيه قول اللّه تعالى: ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ** ﴾[2]. بالأحاديث، وأقوال وآثار الصحابة، وأقوال المفسرين والفقهاء مع ما اشتمل عليه هذا الكتاب من علوم ومعارف:

وألف الشيخ الكشميري هذا الكتاب لأهل كشمير خاصة لما رأى من انتشار الفتنة القاديانية في كشمير، ولذلك ألفه باللغة الفارسية، وكان الشيخ يتمنى أن يخرج هذا الكتاب إلى حيز الوجود قبل وفاته، ولكن الأجل حال بينه وبين ظهوره.

---

(١) سبقت ترجمته.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

ب: مؤلفاته المخطوطة:

للشيخ الكشميري مؤلفات قلمية ورسائل خطية في كثير من العلوم، فمنها:

١- رسالة في الهيئة.

٢- رسالة في حقيقة العلم.

٣- رسالة في مسألة "يا شيخ عبد القادر شيئًا لله".

٤- رسالة في مسألة الذبيحة لغير الله.

٥- رسالة في مسألة من الهندسة وعلم المرايا والمناظر.

٦- رسالة في علم المعاني مما استدركه على السكاكي والخطيب، استنبطها الشيخ من كتاب سيبويه، والكشاف للزمخشري، وعروس الأفراح لبهاء الدين السبكي.

٧- مقامات أدبية على نهج المقامات للحريري. منها منقوطة كلها، ومنها مهملة كلها، ومنها إحدى كلماتها معجمة والأخرى مهملة.

٨- حواش على "الأشباه والنظائر" لابن نجيم.

٩- رسالة في صلاة الجمعة واختلاف الأئمة في شروط أدائها. لم تتم.

١٠- حواش على حواشي الزاهدية على شرح القطبية.

وللكشميري تلخيصات مهمة نادرة. منها:

١١- تلخيص إمام الكلام للعلامة عبد الحي اللكنوي.

١٢- تلخيص أدلة الحنفية من "فتح القدير" لابن الهمام، وصل فيه إلى كتاب الحج.

١٣- تلخيص لبعض المهمات من كتاب "حياة الحيوان" للدميري.(١)

---

(١) ذكر هذه المؤلفات الشيخ أبو غدة في مقدمته لكتاب "التصريح بما تواتر في نزول المسيح" للكشميري. ص ٣٢.

الفصل السادس

شخصيته الخلقية والاجتماعية

وتحته مبحثان:

المبحث الأول: شخصيته الخلقية.

المبحث الثاني: شخصيته الاجتماعية.

المبحث الأول

شخصيته الخلقية

إن الدارس لحياة الشيخ محمد أنور شاه الكشميري ليرى من خلالها ملامح شخصيته المتكاملة جلية ظاهرة، فهو ذو شخصية علمية، وذو شخصية اجتماعية، وهذه الشخصية تتصف بأخلاق جميلة، وصفات عالية لم تتوفر لكثير من الناس في عصره، بالإضافة إلى حسن وجمال صورته وشكله. وسأتحدث هنا عن مكارم خلقه، والحديث عن مكانته الاجتماعية والعلمية، فسيأتي بيانه إن شاء الله.

١- تقواه:

أول ملامح شخصيته تقواه. لقد كان الشيخ الكشميري على جانب كبير من التقوى، بل كان تقوى الله شعارًا له. فقد نشأ وترعرع في بيت التقوى والزهد، وتعلم من الأساتذة المتقين، وكانت هذه الصفة فيه نابعة من إخلاصه وجهوده في خدمة الحديث النبوي الشريف طول حياته.

ومن تقواه أنه منذ دخل في السن السابع من عمره لم يأخذ بيده ولم يمس أي كتاب ديني إلا بالوضوء.[١]

ولا يقلّب الكتاب لقراءة حواشيه بل كان هو يقلب جِلسته ثم يقرأ الحواشي، وكل ذلك لأجل الاحترام للكتب.

ومن تقواه أنه يلتزم باتباع السنة النبوية في أقواله، وأفعاله، حتى يعرف بعض تلاميذه بعض السنن من أفعاله.

يقول المقريء محمد طيب[٢] مدير دار العلوم ديوبند سابقًا رحمه الله:

---

(١) نقش دوام ص ١٠٨.

(٢) المقرئ محمد طيب: هو محمد طيب بن أحمد بن محمد قاسم النانوتوي، من أرشد تلاميذ الكشميري، ولد سنة ١٣١٥هـ، تخرج من جامعة ديوبند، ثم عين مدرسًا فيها، ثم صار مديراً لها، له ملكة في الخطب والمحاضرات، صاحب التصانيف الكثيرة، منها: "التشبه في الإسلام"، أطيب الثمر في مسألة القضاء والقدر". انظر: تذكرة طيب.

«نتعرف على كثير من السنن النبوية من أفعال وأعمال الشيخ محمد أنور شاه الكشميري، فكان مشيه موافقًا للسنة النبوية، فإذا مشى فكأنه ينحط إلى صبب»[(١)].

ومن تقواه أنه كان متأدبًا مع العلماء المتقدمين، ولا يخرج في بعض استدراكاته وتعقيباته عن احترامه بشخصيتهم، وتقديره لجهودهم المخلصة الطيبة.[(٢)]

وكان الشيخ الكشميري -مع التزامه بالتقوى- ينصح طلبة العلم بالتقوى والخشية في السرّ والعلن.

٢- زهده:

من أخلاقه الطيبة زهده عن الدنيا وما فيها، ورغبته في نعيم الآخرة، فهو لا يميل إلى المال مع توفر الأسباب له للثروة الهائلة، بدأ بالتدريس متطوعًا محتسبًا، ولما مسته الحاجة إلى راتب لنفقة عياله فقد رضي بالكفاف.

وكان الشيخ الكشميري يتأسف وربما يبكي على ما يأخذ من الراتب اضطرارًا. يقول الشيخ بدر عالم[(٣)] أحد تلاميذه: إني قلت للشيخ: لو ألفتم تأليفًا في شرح كتاب من الكتب الست لنفع ذريتك من بعدك. يعني كان ذخيرة لمعاشهم.

فقال -رحمه الله- بلهجة حزن وأسى:

«تغذيت بالحديث طول حياتي، وهل ترى أن يباع حديثي بعد مماتي؟ والله حسيبهم»[(٤)].

ثم بكى بكاءً طويلاً، وكان يقول:

---

(١) الأنور ص ٢٧٥.

(٢) نقش دوام ص ٨١.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) نفحة العنبر ص ٢٠٩.

«ما طلبنا العلم للدنيا»[١].

هكذا يكون حال العلماء الربانيين، لا يطلبون العلم للدنيا بل يطلبون العلم ابتغاء مرضات الله، ولا يقبلون على الدنيا، ولا يجعلون الدنيا أكبر همهم ولا مبلغ علمهم، ويرضون بالكفاف وما يتيسر لهم.

٣- تواضعه:

من أخلاقه الجميلة التواضع، فمع سعة اطلاعه وتضلعه من العلوم النقلية والعقلية لم يكن الشيخ الكشميري متكبراً، بل كان متواضعاً غاية التواضع، يحب العلماء وطلبة العلم، ولا يمل ولا ينزعج من أسئلة علمية، بل كان من عادته أن ينبسط ويبتسم، ويتهلل جبينه، ثم يجيب باهتزاز ومسرة، وبكل دقة. يقول البنوري:

«وكان -رحمه الله- يحب العلماء والطلبة»[٢].

وكان الشيخ الكشميري يحب الفقراء والمساكين ويواسيهم ويشاطرهم في أفراحهم وأحزانهم، وتأنف طبيعته أن يقترب من الأغنياء والأثرياء، ولا أن يقتربوا هم منه؛ وذلك لشدة غيرته.

ولم يكن يحب أن يكتب له أحد ألقابًا عالية مفخمة كعادة الهنود، بل يغضب من مثل هذه الألقاب ويمنع الناس عنه.

سافر الشيخ الكشميري إلى حيدر آباد على دعوة موجهة إليه من رئيس حيدر آباد، وفي اليوم الثاني نشرت جريدة محلية خبر قدوم الكشميري إلى حيدر آباد بألقاب عالية، فدعا الشيخ المسؤولين عن الجريدة وسخط عليهم ومنعهم من مثل هذه الألقاب.[٣]

---

(١) نفحة العنبر ص ٢١٢.

(٢) نفحة العنبر ص ٢١١.

(٣) نقش دوام ص ٨٩.

٤- القول بالحق:

القول بالحق وعدم المجاملة من الصفات الحميدة، والذي يخاف اللّه لا يرى في إبراز الحق وإبطال الباطل حرجًا، ولا يخاف فيه لومة لائم، بل يكون صريحًا، واضحًا في قوله بالحق وإن كان مُرًّا.

والشيخ الكشميري أيضًا كان يتصف بالصراحة والوضوح في قوله، ولا يرى في ذلك أية مجاملة.

ومما يدل على ذلك أنه حضر مرةً في حفلة سنوية عقدتها "جمعية خدام الدين" بلاهور بباكستان، وكان في ذلك الزمان من يرى من العلماء إباحة التعامل بالربا في الهند تحسينًا لأوضاع المسلمين الاقتصادية، وكان ظفر علي خان من بينهم، وكان هو يحب الكشميري كثيراً، فناقش هو مع الشيخ الكشميري في هذه القضية، فأوضح الكشميري برأيه بعد ما ذكر هذه القضية بكل أبعادها، وأجاب عن كل شبهة حول هذه الإباحة، ولكن ظفر علي خان كان يريد أن يرى الكشميري برأيه، فقال الشيخ بكل صراحة ووضوح:

«لقد أوضحت هذه المسألة بكل وضوح، فمن شاء أن يذهب إلى النار فليذهب. ولا يحملن وزره عليَّ»(١).

لما سمع الحضور من العلماء والفضلاء هذا الإعلان الصريح من الشيخ الكشميري فاستغربوا لما كانوا يعرفون ما بين الكشميري وظفر علي خان من علاقة طيبة، ومودة ومحبة.

وفي الحقيقة كان الشيخ الكشميري جامعًا للأخلاق الكريمة والأوصاف الجميلة، يصور البنوري أخلاقه قائلا:

«كان سليم الصدر من البغضاء والشحناء، فارغ القلب من الغل والحقد، لطيف الرأفة، حزين القلب، حسن المؤاساة، سليم اللسان من الكذب

---

(١) نقش دوام ص ٨٩.

والغيبة، لم يسب، ولم يشتم، لم يغادر المستحبات، فكيف للفرائض والواجبات، إذا اغتاب أحد في مجلسه يقول: دع هذا وشأنك، ملئ قلبه بالخشية الإلهية، فكان يحقر نفسه، ويعظم كل أحد، فكانت مشاغله إما الكتاب، أو ضبط السوانح، أو الصمت، أو الذكر والفكر، أو الرشد والنصح.

وبالجملة كان عالمًا، عاملاً، عابدًا، زاهدًا، ورعًا، تقيًا، خاشعًا، متضرعًا، ذا وقار وسكَينة»[١].

وإن مما يتصل بحسن خُلْقه حسن خَلقه، فقد رزقه اللّه جمالاً في الصورة مع الجمال في السيرة. يقول البنوري:

«وكان -رحمه اللّه- ربعًا من الرجال، ليس بالقصير، ولا بالطويل، واسع الجبهة، متهلل الجبين، مكتنز اللحم، متناسب الآراب، قويًا، شجاعًا، وكان محياه كأنه قطعة نور، تنبعث منه الأشعة، وتنجذب إليه القلوب كانجذاب الحديد إلى المقناطيس»[٢].

وكان وجهه يتلألأ كالنور حتى شهد أحد كبار الهندوس بأن هذا الوجه المنور دليل على صدق دينه الإسلام»[٣].

وتاب هندوسي من كفره على يده لما رأى من النور يسود وجهه.[٤]

كما رزقه اللّه من الوقار والهيبة، وحسن الصوت، لا يتكلم فيما لايعنيه. يقول صاحب نزهة الخواطر:

«كان مربوع القامة، يميل إلى القصر، أبيض اللون، صدعًا، تغشاه السكينة، ويعلوه الوقار، خافت الصوت، لا يتكلم إلا فيما يعنيه، وفيما

---

(١) نفحة العنبر ص ٢١٤.

(٢) نفحة العنبر ص ٢١١.

(٣) حياة أنور ص ١٦٨.

(٤) نقش دوام ص ٧٥.

يتصل بالعلم والدين، مجالسه مجالس علم وإفادة، وقد غلبته الرقة في آخر حياته، فكان سريع الدمعة، كثير البكاء»[١].

---

(١) نزهة الخواطر ٨/ ٨٣.

المبحث الثاني
شخصيته الاجتماعية

قضى الشيخ الكشميري -رحمه الله- معظم حياته على الدرس والتدريس والإفادة، وخرّج عددًا كبيرًا من الرجال الأفاضل الذين لعبوا دورًا بارزًا في إصلاح المجتمع، أسهم الشيخ الكشميري في تأسيس مدرسة في دلهي لنشر علوم الدين في أفراد المجتمع.

ولما رأى ما عليه أهل كشمير من جهل متراكم، ورسوم مستحدثة، وبدع وخرافات، فبدأ بالنصح والإرشاد والموعظة، وقابلهم آمرًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر، ودعاهم إلى تعاليم الدين الإسلامي.

وكان من أكبر أمانيه أن يصلح المجتمع، ويميل إلى التعلم والتعليم، ويترك ما عليه من الجهل، واستمر الشيخ الكشميري في مهمته ثلاث سنوات، وكان النجاح حليفه، ونال القبول العام في المجتمع، واستمع الناس إلى دعوته واجتمعوا حوله.

ولما تهيأ الجو المساعد للتعليم والتعلم فانتهض الشيخ الكشميري ببناء مدرسة في ولاية كشمير لنشر تعاليم الدين في أفراد وأجيال المجتمع، ولئلا يعود المجتمع إلى حالته السابقة، ومكث الشيخ الكشميري ثلاث سنوات في هذه المدرسة، فدرّس وأفتى، ونصح الأمة قلمًا ولسانًا، وأرشدهم إلى الصراط المستقيم»(١).

وكان الشيخ الكشميري -رحمه الله- من العلماء البارزين الذين قاوموا الفتنة القاديانية، وأقلقته هذه الفتنة وأزعجته، فقام بتوفيق الله وفضله مستنفدًا وسعه، وجهده البالغ في قطع عروقها، وأشرف على جمعية "مجلس الأحرار" ببنجاب، ونفخ في أعضائها روح المكافحة والنضال، وحذرهم عن

---

(١) الأنور ص ١٢٠.

مكائد القاديانية .

وأعد جماعة من تلاميذه لمقاومة هذه الفتنة، واجتمع مع القاديانيين للمباحثة والمناقشة في قضية ختم النبوة، وأفحمهم .

ومما يتعلق بشخصية الكشميري أننا نجده متأثرًا ببعض الجوانب الصوفية في حياته، كالإشارة إلى القول بوحدة الوجود، ورؤية النبي ﷺ يقظةً، والسفر لزيارة قبر النبي ﷺ وغيرها .

وستناول هذه القضايا بالذكر عند دراسة آرائه الاعتقادية بإذن اللّه تعالى .

الفصل السابع

وفاته وثناء العلماء عليه

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: وفاته.

المبحث الثاني: ثناء العلماء عليه.

المبحث الأول

وفاته

قد أصاب الشيخ الكشميري -رحمه اللّه- داء الباسور الفتاك منذ سنوات، إلا أن وطأته اشتدت عليه في أثناء إقامته بدابهيل، غلبه هذا المرض وأنهكه بخروج قدر كبير من الدم، ووهنت قوته، وفقد رحمه اللّه الشهوة إلى الطعام، فغادر دابهيل إلى ديوبند، وحضره الأطباء الحاذقون لعلاجه ودوائه، ولكن جميع تدابير العلاج وأماني الشفاء ذهبت أدراج الرياح حيث جاءه الأجل المقدور ففاضت روحه إلى السماء ليلة الاثنين ٣ من شهر صفر سنة ١٣٥٢هـ الموافق ٢٩ من شهر مايو سنة ١٩٣٣م.[١] فإنا للّه وإنا إليه راجعون. اللّهم فاغفر له، وارحمه، وعافه، واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مدخله، ونقّه من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس.

ذاع هذا الخبر في أرجاء الهند وخارجها، وما أن بلغ هذا الخبر الحزين ديوبند حتى خيمت عليها الكآبة، وهرع العلماء والمشايخ إلى بيت الشيخ الكشميري يقدمون أحر التعازي إلى أقاربه، وتزاحموا عليه صفًا، وتساقطوا عليه تساقط الفراش على النور يحنون إلى أن يلقوا عليه نظرة أخيرة قبل أن يوارى جثمانه في التراب. فاجتمع جمع كبير لم يُر له نظير في ذلك الوقت، صلّى عليه بالناس السيد أصغر حسين[٢]، ودفن قريبًا من مصلى العيد في مقبرة بديوبند.[٣]

---

(١) نفحة العنبر ص ١٩، نزهة الخواطر ٨/ ٨٢.

(٢) السيد أصغر حسين: من تلامذة الشيخ محمود حسن، تخرج من جامعة ديوبند، واشتغل طول الحياة بتدريس كتب الحديث في هذه الجامعة، عابد، زاهد، راغب عن الدنيا، مصلح، واعظ. توفى سنة ١٣٦٤هـ. انظر: هامش نقش دوام ص ٥٤، وتذكرة مشايخ ديوبند ص٣٧٥.

(٣) نقش دوام ص ٥١.

لم يكن موت الشيخ الكشميري حدثًا عاديًا كموت عامة العلماء والمشايخ والعاملين في حقل الدعوة والتربية، وأساتذة الجامعات في شبه القارة الهندية، ولكنه كانت كارثة عظيمة صدمت آلاف القلوب التي تعلقت به حبًا وإعجابًا وتقديرًا لعبقريته، ونبوغه في كل فن وعلم، وعطائه الثر في أكثر من مجال، وتخريجه أفواجًا من الشباب المسلمين متسلحين بالعلم، وركضه الدؤوب المضني في الرد على الفرق الباطلة في عمره الأخير، فرحمه الله رحمة واسعة.

المبحث الثاني

ثناء العلماء عليه

إن وفاة الشيخ الكشميري كانت وفاة عالم رباني قضى حياته في خدمة الحديث النبوي والدفاع عن العقيدة الإسلامية، لقد ذاع نبأ وفاته كالبرق، وكان هذا النبأ عنوانًا جليًا في الجرائد والمجلات الرسمية، والأهلية في اليوم التالي من وفاته ورثاه أهل العلم والفضل، وأشادوا بعلمه، وفضله.

قال الشيخ أشرف علي التهانوي[١]:

«إن وجود مثله في الأمة الإسلامية دليل على أن الإسلام دين حق، وصدق»[٢].

لا يقصد الشيخ التهانوي بهذا القول أنه لو لم يكن الشيخ الكشميري لم يكن الإسلام دين حق، حاشا وكلا.

إن الإسلام دين حق وباق إلى يوم القيامة سواء اعتنق به أحد أو لم يعتنق إنه يقصد بذلك أن من دلائل صدق الدين الإسلام وجود مثله من العباقرة في الإسلام؛ لأنه لو كان أيّ خلل من أية ناحية في الإسلام لما بقي أمثاله على الإسلام.

وقال الشيخ حبيب الرحمن العثماني[٣]:

---

(١) أشرف علي التهانوي: العالم الفقيه أشرف علي بن عبد الحق التهانوي، الواعظ، المعروف بالفضل والأثر. ولد سنة ١٢٨٠هـ. له مصنفات كثيرة ما بين صغير وكبير، قضى حياته في الإفادة والإصلاح والقضاء على البدع والرسوم، من أشهر تصانيفه: "بهشتي زيور" باللغة الأردية نال قبولاً عامًا في الهند، توفى سنة ١٣٦٢هـ. انظر: نزهة الخواطر ٨/ ٥٦.

(٢) نفحة العنبر ص ٢٢٦.

(٣) حبيب الرحمن العثماني: هو ابن فضل الرحمن، تعلم في جامعة ديوبند وتخرج منها، ثم تولّى إدارة الجامعة سنة ١٣٤٤هـ. واستمر عليها إلى آخر حياته، توفى سنة ١٣٤٨هـ. انظر: مجلة "الرشيد" المجلد ٨، العدد ٤، ٥، الصادرة في شهر ربيع الثاني عام ١٤٠٠هـ من الجامعة الرشيدية، ساهيوال بباكستان.

«إنه الشيخ الثقة، الورع، التقي، الحافظ، الحجة، المفسر، المحدث، المتبحر في العلوم النقلية والعقلية، رافع لواء التحقيق في المسائل الغامضة»(١).

وقال السيد سليمان الندوي(٢):

«هو كالبحر المحيط الذي ظاهره هادئ ساكن، وباطنه مملوء من اللآلئ الفاخرة الثمينة»(٣).

وقال الشيخ شبير أحمد العثماني(٤):

«فقيد المثيل، عديم العديل، بقية السلف، حجة الخلف»(٤).

وقال المفتي محمد كفاية الله الدهلوي(٥):

«العلامة، الفاضل، الكامل، أكمل العلماء، أفضل الفضلاء، النحرير، المقدام، البحر الطمطام، رحلة العصر، قدوة الدهر، أستاذ الأساتذة، رئيس

---

(١) نفحة العنبر ص ٢٣١.

(٢) السيد سليمان الندوي: هو الفاضل سليمان بن أبي الحسن الحسيني، أحد العلماء البارزين في الأدب، ونوابغ الفضلاء والمؤلفين في شبه القارة الهندية، ولد سنة ١٣٠٢هـ، صاحب التصانيف الكثيرة، منها: تكملة "سيرة النبي" للسيد شبلي النعماني، وصاحب المقالات الأدبية، تولى رئاسة التحرير لعدة مجلات في الهند، توفي سنة ١٣٧٣هـ بباكستان. انظر: نزهة الخواطر ٨/ ١٦٣.

(٣) مجلة "معارف" الشهرية، لشهر ربيع الأول لعام ١٣٥٢هـ، الصادرة من دار المصنفين، أعظم جره - الهند.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٤) نفحة العنبر ص ٢٢٧.

(٥) المفتي كفايت الله الدهلوي: أحد كبار المفتيين بالهند. ولد سنة ١٣١٢هـ، والتحق بجامعة ديوبند، وتخرج على الشيخ محمود حسن، وكانت له عناية كبيرة بالقضايا الإسلامية، وشارك في السعي لاستقلال الهند ونفي الإنجليز مع إتقانه في العلوم والفقه، وله مؤلفات، من أشهرها: "تعليم الإسلام" لأطفال المسلمين في أربعة أجزاء. توفي سنة ١٣٧٢هـ. انظر: نزهة الخواطر ٨/ ٣٧٤.

الجهابذة، المحدث الوحيد، المفسر الفريد، ماهر العلوم النقلية والعقلية»[١].

ولا يخفى ما يوجد في هذه العبارة من مبالغة.

وقال الشيخ ثناء الله الأمرتسري[٢]:

«هو عالم لم ير مثله»[٣].

وقال الشيخ إبراهيم مير السيالكوتي[٤]:

«من أراد أن ينظر إلى علمٍ مجسم فلينظر إلى الشيخ محمد أنور شاه الكشميري»[٥].

وقال السيد محمد رشيد رضا[٦] بعد ما زار جامعة ديوبند، واستمع إلى محاضرة الكشميري:

«لو لم أر هذه الجامعة العلمية ومثل هؤلاء الأحبار والأعلام لرجعت من

---

(١) جريدة "الجمعية" اليومية، الصادرة من جمعية العلماء بدلهي، السابع من شهر صفر لعام ١٣٥٢هـ الموافق الواحد من شهر يوليو لعام ١٩٣٣م.

(٢) ثناء الله الأمرتسري: أحد علماء أهل الحديث المشهورين، ولد سنة ١٢٨٧هـ، وتخرج في العلوم الإسلامية من جامعة ديوبند، واشتغل طول الحياة بالتأليف والمناظرة، له مصنفات في الرد على القاديانية وفرقة "الآرية". توفى سنة ١٣٦٧هـ بباكستان. انظر: نزهة الخواطر ٨/ ٩٥.

(٣) الأنور ص ٦١٨.

(٤) الشيخ إبراهيم مير السيالكوتي: من علماء أهل الحديث بباكستان واشتغل بالتدريس والإفادة، وتوفى سنة ١٣٧٦هـ. وله مؤلفات، منها: "عون الباري لحل عويصات البخاري" وغيره. انظر: جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة ص ١٥٥، لعبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الناشر: إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية بنارس، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٥) الأنور ص ٦١٨.

(٦) السيد محمد رشيد رضا: هو محمد رشيد بن علي رضا، صاحب مجلة "المنار"، وأحد رجال الإصلاح، كاتب كبير، وعالم بالتفسير والحديث، والأدب، والتاريخ، من تلامذة الإمام الشيخ محمد عبده، ولد سنة ١٢٨٢هـ، وتوفى سنة ١٣٥٤هـ. من آثاره العلمية "مجلة المنار"، تفسير القرآن الكريم، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، وغيره. انظر: الأعلام ٦/ ٢٦١.

الهند حزينًا»[١].

وقال العلامة علي الحنبلي المصري[٢] بعد ما زار جامعة ديوبند، وناقش الشيخ الكشميري في موضوعات:

«إني سافرت إلى البلاد العربية وقابلت علماء العصر، ودرّست بنفسي الحديث سنوات عدة في مصر، ولكن لم أر محدثًا مثله، وكم حاولت إفحامه والغلبة عليه في المناقشة ولكني تحيرت مما فيه من استحضار، وتيقظ، وإتقان، وسعة نظر، وذكاء مفرط»[٣].

وقال الشيخ محمود حسن[٤]:

«إن اللّه جمع له العلم والعمل، والسيرة والصورة، والورع والزهد، والرأي الصائب، والذهن الثاقب»[٥].

وقال الشاه عبد القادر رائبوري[٦]:

«مما لا ريب أن الشيخ الكشميري كان آية من آيات اللّه»[٧].

ويتضح مما قدمنا من ثناء كثير من العلماء والفضلاء ما كان يتمتع به الشيخ الكشميري من مكانة علمية، ومنزلة سامية عندهم، وللّه در القائل:

وليس على اللّه بمستنكر   أن يجمع العالم في واحد.

---

(١) نفحة العنبر ص ٧١.

(٢) العلامة علي اليمني ثم المصري: لم أعثر على ترجمته.

(٣) نقش دوام ص ٢٩٠.

(٤) تقدمت ترجمته ص.

(٥) نفحة العنبر ص ٢٢٤.

(٦) الشاه عبد القادر رائبوري: عالم رباني من العلماء المشهورين بالإصلاح والإرشاد، قرأ على الشيخ الكشميري كتب الحديث والفلسفة القديمة. وتوفى سنة ١٣٨٢هـ بباكستان. انظر: دارالعلوم ديوبند كي پچاس مثالي شخصيات، ص ١٦٤ (خمسون شخصية مثالية لدار العلوم ديوبند).

(٧) مقدمة ملفوظات الشيخ الكشميري ص ٤١.

الباب الثاني

آراء الشيخ الكشميري الاعتقادية

وتحته عشرة فصول:

الفصل الأول: الاستدلال على وجود الله.

الفصل الثاني: صفات الله تعالى.

الفصل الثالث: رؤية الله تعالى.

الفصل الرابع: القضاء والقدر.

الفصل الخامس: الإيمان والإسلام.

الفصل السادس: التكفير.

الفصل السابع: ختم النبوة.

الفصل الثامن: علامات الساعة.

الفصل التاسع: عذاب القبر.

الفصل العاشر: الشفاعة.

الفصل الأول

الاستدلال على وجود الله تعالى

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال على وجود الله.

المبحث الثاني: منهج المتكلمين في الاستدلال على وجود الله

المبحث الثالث: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

تمهيد

إن معرفة اللّه عز وجل أعظم المعارف وأهمها على الإطلاق، وإن الإيمان بوجود اللّه أساس مسائل العقيدة كلها. وعنه تتفرع أنواع الأمور الاعتقادية كلها. وإن الإيمان باللّه هو الأصل لبقية الأصول والفروع كأصل الشجرة بالنسبة للساق والفروع والغصون.

ولأجل ذلك يرى أهل السنة والجماعة أن القرآن الكريم تدور آياته كلها حول الإيمان باللّه عز وجل، فإن القرآن إما حديث مباشر عن إثبات ذات اللّه وأسمائه وصفاته وأفعاله، وإما دعوة إلى التوحيد بمعنى إفراد العبادة له، وإما أمر بطاعته ونهي عن معصيته -وهذا من لوازم الإيمان باللّه، وإما إخبار عن أهل الإيمان، وما فعل اللّه بهم في الدينا، وما يكرمهم في الآخرة -وهذا جزاء الإيمان باللّه، وإما إخبار عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب -وهذا جزاء من خرج عن الإيمان باللّه. فالقرآن كله حديث عن الإيمان باللّه تعالى.[١]

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، للعلامة ابن أبي العز الحنفي، ص ٨٩، تحقيق: جماعة من العلماء، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة التاسعة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

المبحث الأول

منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال على وجود الله

يرى أهل السنة والجماعة أن وجود الله تعالى أمر بدهي فطري؛ لا يحتاج وجوده إلى ترتيب مقدمات ثم الوصول إلى النتيجة، بل الفطرة السليمة التي لم تتلوث بأقذار الإلحاد تشهد وتقر بوجود الله عز وجل، ويستدلون على ذلك بما يلي :-

١- الاستدلال بالفطرة:

إن الفطرة السليمة مضطرة بطبعها إلى الإقرار بوجود الرب والخالق من غير دليل. قال الله تعالى :

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ . (١)

وقال تعالى :

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَ فِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَـوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ . (٢)

فالمعرفة الفطرية طبيعة مركوزة في كل نفس مؤمنة أو كافرة، والنفوس بطبعها تحسها وتشعر بها، وإن غابت عنها في بعض الأحيان لسبب طارئ فسرعان ما تجد نفسها مضطرة إلى اللجوء إليها عند الشدائد.

قال تعالى :

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ

---

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ١٠.

الشَّـٰكِرِينَ﴾(١)

ولو لم تكن النفوس مفطورة عليها لما تطلعت إليها .

ويدل على هذا ما جاء عن النبي ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ :

«ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء»(٢) .

دلالة صدق هذه الفطرة:

وهذا الذي أخبر به النبي ﷺ هو الذي تشهد الأدلة العقلية بصدقه من عدة وجوه :

١- لا شك أن الإنسان قد يحصل له في بعض الأحيان من الاعتقادات والإرادات ما يكون حقًا ، وتارةً ما يكون باطلاً ، وفي مجال ترجيح معتقد على آخر نراه يميل بفطرته إلى ترجيح ما فيه منفعته ، ودفع ما فيه مضرته ، فيرجح الصدق على الكذب ، والحق على الباطل . وفي هذا دليل على أن في الفطرة قوة تقتضي اعتقاد الحق وإرادة النفع ، فوجب أن يكون في الفطرة ما يقتضي معرفة الصانع والإيمان به استجابة لما هي مركوزة عليه من طلب كل ما هو حق ، والاعتراف به .

٢- الإنسان مفطور على جلب المنافع ، ودفع المضار بذاته . وحينئذ لم تكن فطرة كل واحد تشتمل بتحصيل ذلك ، بل تحتاج إلى سبب معين للفطرة كالتعليم ونحوه ، فإذا وجد الشرط وانتفى المانع استجابت لما فيها من المقتضى لذلك . وفي هذا دليل على أن النفوس مفطورة على الاعتراف بربها .

---

(١) سورة يونس ، الآية : ٢٢ .

(٢) رواه البخاري في كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصَلّى عليه الخ . ٢/ ٩٧ .

٣- إن النفوس يحصل لها من العلوم بسبب ما تكتسبه من ذلك، وإذا لم تكن في كل نفس قوة تقتضي معرفة هذه العلوم لما استطاعت أن تعلم شيئًا. ولعل أكبر دليل على ذلك أننا لو قمنا بمحاولة لتعليم الحيوانات لما حصل لها من العلوم ما يحصل لبني آدم، مع أن السبب في الموضعين واحد، فعلم أن الفطرة السليمة إذا لم يحصل لها ما يفسدها كانت مقرة بالصانع، عابدة لها.

٤- إن كل نفس إذا لم يحصل لها المفسد الخارج، ولا المصلح الخارج كانت الفطرة مقتضية للصلاح؛ لأن المقتضى فيها للعلم والإرادة قائم، والمانع منتف.[١]

يحكى أنه جاء رجل إلى الإمام أبي حنيفة -رحمه اللّه-، فقال: ما الدليل على الصانع؟ قال: أعجب دليل النطفة التي في الرحم، والجنين في البطن، يخلقه اللّه في ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المَشيمَة[٢]، ثم إن كان كما زعم أفلاطون الزنديق أن في الرحم قالبًا منطبعًا ينطبع الجنين فيه، فلزم الحمار أن يكون الولد، إما مئْناثًا[٣] أو مذْكارًا[٤]؛ لأن الحقيقة لا تختلف، فلما رأينا المرأة تلد مرة ذَكرًا، ومرةً أنثى، ومرةً توأمين، وطورًا ثلاثة، وتريد أن تلد فلا تلد، وتريد أن لا تلد فتلد، وتريد الذكر فتكون أنثى، وتريد أنثى فيكون الذكر على اختلاف اختيار الأبوين، فعرفنا قطعًا أنه قدرة قادر عليم حكيم. وأن الفلاسفة ينادون من مكان بعيد. لقد هلكوا، وباللّه كفروا، ووقعوا في الهوى، فتبًا لمن يدعي الفهم وهو أعمى.[٥]

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، ص ٨٤.

(٢) المشيمة: غشاء ولد الإنسان يخرج معه عند الولادة. انظر: المعجم الوسيط ١/ ٥٠٤.

(٣) المئناث: صيغة مبالغة، التي من عادتها ولادة الإناث. انظر: المعجم الوسيط ١/ ٢٩.

(٤) المذكار: من اعتادت ولادة الذكور. انظر: المعجم الوسيط ١/ ٣١٣.

(٥) الأسس المنهجية لبناء العقيدة الإسلامية، للدكتور يحيى هاشم حسن فرغل، ص ٣٩، نقلاً عن مفيد العلوم ومبيد الهموم للخوارزمي، ص ١٢، دار الفكر العربي.

وفي الحقيقة من لا يقر بوجود الرب الخالق ففي عقله وفطرته فساد، كمن لا يقر بالشمس في رابعة النهار.

يقول ابن قيم الجوزية[١]:

«إن وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفطر من وجود النهار، ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتهمهما»[٢].

والشيخ الكشميري - رحمه الله- يقرر هذه الفطرة عند شرحه لحديث "الفطرة" وإن كان يرى أن الفطرة هي من مقدمات الإسلام لا عينه، فهي جبلة متهيئة لقبول الإسلام، ولولا القوادح والموانع لبقي الإنسان أقرب إلى الإيمان. يقول الكشميري:

«الصواب عندي أن الفطرة من مقدمات الإسلام، لا عينه، فهي جبلة متهيئة لقبول الإسلام، وبعبارة أخرى هي استعداد في الولد له بَعُدَ من الكفر، وقَرُب من الإسلام. إلى أن قال:

إن الولد المولود من بطن الكافر ليس في بنيته جزء من الكفر، ولولا القوادح والموانع لبقي أقرب إلى الإيمان . . . وهذا الاستعداد القريب هو الذي سماه الله دينًا في قوله: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[٣]»[٤].

ويقول أيضا:

«ليس في فطرة الإنسان شيء يخالف الإسلام أو يجره إلى الكفر، بل

---

(١) ابن قيم الجوزية: هو محمد بن أبي بكر شمس الدين بن قيم، من أهل دمشق، من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار الفقهاء، تتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية، وانتصر له، وقد سجن معه كثيراً، وله تصانيف مشهورة. انظر: الأعلام ٦/ ٥٦.

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام ابن قيم الجوزية ١/ ٤٩، دارالتراث العربي، القاهرة، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

(٣) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٤) فيض الباري ٢/ ٤٨٥.

فيها ما يبقى به أقرب إلى الإسلام، وأقبل له لولا العوائق»[١].

وفيما يبدو للباحث من كلام الشيخ الكشميري أنه لا فرق بين قول القائلين بالإسلام من الفطرة وبين قول الشيخ الكشميري، فإنه لم يُرد بقوله أن الطفل يولد خاليًا من أي معرفة، وليس في القلب ما يرجح الإيمان على الكفر، بل أراد أن في الفطرة شيئًا زائدًا على كونه خاليًا، أو قابلاً للإيمان أو الكفر، سواء سمى ذلك إسلامًا أو مقدمة من مقدمات الإسلام. فقد صرح بذلك الكشميري بقوله:

«استعداد الإسلام قريب، واستعداد الكفر بعيد لكونه من جهة الموانع»[٢].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مناقشة هذا القول:

«هذا القائل إن أراد بهذا القول أنهم خلقوا خاليين من المعرفة، والإنكار من غير أن تكون الفطرة تقتضي واحدًا منهما، بل يكون القلب كاللوح الذي يقبل كتابة الإيمان، وكتابة الكفر، وليس هو لأحدهما أقبل منه للآخر فهذا قول فاسد .... إلى أن ذكر المراد الثاني للقائل بقوله:

الفطرة السليمة لو تركت مع صحتها لاختارت المعرفة على الإنكار».

وأسهب في تفصيله ليبين أن الفطرة المرادة هي التي تستلزم المعرفة من غير سبب خارجي.[٣]

٢- الاستدلال بالآيات في الكون:

إن هذا الكون الواسع وما فيه من آيات باهرة ظاهرة في دلالتها على وجود الله. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

إن كل ما في الوجود فهو آية لله، فإنه مفتقر إليه، محتاج إليه، لابد له

---

(١) فيض الباري ٢/ ٤٨٦.

(٢) فيض الباري ٢/ ٤٨٦.

(٣) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية ٨/ ٤٤٤، ٤٥١.

منه، فيلزم من وجوده وجود الصانع. وكما يعلم أن المحدَث لابد له من محدث كما قال تعالى:

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَـٰلِقُونَ﴾[١].

وفي الصحيحين عن جبير بن مطعم أنه لما قدم في فداء الأسرى عام بدر سمع النبي ﷺ يقرأ في المغرب "الطور" قال: فلما سمعت قوله: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَـٰلِقُونَ﴾. أحسست بفؤادي قد انصدع.[٢]

فإن هذا تقسيم حاصر، يقول: أخلقوا من غير خالق خلقهم، فهذا ممتنع في بداهة العقول. أم خلقوا أنفسهم، فهذا أشد امتناعًا، فعلم أن لهم خالقًا خلقهم، وهو سبحانه وتعالى ذكر الدليل بصيغة استفهام ليبين أن هذه القضية التي استدل بها فطرية، بديهية، مستقرة في النفوس؛ لا يمكن أحدًا إنكارها، فلا يمكن صحيح الفطرة أن يدعي وجود حادث بدون محدث أحدثه، ولا يمكنه أن يقول: هو أحدث نفسه»[٣].

وقد جاء ذكر هذه الآيات المستلزمة لوجود الخالق في القرآن أكثر من مرة، ولعل من أكثر الآيات دلالة ووضوحًا في الاستدلال هي آية الخلق من العدم. قال تعالى:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾[٤].

فذكرت الخلق مطلقًا ومقيداً؛ لتنبه الإنسان في كل أحواله أن هذا الخلق لابد له من خالق. ثم ذكرت خلق الإنسان من علق؛ ليكون الإنسان نفسه هو

---

(١) سورة الطور، الآية: ٣٥.

(٢) رواه البخاري في كتاب التفسير في سورة الطور. ولفظه: «كاد قلبي أن يطير». ٦/ ٤٩، ورواه مسلم في صحيحه، وفيه «قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بالطور في المغرب»، ولم يذكر بقية الألفاظ. انظر: صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب القراءة في الصبح ١/ ٣٣٨.

(٣) كتاب الرد على المنطقيين، لابن تيمية ص ٢٥٢-٢٥٣، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.

(٤) سورة العلق، الآيتين: ١-٢.

الدليل الذي يستدل به على خالقه. وهذا دليل فطري يعرفه كل فرد من داخل نفسه»[1].

إن آية الخلق أقوى أنواع الآيات دلالة على الخالق، فقد ركز القرآن عليها بأساليب مختلفة ليهزّ الفطرة فتستيقظ، ويحركها فتنفعل. وفي هذه اللحظة تعترف بربها وخالقها.

وقال الله تعالى:

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَـهَ إِلا هُوَ خَـالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾[2].

وقال تعالى:

﴿أَوَلا يَذْكُرُ الإِنسَـانُ أَنَّا خَلَقْنَـاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾[3].

وقال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾[4].

وقال تعالى:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلا تَضَعُ إِلا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلا فِي كِتَـابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ

---

(١) مجموع الفتاوى ١٦/ ٢٦٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠٢.

(٣) سورة مريم، الآية: ٦٧.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٩٥.

تُدْعُونَ مِن دُونِهِ مَايَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾(١).

فالاستدلال بالآيات في الكون على وجود الله ظاهر وبين.

٣- الاستدلال بدليل الخلق أو الاختراع:

قد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تدعو إلى الإيمان بوجود الله عن طريق النظر العقلي والتفكير في المخلوقات، فإن هذه السماوات والأرض، وما احتوته من المخلوقات البديعة، والكائنات العجيبة، وهذا الإنسان وما فيه من الآيات كل هذا وغيره يشهد أن لهذا الكون خالقًا خلقه، ومبدعًا أبدعه؛ إذ أن كل مخلوق لابد له من خالق خلقه.

قال تعالى:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(٢).

وقال تعالى:

﴿وَفِي الأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾(٣).

وقال تعالى:

﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾(٤).

وقال تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَـٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ

---

(١) سورة فاطر، الآيات: ١١-١٣.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٣) سورة الذاريات، الآيتين: ٢٠-٢١.

(٤) سورة الغاشية، الآيات: ١٧-٢٠.

مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(١) .

والاستدلال بالآيات الكونية سواء ما كان منها متعلقًا بالمخلوقات عامة، أو ما كان متعلقًا بالإنسان خاصة منهج قويم من مناهج الاستدلال حيث تتجلى رحمة اللّه بخلقه حين دلّهم على نفسه بما نصب لهم من الأدلة الكونية المبثوثة في الآفاق وفي أنفسهم. وقد حث علماء أهل السنة والجماعة على النظر في الآيات الكونية والنفسية لزيادة المعرفة باللّه. يقول ابن القيم رحمه اللّه :

«وإذا تأملت ما دعا اللّه سبحانه في كتابه عباده إلى الفكر أوقعك على العلم به سبحانه وتعالى، وبوحدانيته، وصفات كماله، ونعوت جلاله، من عموم قدرته وعلمه، وكمال حكمته ورحمته، وإحسانه، وبره ولطفه، وعدله ورضاه وثوابه، وعقابه. فبهذا تعرَّف إلى عباده وندبهم إلى التفكر في آياته»(٢) .

إن هذا الطريق دليل شرعي لأن الشارع استدل به، وفي نفس الوقت دليل عقلي أيضًا؛ لأن العقل يدل على صحته.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه :

«الاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة، وهي طريقة عقلية صحيحة، وهي شرعية دل القرآن عليها، وهدى الناس إليها، وبينها وأرشد إليها، وهي عقلية، فإن كون نفس الإنسان حادثًا بعد أن لم يكن ومولودًا، ومخلوقًا من نطفة، ثم من علقة، هذا لم يعلم بمجرد خبر الرسول ﷺ بل هذا يعلمه الناس كلهم بعقولهم، سواء أخبر أو لم يخبر به الرسول ﷺ، لكن الرسول أمر أن يستدل به، ودلّ به، وبينه واحتج به، فهو دليل

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٤.

(٢) مفتاح دار السعادة، لابن قيم الجوزية ١/ ١٨٧، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

شرعي؛ لأن الشارع استدل به وأمر أن يستدل به، وهو عقلي؛ لأن بالعقل تعلم صحته»[١].

وقد ذكر الشيخ الكشميري -رحمه الله- دليل الخلق والاختراع على وجود الله تعالى، فهو يقول:

إن ما في العالم من اختلاف الليل والنهار وطلوع الشمس وغروبها وتعاقب النور والظلمة مع تناسق وانسجام وتدبير محكم، كل ذلك لأجل الدلالة على وجود خالق قادر، وأن هذا لم يحدث بنفسه، وأن هذا العالم وما فيه كله تحت قدرة قادر»[٢].

٤- الاستدلال بالمعجزة:

مما يدل على وجود الله -عز وجل- المعجزة. ودلالة المعجزة على وجود الله واضحة ظاهرة؛ لأنها تدل على أن الرسول -ﷺ- صادق فيما أخبر به، ومن أكبر وأعظم ما أخبره الرسول ﷺ هو الإيمان بوجود الله، وامتثال أوامره، ونواهيه، فالمعجزة كما تدل على صدق الرسول ﷺ فبالتالي تدل على وجود الله تبارك وتعالى.

وهذه الطريقة قد استدل بها علماء أهل السنة والجماعة على وجود الله تعالى، كما استدلوا بغيرها من الطرق. يقول ابن عبد البر[٣]:

«إنه من نظر إلى إسلام أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، وسعد، وعبد الرحمن، وسائر المهاجرين والأنصار، وجميع الوفود الذين دخلوا في دين الله أفواجًا (رضي الله عنهم أجمعين) علم أن الله عز وجل لم

---

(١) النبوات لابن تيمية، ص ٧١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٨٢م، ١٤٠٢هـ.

(٢) ملفوظات الشيخ الكشميري ص ٢٨٠، أنوار أنوري ص ١٧.

(٣) ابن عبد البر: هو الإمام العلامة حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبدالبر الأندلسي المالكي، صاحب التصانيف الفائقة، ولد سنة ٣٦٨هـ. وكان إمامًا متدينًا، ثقة، متقنًا، متبحرًا صاحب سنة واتباع. توفي سنة ٤٦٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٥٣.

يعرفه واحد منهم إلا بتصديق النبيين بأعلام النبوة، ودلائل الرسالة»[١].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الاستدلال بالمعجزات:

«وهذه طريقة السلف من أئمة المسلمين في الاستدلال على معرفة الصانع وحدوث العالم»[٢].

ويقول في مكان آخر:

«المعجزات يعلم بها صدق الرسول المتضمن إثبات مرسله؛ لأنها دالة بنفسها على ثبوت الصانع المحدث لها، وأنه أحدثها لتصديق الرسول - ﷺ -، وإن لم يكن قبل قد تقدم من العبد معرفة الإقرار بالصانع. وقد يقال: إن قصة موسى من هذا الباب قال تعالى: ﴿**قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[٣]. وفي سورة طه:

﴿**فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ**﴾[٤] إلى آخر القصة. ففرعون كان منكراً للصانع، مستفهما عنه استفهام إنكار، سواء كان في الباطن مقراً به أو لم يكن، ثم طلب من موسى آية، فأظهر آيته، ودلَّ على إثبات إلهية ربه، وإثبات نبوته جميعًا، فكانت المعجزة مبينة للعلم بالصانع، وبصدق رسوله، وذلك أن الآيات التي يستدل بها على ثبوت الصانع تدل المعجزة كدلالتها وأعظم، وإنما المقصود التنبيه على أن المعجزات قد يعلم بها ثبوت الصانع، وصدق رسوله معًا»[٥].

---

(١) التمهيد لابن عبد البر ٧/ ١٥٢.

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٣٥٢.

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ١٥-٥١.

(٤) سورة طه، الآية: ٤٧.

(٥) درء تعارض العقل والنقل ٩/ ٤١-٤٤.

ويقول ابن القيم رحمه الله:

«وهذا الطريق من أقوى الطرق وأصحها وأدلها على الصانع وصفاته وأفعاله. وارتباط أدلة هذا الطريق بمدلولاتها أقوى من الأدلة العقلية الصريحة، ولهذا يسميها الله آيات بينات. وليس في طرق الأدلة أوثق ولا أقوى منها، فإن انقلاب عصا تقلبها اليد ثعبانًا عظيمًا يبتلع ما يمر به، ثم يعود كما كانت من أدلّ دليل على وجود الصانع وحياته وقدرته وإرادته، وعلمه بالكليات والجزئيات، وعلى رسالة رسول، وعلى المبدأ والمعاد، فكل قواعد الدين في هذه العصا.

وكذلك اليد، وفلق البحر طرقًا والماء قائم بينهما كالحيطان، ونتق الجبل من موضعه، ورفعه على قدر العسكر العظيم فوق رؤوسهم، وضرب حجر مربع بعصا، فتسيل منه اثنتا عشرة عينًا تكفي أمة عظيمة، وكذلك سائر آيات الأنبياء مما هو من أعظم الأدلة على الصانع وصفاته وأفعاله، وصدق رسله، واليوم الآخر. وهذه من طرق القرآن التي أرشد الله إليها عباده، ودلّهم بها، كما دلّهم بما يشاهدونه من أحوال الحيوان والنبات والمطر والسحاب، والحوادث التي في الجو والأرض»(١).

مع هذه النصوص الواقع أيضًا يشهد بما لدلالة المعجزة من القوة والتأثير؛ حيث ينقلب الإنسان المعاند الكافر بعد رؤيته لها إلى مؤمن مخلص، وهو ما حدث كثيرًا في حياة رسولنا وغيره من الرسل عليهم الصلاة والتسليم.

وبهذا يظهر جليًا أن الاستدلال بالمعجزة على وجود الله عز وجل طريق شرعي دل عليه الكتاب والسنة، وسلكه علماء أهل السنة والجماعة.

وبالرغم من أنني لم أقف فيما اطلعت عليه من كتب وأمالي الشيخ الكشميري -رحمه الله- على كلام يشير فيه صراحة إلى إثبات وجود الله

---

(١) الصواعق المرسلة، لابن القيم ٣/ ١١٩٧.

-عز وجل- عن طريق دلالة المعجزات، إلا أن إيراده لبعض[١] معجزات النبي ﷺ للاستدلال بها على صدق نبوته يستلزم ثبوت وجود اللّٰه -عز وجل-؛ لأن الإيمان بالرسول -ﷺ- يقتضي الإيمان بالذي أرسله، وهو اللّٰه عز وجل كما سبق أن ذكرنا ذلك.

والمتكلمون أيضًا يستدلون بالمعجزة على إثبات النبوة، ولا يستدلون بها على إثبات خالق سبحانه تعالى، ولكن الشيخ الكشميري لما استدل بالفطرة ودليل الخلق والاختراع على إثبات الخالق سبحانه فالأقرب إلى الصواب أن إيراده لبعض معجزات النبي ﷺ لإثبات وجود اللّٰه تعالى. واللّٰه أعلم.

---

(١) انظر: فيض الباري ٤/ ٥٧.

المبحث الثاني

منهج المتكلمين في الاستدلال على وجود الله

بعد هذا العرض والإيضاح لإثبات وجود الله عند أهل السنة والجماعة نرى منهج المتكلمين في ذلك، فبينما يرى أهل السنة والجماعة أن معرفة الله عز وجل بدهي فطري؛ لا تحتاج إلى نظر ودليل، يرى المتكلمون أن هذه المعرفة لا تحصل إلا بالنظر، إذن هذه المعرفة نظرية، ولحصول هذه المعرفة عدة طرق، أوضحها المتكلمون، وذكرها الإيجي(١)، فهو يقول:

المقصد الأول: في إثبات الصانع، وفيه مسالك:

المسلك الأول للمتكلمين، قد علمت أن العالم إما جوهر أو عرض، وقد يستدل بكل واحد منها إما بإمكانه، أو بحدوثه، فهذه وجوه أربعة:

الأول: الاستدلال بحدوث الجواهر، وهو أن العالم حادث، وكل حادث فله محدث.

الثاني: بإمكانها، وهو أن العالم ممكن؛ لأنه مركب وكثير، وكل مركب فله علة مؤثرة.

الثالث: بحدوث الأعراض، مثل ما نشاهد من انقلاب النطفة علقة، ثم مضغة، ثم لحمًا ودمًا؛ إذ لابد من مؤثر صانع حكيم.

الرابع: بإمكان الأعراض، وهو أن الأجسام متماثلة، فاختصاص كل بما له من الصفات جائز، فلابد في التخصيص من مخصص له.

---

(١) الإيجي: هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، عضد الدين الإيجي. عالم بالأصول والمعاني والعربية، من أهل إيج بفارس. ولي القضاء، وجرت له محنة مع صاحب كرمان فحبسه بالقلعة، فمات مسجونًا سنة ٧٥٦هـ. من تصانيفه: المواقف في علم الكلام، العقائد العضدية، الرسالة العضدية. انظر: الأعلام ٤/ ٦٦.

ثم بعد هذه الوجوه نقول: مدبر العالم إن كان واجب الوجود، فهو المطلوب، وإلا كان ممكنًا فله مؤثر. ويعود الكلام فيه، ويلزم إما الدور، أو التسلسل، وإما الانتهاء إلى مؤثر واجب الوجود. والأول بقسميه باطل، فتعين الثاني»[١].

وهذه الطرق الأربع للمتكلمين، والتي تقوم على الاستدلال بالجواهر والأعراض على النحو المذكور قد أنكرها وذمها علماء أهل السنة والجماعة، وبينوا فسادها.

وممن ذم هذه الطرق أبو الحسن الأشعري[٢] -رحمه اللّه- فقد قال بعد أن بين ثبوت صدق الرسول ﷺ الذي يستدل به على وجود اللّه عز وجل:

«وإذا ثبت بالآيات صدقه، فقد علم صحة كل ما أخبر به النبي ﷺ عنه، وصارت أخباره -عليه السلام- أدلة على صحة سائر ما دعانا إليه من الأمور الغائبة عن حواسنا وصفات فعله، وصار خبره -عليه السلام- عن ذلك سبيلاً إلى إدراكه، وطريقًا إلى العلم بحقيقته. وكان ما يستدل به من أخباره -عليه السلام- على ذلك أوضح دلالة من دلالة الأعراض التي اعتمد على الاستدلال بها الفلاسفة، ومن اتبعهم من القدرية، وأهل البدع المنحرفين عن الرسل -عليهم السلام- من قبل أن الأعراض لا يصح الاستدلال بها إلا بعد رتب كثيرة يطول الخلاف فيها، ويدق الكلام عليها.

فمنها ما يحتاج إليه في الاستدلال على وجودها والمعرفة بفساد شبه

---

(١) المواقف في علم الكلام، للقاضي عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، ص ٢٦٦.

(٢) أبو الحسن الأشعري: هو أبو الحسن علي بن إسماعيل من نسل الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري. ولد سنة ٢٦٠هـ، وكان عجبًا في الذكاء والفهم، نشأ في أكناف المعتزلة، وقرأ على أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة، ولما برع في معرفة الاعتزال كرهه وتاب منه، واشتغل في الرد على المعتزلة، وأعلن أن مذهبه مذهب أهل السنة والجماعة، وألف كتبًا تشهد بسعة علمه. توفي ببغداد سنة ٣٢٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٥/ ٨٥.

المنكرين لها، والمعرفة بمخالفتها للجواهر في كونها لا تقوم بنفسها، ولا يجوز ذلك على شيء منها، والمعرفة بأنها لا تبقى.

والمعرفة باختلاف أجناسها، وأنه لا يصح انتقالها من محالها، والمعرفة بأن ما لا ينفك منها فحكمه في الحدث حكمها. ومعرفة ما يوجب ذلك من الأدلة وما يفسد به شبه المخالفين في جميع ذلك حتى يمكن الاستدلال بها على ما ذكرناه بها؛ لأن العلم بذلك لا يصح عنده إلا بعد المعرفة بسائر ما ذكرناه آنفًا.

وفي كل مرتبة مما ذكرنا فرق تخالف فيها، ويطول الكلام عليها[١].

لقد صور الإمام أبو الحسن الأشعري هذه المسألة تصويرًا دقيقًا يبين مدى إدراكه لمذهب المتكلمين ومناهجهم.

---

(١) رسالة إلى أهل الثغر، لأبي الحسن الأشعري، ص ١٨٤-١٨٧.

المبحث الثالث

توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية

١- توحيد الربوبية:

معنى توحيد الربوبية لغة :

التوحيد مصدر وَحَّدَ، يُوحِّد، توحيدًا، أي : جعله واحدًا .

والرب له عدة معاني : فهو يطلق على المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والمتمم، والقَيِّم، والمنعم، ولا يطلق مطلقًا بدون الإضافة إلا على الله تعالى .

قال الراغب الأصفهاني : الرب في الأصل التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام، ولا يقال الرب مطلقًا إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات، وبالإضافة يقال له ولغيره، نحو قوله : ﴿رب العالمين﴾ . ويقال : رب الدار، ورب الفرس لصاحبها .(١)

وقال ابن منظور :

«الرب يطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والقيّم، والمنعم»(٢) .

معنى توحيد الربوبية اصطلاحًا :

توحيد الربوبية : هو إفراد الله تعالى بما يختص به من الخلق والملك والتدبير .

أو هو اعتقاد تفرد الله تعالى بما يختص به من الخلق والملك .

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن، للعلامة الراغب الأصفهاني، تحقيق : صفوان عدنان داودي، ص٣٣٦، كتاب الراء، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

(٢) لسان العرب، لابن منظور، ص ٣٩٩، باب الباء فصل الراء .

أو هو اعتقاد تفرد اللّه تعالى بما يختص به من أفعاله عز وجل .

يقول شارح الطحاوية[١] في تعريفه لتوحيد الربوبية :

«الإقرار بأن اللّه خالق كل شيء، وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال»[٢] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه :

«فتوحيد الربوبية أنه لا خالق إلا اللّه، فلا يستقل شيء سواه بإحداث أمر من الأمور، بل ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن»[٣] .

ويقول ابن قيم الجوزية :

«فهو رب كل شيء، وخالقه، والقادر عليه، لا يخرج شيء عن ربوبيته، وكل من في السماوات والأرض عبد له، في قبضته، وتحت قهره»[٤] .

وهذا التوحيد هو الذي جبلت الفطرة على الاعتراف به، ولم يعرف عن أحد من الطوائف القول بأن للعالم صانعين متكافئين متماثلين في الصفات والأفعال حتى الثنوية[٥] من المجوس. والمانوية[٦] القائلين بالأصلين : النور، والظلمة، والنصارى[٧] القائلين بالتثليث لم يذهبوا إلى إثبات صانعين

---

(١) شارح الطحاوية : هو علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الدمشقي، ولد سنة ٧٣١هـ، وكان فقيهًا، تولى منصب قاضي القضاة في دمشق، ثم بالديار المصرية. توفى سنة ٧٩٢هـ. انظر : الأعلام ٤/ ٣١٣.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٧٩.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٠/ ٣٣١.

(٤) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية ١/ ٢٨.

(٥) الثنوية : هم أصحاب الاثنين الأزليين، يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان. انظر : الملل والنحل للشهرستاني، ص ٢٤٥.

(٦) المانوية : هم أصحاب ماني بن فاتك الحكيم، القائل بأن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين : أحدهما نور، والآخر ظلمة. انظر : الملل والنحل، ص ٢٤٥.

(٧) النصارى : هم أمة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.

متماثلين.[١] والمشركون الذين خوطبوا بالقرآن كانوا يقرون بهذا التوحيد، ولم يكونوا يعتقدون في الأصنام التي يعبدونها أنها مشاركة لله في الخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، بل كان حالهم كحال غيرهم من مشركي الأمم، وتارة يعتقدون أن هذه الأصنام تماثيل قوم صالحين، ويتخذونها شفعاء، ويتوسلون بها إلى الله. وقد ذكر القرآن الكريم اعترافهم بتوحيد الربوبية في كثير من الآيات. منها قوله تعالى:

﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَٰوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[٢].

ولأجل كون توحيد الربوبية أمراً مغروزاً في الجبلة الإنسانية لم يكن رسل الله عليهم الصلاة والسلام يدعون قومهم إلى توحيد الربوبية، بل إنما كانت دعوتهم إلى توحيد الله تعالى. يقول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَٰلَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[٣].

وهذا التوحيد لا يكفي العبد في حصول الإسلام، بل لابد أن يأتي مع ذلك بلازمه، وهو توحيد الألوهية.

وعند تتبع ما حصلت عليه من كتب الشيخ الكشميري -رحمه الله- يبدو لي أنه لم يتوسع في بيان الأدلة المباشرة على توحيد الربوبية إلا بعض الإشارات في ثنايا كتبه كما سبق أن ذكرت ذلك، إلا أن ذكره لقضية الإيمان والنبوات واليوم الآخر والحساب وعذاب القبر إلى غير ذلك من الأمور الاعتقادية يستلزم معرفة وجود الله عز وجل، فإن هذه الأمور لا تتحقق إلا

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٨٠.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ٨٦-٨٧.

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٦.

بعد الإيمان بوجود اللّه عز وجل، وهو المطلوب.

الإشارة إلى وحدة الوجود:

إن القول بوحدة الوجود لم يكن أخذ صورته الكاملة في التصوف قبل ابن عربي[١] الذي قرر مذهب وحدة الوجود، ويقوم هذا على أساس أن الوجود كله -بما فيه ومن فيه- واحد هو اللّه.

وقد أشار الشيخ الكشميري -رحمه اللّه- إلى القول بوحدة الوجود وإن لم يصرح به، فعند شرحه لقول رسول اللّه ﷺ: «إن اللّه تعالى قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، وما زال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجْله التي يمشي بها . . . الحديث»[٢].

يقول الكشميري: «ههنا بحث للصوفية في فضل القرب بالنوافل والقرب بالفرائض، فقالوا: إن العبد في القرب الأول يصير جارحة للّه جل مجده، واللّه نفسه يكون جارحة لعبده في القرب الثاني».

ثم يقول بعد أسطر:

«قلت: أما كون اللّه تعالى جارحة للعبد في القرب بالنوافل فذلك نص الحديث»[٣].

ويقول بعد شرحه لهذا الحديث:

«وفي الحديث لمعة إلى وحدة الوجود، وكان مشايخنا مولعين بتلك

---

(١) ابن عربي: هو محي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي، المعروف بابن عربي، ولد سنة ٥٦٠هـ، في الأندلس، يعتبر رأسًا في تصوف أهل وحدة الوجود، ومن أشهر تصانيفه الفتوحات المكية، وفصوص الحكم. مات سنة ٦٣٨هـ بدمشق.

انظر: سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٤٨، شذرات الذهب ٥/ ١٩٠، نفح الطيب ٢/ ١٦١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق، باب التواضع ٧/ ١٩٠.

(٣) فيض الباري ٤/ ٤٢٧-٤٢٨.

المسألة إلى زمن الشاه عبد العزيز، أما أنا فلست بمتشدد فيها»[١].

ويقول عند شرحه لقول الرسول ﷺ: «جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءًا وأنزل في الأرض جزءًا واحداً، فمن ذلك يتراحم الخلق . . . الحديث»[٢].

يقول: وفيه رائحة وحدة الوجود لأنه يدل علي أن تلك الرحمة عينها جعلت بين العباد مع أنها كانت جزءا من أجزاء رحمة الرب. فما كان للرب جل مجده صارت للعباد بعينها. وهل الوحدة المذكورة ممكنة أو لا؟ فالوجه أنها ممكنة إلا أن الغلو فيها غلوٌّ»[٣].

إن هذه النصوص تدل على ما كان يراه الشيخ الكشميري من القول بوحدة الوجود، ولا يصح الاستدلال على هذه المسألة بالحديث الأول؛ لأن معنى الحديث -على كثرة الأقوال فيه- أن جوارح العبد تصير تابعة للمرضاة الإلهية وهذا المعنى ذكره الكشميري بنفسه.[٤]

يقول الحافظ ابن حجر بعد أن ذكر أقوال العلماء عن معنى هذا الحديث:

«وعلى الأوجه كلها فلا متمسك فيه للاتحادية ولا القائلين بوحدة الوجود لقوله في بقية الحديث: «ولئن سألني، ولئن استعاذني، فكأنه كالصريح في الرد عليهم»[٥].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«وهذا الحديث يحتج به أهل الوحدة وهو حجة عليهم من وجوه كثيرة، منها أنه قال: «من عادى لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة» فأثبت نفسه ووليه

---

(١) المصدر نفسه والصفحة.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب جعل الله الرحمة مائة جزء ٧/ ٧٥.

(٣) فيض الباري ٤/ ٣٨٧.

(٤) المصدر نفسه ٤/ ٤٢٨.

(٥) فتح الباري ١١/ ٣٣٤-٣٣٥.

ومعادي وليه، وهؤلاء ثلاثة. ثم قال: «وما تقرب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه» فأثبت عبداً يتقرب إليه بالفرائض ثم بالنوافل حتى يحبه، فإذا أحبه كان العبد يسمع به، ويبصر به، ويبطش به، ويمشي به، وهؤلاء عندهم قبل أن يتقرب بالنوافل وبعده هو عين العبد وعين غيره من المخلوقات فهو بطنه، وفخذه لا يخصون ذلك بالأعضاء الأربعة المذكورة في الحديث»(١).

٢- توحيد الألوهية:

النوع الثاني من أنواع التوحيد هو توحيد الألوهية. ومعناه إفراد الخالق جل وعلا بالعبادة، وإخلاص الدين وحده.(٢)

والألوهية نسبة إلى الإله بمعنى المعبود. يقال: أَلَهَ يأله إلهة وألوهة، وألوهية بمعنى عَبَدَ عبادة.(٣)

وهذا النوع من أنواع التوحيد أول الدين وآخره، وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل وآخرها، ولأجل هذا التوحيد خُلِق الجن والإنس، وأُرسل الرسل، وأُنزلت الكتب، وبه افترق الناس إلى مؤمنين موحدين وإلى كافرين ومشركين.

ولما لهذا التوحيد من الأهمية فقد ركز علماء أهل السنة والجماعة عنايتهم واهتمامهم بذكر وبيان هذا التوحيد تحقيقاً للغرض الذي خلق لأجله الجن والإنس، ولئلا يضل الإنسان عن طريق العبادة الحقة بصرفها إلى غير الله فيقع في الشرك.

والأدلة على هذا التوحيد كثيرة، منها:

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ١/ ١١.

(٢) دعوة التوحيد، للدكتور محمد خليل هراس، ص ٢٧.

(٣) الصحاح للجوهري، باب الهاء فصل الألف ٦/ ٢٢٢٣، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

١- قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّـٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَـٰلَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾(١).

٢- قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾(٢).

٣- وقوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾(٣).

٤- وقول الرسول ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: «إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله...». الحديث.(٤)

٥- وقوله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «يا معاذ! أ تدري ما حق الله على العباد؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئًا. أتدري ما حقهم عليه؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: أن لا يعذبهم»(٥).

والشيخ الكشميري لم يذكر -فيما اطلعت عليه من كتبه- هذا النوع من أنواع التوحيد بالصراحة، إلا أنه ذكره ضمن بعض المسائل الاعتقادية، فهو يقول في قضية الإيمان:

بأنه «التصديق مع التزام الطاعة، والتبرئ عن دين سواه»(٦).

ويقول في مكان آخر:

«الإيمان هو التصديق لكل ما جاء به الرسول ﷺ وإن لم يكن متواترًا،

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٣) سورة الزمر، الآيتان: ١١-١٢.

(٤) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ٨/ ١٦٤.

(٥) المصدر نفسه والصفحة.

(٦) فيض الباري ١/ ٥١.

والتزام أحكامه، والتبرؤ عن كل دين سواه»[١].

ولا شك أن طاعة الرسول ﷺ بالتزام أحكامه بفعل ما أمر به، والانتهاء عما نهاه عنه، والتبرئ عن كل دين سوى دين الإسلام هو حقيقة توحيد الألوهية. ويتضح بذلك أن الشيخ الكشميري يقف موقف أهل السنة والجماعة في هذا النوع من أنواع التوحيد أيضًا.

ومن أنواع التوحيد توحيد في الأسماء والصفات الذي يأتي الحديث عنه في الفصل الثاني إن شاء اللّه تعالى.

ومما تجدر الإشارة إلى أن هذه الأنواع كلها بينها علاقة تلازم، وتضمن، وشمول. فتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية، فتوحيد الربوبية كالمقدمة من النتيجة، فإنه إذا علم أنه سبحانه هو الرب وحده، لا شريك له في ربوبيته كانت العبادة حقه التي لا تنبغي إلا له.

وأما توحيد الألوهية فهو متضمن لتوحيد الربوبية، ومعنى كونه متضمنًا له أن توحيد الربوبية داخل ضمن توحيد الألوهية، فإن من عَبَدَ اللّه، ولم يشرك به شيئًا لابد أن يكون قد اعتقد أن اللّه هو ربه، ومالكه الذي لا ربَّ له غيره.

وأما توحيد الأسماء والصفات فإنه شامل للنوعين السابقين، فهو يقوم على إفراد اللّه تعالى بكل ما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى التي لاتنبغي إلا له.

ومن جملتها كونه ربًا واحدًا لا شريك له في ربوبيته، وكونه إلهًا واحدًا لا شريك له في ألوهيته. فاسم الرب لا ينصرف عند الإطلاق إلا إليه، فله وحده الربوبية المطلقة الشاملة لجميع خلقه، وكذلك اسم الجلالة لايطلق إلا عليه وحده، فهو ذو الألوهية على جميع خلقه؛ ليس لهم إله غيره.

---

(١) فيض الباري ١/ ٦٩.

وبالجملة هذه الأنواع الثلاثة متكافلة متلازمة يكمل بعضها بعضًا، ولاينفع إحداهما بدون الآخرين، فكما لا ينفع توحيد الربوبية بدون توحيد الألوهية، فكذلك لا يصح توحيد الألوهية بدون توحيد الربوبية، وكذلك من وحّد اللّه في ربوبيته وألوهيته لكنه سمى غيره باسمه، أو ألحد في أسمائه، فلم يثبت له ما دلت عليه تلك الأسماء من صفات الكمال، أو أثبت لغيره مثل صفته لم ينفعه توحيده في الربوبية والألوهية، فلا يكمل لأحد توحيده إلا باجتماع أنواع التوحيد الثلاثة.(١)

---

(١) دعوة التوحيد للدكتور محمد خليل هراس، ص ٨٣، في العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة، تحليل ونقد للدكتور محمود أحمد خفاجي ١/ ٢٢٣، ط: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، ص ١٧.

الفصل الثاني

صفات الله تعالى

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أقسام الصفات.

المبحث الثاني: مذاهب الناس في الصفات.

المبحث الثالث: موقف الشيخ الكشميري من الصفات.

تمهيد

كان الوحي ينزل على رسول اللّه ﷺ موضحًا كل ما هو مطلوب اعتقاده ومن ذلك ما يتعلق بذات اللّه وصفاته، والرسول ﷺ يبين ذلك لأصحابه رضي اللّه عنهم، فعاشوا على عقيدة صافية نقية، ولم يؤثر عنهم خلاف في مسألة من مسائل الصفات والأفعال.

يقول ابن قيم الجوزية:

«تنازع الناس في كثير من الأحكام، ولم يتنازعوا في آيات الصفات وأخبارها في موضع واحد بل اتفق الصحابة والتابعون (رضي اللّه عنهم أجمعين) على إقرارها وإمرارها مع فهم معانيها، وإثبات حقائقها. وهذا يدل على أنها أعظم النوعين بيانًا، وأن العناية بها من تمام تحقيق الشهادتين، وإثباتها من لوازم التوحيد، فبينها اللّه سبحانه وتعالى ورسوله بيانًا شافيًا لا يقع فيه لبس، يوقع الراسخين في العلم»[١].

وظلت العقيدة نقية صافية حتى ترجمت كتب المنطق والفلسفة إلى اللغة العربية، ودخلت أفكار جديدة إلى المسلمين مما أدى إلى ظهور الجدل والنقاش في المسائل العقدية، ونشأة فرق جديدة كالمعتزلة، والجهمية، والفلاسفة، ودار النقاش في ذات اللّه وصفاته، والعلاقة بينهما، وهل الصفات زائدة على الذات أو لا؟ وهل هي قديمة أو لا؟ وغير ذلك مما يتصل بالذات والصفات.

وسنرى في هذا الفصل إن شاء اللّه أقسام الصفات عند المتكلمين وعند أهل السنة والجماعة، وأقوالهم في الصفات، وموقف الشيخ الكشميري من الصفات، ومدى موافقته أو مخالفته لأهل السنة والجماعة في هذه المسألة.

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن قيم الجوزية، اختصره محمد الموصلي ص١٧، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

المبحث الأول

أقسام الصفات

أولاً : أقسام الصفات عند أهل السنة والجماعة:

تنقسم صفات اللّه عز وجل عند أهل السنة والجماعة إلى ما يلي(١) :

أولاً : من حيث إثباتها ونفيها .

ثانيًا : من حيث تعلقها بذات اللّه وأفعاله .

ثالثًا : من حيث ثبوتها وأدلتها .

ا - صفات اللّه من حيث إثباتها ونفيها:

تنقسم صفات اللّه من حيث إثباتها ونفيها إلى ثبوتية وسلبية .

١ - صفات ثبوتية :

وهي ما أثبته اللّه سبحانه وتعالى لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ، كالاستواء والنزول . . . وغير ذلك .

٢ - صفات سلبية :

وهي ما نفاه اللّه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ وكلها صفات نقص، كالنوم والسِنَة . . .

ويلاحظ أن مفهوم صفات السلبية عند أهل السنة والجماعة يختلف عن مفهومها عند المتكلمين، كما سيأتي .

ب- صفات اللّه من حيث تعلقها بذات اللّه وأفعاله:

وتنقسم صفات اللّه من حيث تعلقها بذات وأفعال اللّه تعالى إلى ذاتية وفعلية :

---

(١) هذه التقسيمات اضطر لها أهل السنة نظرًا إلى تقسيمات المتكلمين، ولم ترد هذه التقسيمات من السلف الأوائل .

١ - ذاتية :

وهي التي لم يزل ولا يزال اللّه تعالى متصفًا بها، كالعلم والقدرة . . .

٢- فعلية :

وهي الصفات المتعلقة بمشيئة وقدرة اللّه تعالى، إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها، كالمجيء والنزول. وتسمى أيضًا "الصفات الاختيارية".

ج- صفات اللّه من حيث ثبوتها وأدلتها:

وتنقسم صفات اللّه من حيث ثبوتها إلى خبرية وسمعية عقلية :

١- خبرية :

وهي الصفات التي لا سبيل إلى إثباتها إلا السمع والخبر عن اللّه أو عن رسول اللّه ﷺ، وتسمى أيضًا "الصفات السمعية أو النقلية".

وقد تكون ذاتية كالوجه، وقد تكون فعلية كالنزول.

٢- سمعية عقلية :

وهي الصفات التي دل على إثباتها الدليل العقلي مع الدليل النقلي.

وقد تكون ذاتية كالحياة والعلم والقدرة، وقد تكون فعلية كالخلق والرزق . . . (١)

ثانيًا: أقسام الصفات عند المتكلمين:

يقسم العلماء المتكلمون صفات اللّه إلى قسمين :

١- صفات ثبوتية.

٢- صفات سلبية.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٦/ ٢١٧-٢٣٣، شرح القصيدة النونية للهراس ٢/ ١٠٩، صفات اللّه عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، لعلوي بن عبد القادر السقاف، ص٢٧-٢٩، القواعد المثلى في صفات اللّه وأسمائه، للشيخ محمد بن عثيمين، ص ٣١-٤١.

أ - الثبوتية قسمان:

١ - منها ما يدل على نفس الذات دون معنى زائد عليها، وهي الوجود.

٢ - منها ما يدل على معنى زائد على الذات، وهي صفات المعاني والمعنوية.

ب- السلبية: وهي خمس صفات: القدم، والبقاء، والقيام بالنفس، والمخالفة للحوادث، والوحدانية. [١]

والمراد بالصفات السلبية هي الصفات التي تسلب عن الله عز وجل ما لايليق بجلال وعظمة الله تعالى، وهي نسبة للسلب، أي: النفي.

وإنما نسبت للسلب لأنها مفسرة به، إذ القدم سلب أولية الوجود، والبقاء سلب آخرية الوجود، والمخالفة للحوادث سلب المماثلة لها، والقيام بالنفس سلب الافتقار إلى المحل، والوحدانية سلب التعدد في الذات، والتعدد في الصفات والأفعال، فليس المراد بكونه سلبية أنها مسلوبة ومنفية عن الله، وإلا لزم أن يثبت له الحدوث، وطرو العدم، والمماثلة للحوادث، وهكذا. [٢]

---

(١) شرح جوهرة التوحيد للإمام العلامة الشيخ إبراهيم الباجوري، ص ٨٥، مكتبة الغزالي للطباعة والنشر والتوزيع، حماة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

(٢) حاشية الباجوري على متن السنوسية، ص ١٩. حاشية الدسوقي على أم البراهين، ص ٩٣، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، حاشية أحمد الصاوي على شرح المخريدة البهية، ص٦٧، المطبعة الأهرية بمصر ١٣٤٧هـ - ١٩٢٨م، الطبعة الثالثة.

المبحث الثاني

مذاهب الناس في الصفات

اختلف الناس في صفات اللّه عز وجل من حيث الإثبات والنفي، وأدلى كل واحد بدليله على ما يراه. وقد اشتهرت ست فرق تكلمت في هذا الموضوع، وهي:

١- الجهمية، ٢- الفلاسفة، ٣- المعتزلة، ٤- الأشاعرة،

٥- الكرامية، ٦- أهل السنة والجماعة.

ولهذه الفرق مواقف متباينة -من حيث الإثبات والنفي- إزاء الصفات، فبعضها من النفاة وبعضها من المثبتة.

أولاً: فريق النفاة:

وهم: الجهمية، والفلاسفة، والمعتزلة.

ثانيًا: فريق المثبتة:

وهم: الأشاعرة، والكرامية، وأهل السنة والجماعة.

ونبدأ الحديث بتفصيل آراء فريق النفاة، فنقول:

١- الجهمية[(١)]:

هم أتباع جهم بن صفوان، وهؤلاء يرون أنه لا يصح أن يوصف اللّه بوصف يجوز إطلاقه على أحد من خلقه.

قال البغدادي[(٢)] عن رأي جهم في ذلك:

---

(١) الجهمية: هم أصحاب جهم بن صفوان، ظهرت بدعته بترمذ، وقتله سالم بن أحوز المازني بمَرْو في آخر زمن بني أمية، ومن أهم معتقداته نفي الصفات، والجبر، وفناء الجنة والنار. انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص ٨٦.

(٢) البغدادي: هو أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي، صاحب التصانيف البديعة، وأحد أعلام الشافعية، وأئمة الأصول، مات بإسفرائين سنة ٤٢٩هـ. وله تصانيف في النظر والعقليات، منها: "الفَرق بين الفِرَق". انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٧٢.

«وامتنع من وصف الله تعالى بأنه شيء، أو حي، أو عالم، أو مريد، وقال: لا أصفه بوصف يجوز إطلاقه على غيره كشيء، وموجود، وحي، وعالم، ومُريد، ونحو ذلك. ووصفه بأنه قادر، وموجد، وفاعل، وخالق، ومحيي، ومميت؛ لأن هذه الأوصاف مختصة به وحده»[(١)].

ويقول الشهرستاني[(٢)] عن رأيه:

«منها قوله: لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه؛ لأن ذلك يقتضي تشبيهًا، فنفى كونه حيًا عالمًا، وأثبت كونه قادرًا و فاعلاً، خالقًا؛ لأنه لا يوصف شيء من خلقه بالقدرة والفعل والخلق»[(٣)].

يقول الشيخ الكشميري عن جهم بن صفوان:

«جهم بن صفوان رجل مبتدع نشأ من -ترمذ- في أواخر عهد التابعين، تنقل عنه الأشياء الفلسفية من نفي الصفات وغيرها . . . وكان جهم ينفي الصفات السبع، وإليه ذهب المعتزلة.[(٤)]

٢- الفلاسفة[(٥)]:

أما الفلاسفة فقد اتفقوا مع المعتزلة في نفي الصفات ولكنهم يختلفون مع المعتزلة في الاحتجاج للنفي، فبينما يرى المعتزلة أن إثبات الصفات يؤدي إلى

---

(١) الفرق بن الفرق، لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي، ص ٢١١-٢١٢.

(٢) الشهرستاني: هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، شيخ أهل الكلام والحكمة، برع في الفقه، وهو شافعي، أشعري، صاحب التصانيف، منها: "نهاية الإقدام في علم الكلام"، والملل والنحل". توفى سنة ٥٤٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٨٦.

(٣) الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، ص ٨٦.

(٤) فيض الباري، ٤/ ٥١٣-٥١٤.

(٥) الفلاسفة: هم فرقة نظرت في كتب فلاسفة اليونان فصدقوا بما فيها من خزعلات ظنًا منهم أن هؤلاء الفلاسفة لا يخطؤون؛ لأنهم يجرون في بحثهم على مقتضى البرهان، ثم حاولوا أن يوفقوا بين هذه الفلسفة وبين عقائد المسلمين، فأخذوا يؤولون النصوص بما يوافق فلسفتهم. انظر: الملل والنحل، ص ٣١٢.

القول بتعدد القدماء، نجد أن الفلاسفة لا يمانعون من تجويز تعدد القدماء، فالعقول العشرة والأفلاك مثلاً عندهم قديمة. ولكنهم ينفون الصفات عن اللّه خشية التركيب، فاللّه عندهم واحد بسيط، وما ورد في الشرع من صفات اللّه فإنما ترجع إلى ذات واحدة، وهذه الصفات إما أنها سلبية تفيد نفي نقص لايليق باللّه تعالى أو إضافات اعتبارية.[١]

٣- المعتزلة[٢]:

تعتبر فرقة المعتزلة من النفاة للصفات، فإنهم ينفون زيادتها على الذات، أما الصفات من حيث هي فإنهم يرون أن اللّه عالم، قادر، حي، ولكنهم يختلفون في كيفية استحقاقه تعالى لهذه الصفات.

فقال أبو علي الجبائي[٣] وأبو الهذيل العلاف[٤]:

إن اللّه تعالى يستحق هذه الصفات لذاته، فهو سبحانه عالم لذاته، وقادر لذاته، مريد لذاته.

وقال أبو هاشم[٥]:

---

(١) النجاة لابن سينا، ص ٢٥١، الطبعة الثانية ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م، التدمرية، لابن تيمية ص١٥.

(٢) المعتزلة: فرقة من علماء الكلام، تنسب إلى رجل يقال له: واصل بن عطاء، وكان تلميذاً للحسن البصري، يقرأ عليه العلوم والأخبار، ثم اعتزله لسبب ما، وعمل له حلقة بالمسجد يقرر فيها آراءه، فسمي هو وأصحابه بالمعتزلة. وهم -على تعدد فرقهم ومدارسهم- متفقون على خمس مبادئ أساسية، وهي: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. انظر: الملل والنحل ص ٤٣.

(٣) أبو علي الجبائي: هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي، من أئمة المعتزلة، ورئيس علماء الكلام في عصره، وإليه نسبة "الطائفة الجبائية". له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب، مات سنة ٣٠٣هـ. انظر: الأعلام ٧/ ١٣٦.

(٤) أبو الهذيل العلاف: هو محمد بن الهذيل بن عبد اللّه، من أئمة المعتزلة، ولد في البصرة، واشتهر بعلم الكلام، كان سريع الجدل، وقوي الحجة، سريع الخاطر، له مقالات في الاعتزال، ومجالس، ومناظرات. توفي سنة ٢٣٥هـ. انظر: الأعلام ٧/ ٣٥٥.

(٥) أبو هاشم: هو عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي، من كبار المعتزلة، له آراء ===

«إن هذه الصفات أحوال[١] وراء الذات، فالله تعالى عالم بعالمية، قادر بقادرية، وهذه الأحوال لا موجودة ولا معدومة»[٢].

وحجة المعتزلة في القول بعدم زيادة الصفات على الذات أن القدَم أخص صفات الذات الإلهية، فلو كانت له صفات قديمة شاركته في الإلهية.

يقول الشهرستاني:

«والذي يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد القول بأن الله تعالى قديم، والقدم أخص وصف ذاته، ونفواالصفات القديمة أصلاً، فقالوا: هو عالم بذاته، قادر بذاته، حي بذاته، لا بعلم وقدرة وحياة، هي صفات قديمة ومعان قائمة به؛ لأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف لشاركته في الإلهية»[٣].

وأما بالنسبة للصفات الخبرية فيذهبون إلى نفيها أو تأويل الآيات التي وردت فيها؛ لأن إثباتها يؤدي - على زعمهم - إلى أن الله تعالى جسم، وبالإضافة إلى ذلك لم يقم دليل عقلي على ثبوتها، وإنما وردت في السمع، وهي -في نظرهم- ظنية الدلالة معارضة بالأدلة العقلية التي يرون أنها قطعية الدلالة[٤].

=== انفرد بها، وتبعته فرقة "البهشمية". وله مصنفات في الاعتزال. مات سنة ٣٢١هـ ببغداد. انظر: الأعلام ٤/ ١٣٠.

(١) الحال: عبارة عن صفة الشيء، ولكنها لا توصف بالوجود، والعدم، ولا بالمعلومة، والمجهولة، ولا بشيء أبدًا. وهذا القول يدل بنفسه على فساده، ومن الذي يعقل ويهضم معنى لا موجود، ولا معدوم، إنه كلام فارغ؛ ولذلك قيل: إن محالات الكلام ثلاثة: كسب الأشعري، وأحوال أبي هاشم، وطفرة النظام. انظر: في العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة للخفاجي ١/ ١٢٢.

(٢) شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار بن أحمد، ص ١٨٢، مكتبة وهبة، مصر، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م.

(٣) الملل والنحل، للشهرستاني، ص ٤٤، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

(٤) العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة ١/ ٣٦٦ وما بعدها.

ثانيًا: مثبتة الصفات:

١- الأشاعرة:

هم أتباع أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المولود بالبصرة سنة ٢٦٠هـ.(١)

والمعروف عن هؤلاء الأشاعرة أنهم يثبتون لله تعالى سبع صفات يسمونها صفات المعاني، وهي: العلم، والقدرة، والإرادة، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام، وهي عندهم صفات أزلية قائمة بذاته تعالى، زائدة عليها.

يقول الإمام الغزالي(٢):

«القطب الثاني في الصفات، وفيه سبعة دعاوي، إذ ندعي أنه سبحانه قادر، عالم، حي، مريد، سميع، بصير، متكلم، فهذه سبع صفات».

ثم يقول بعد صفحات:

«إن الصفات السبعة التي دللنا عليها ليست هي الذات، بل هي زائدة على الذات، فصانع العالم تعالى عندنا عالم بعلم، وحي بحياة، وقادر بقدرة، هكذا في جميع الصفات»(٣).

ويقول الإيجي:

«ذهبت الأشاعرة إلى أن له صفات زائدة، فهو عالم بعلم، قادر بقدرة، مريد بإرادة، وعلى هذا ...»(٤)

---

(١) الملل والنحل، ص ٩٤، دعوة التوحيد، محمد خليل هراس، ص٢٧٣، مكتبة الحاج إبراهيم مصطفى تاج، طنطا.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد، محمد أبو حامد الغزالي الطوسي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ص ٤٢، ٦٥.

(٤) المواقف في علم الكلام، ص ٢٧٩.

وأما ما وراء ذلك من الصفات الخبرية التي وردت بها النصوص الصريحة من الكتاب والسنة، فقد ذهب متأخروا الأشاعرة إلى تأويلها إلى معنى يليق بالله تعالى، أو تفويض العلم بمعانيها إلى الله جل شأنه.

يقول سعد الدين التفتازاني[1] حاكيًا كل ذلك:

«... أما ظواهر الشرع فكقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾[2] و﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلا أن يَأتيَهُمُ اللَّهُ﴾[3]. و﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[4]. و﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾[5]... إلى غير ذلك... إلى أن قال:

«والجواب أنها ظنيات سمعية، فهي معارضة قطعيات عقلية، فيقطع بأنها ليست على ظواهرها، ويفوض العلم بمعانيها إلى الله تعالى، مع اعتقاد حقيقتها جريًا على الطريق الأسلم الموافق للوقف على لفظ الجلالة في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأوِيلَهُ إلا اللَّهُ﴾[6]، أو تؤول تأويلات مناسبة، موافقة لما عليه الأدلة العقلية على ما ذكر في كتب التفاسير، وشروح الأحاديث سلوكًا للطريق الأسلم، الموافق للعطف في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأوِيلَهُ إلا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[7-8].

---

(١) سعد الدين التفتازاني: هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، من أئمة العربية والمنطق والبيان، أقام بسرخس، وأبعده تيمور لنك إلى سمرقند، فتوفى فيها سنة ٧٩٣هـ. له كتب عدة، منها: شرح المقاصد، والتلويح إلى كشف غوامض التنقيح. انظر: الأعلام ٨/ ١١٣.

(٢) سورة الفجر، الآية: ٢٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٠.

(٤) سورة طه، الآية: ٥.

(٥) سورة الرحمن، الآية: ٢٧.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٨) شرح المقاصد للتفتازاني ٢/ ٤٩-٥٠.

٢- الكرامية[١]:

هم أتباع أبي عبد اللّه محمد بن كرام السجستاني، وهم ممن أثبتوا صفات المعاني للّه تعالى على أنها زائدة على الصفات، فاللّه تعالى عالم بعلم، قادر بقدرة، حي بحياة، سميع بسمع بصير ببصر، وجميع هذه الصفات قديمة أزلية قائمة بذاته.

يقول البغدادي:

وقالوا كذلك: «إنه تعالى كان خالقًا قبل أن يخلق، ورازقًا قبل أن رزق، ومنعمًا قبل أن أنعم، ومعنى خالقيته قدرته على الخلق، ورازقيته قدرته على الرزق، وإنعامه قدرته على الإنعام»[٢].

فهم بذلك يثبتون صفات المعاني ويرون أنها زائدة على الذات، إلا أنهم غالوا في الإثبات حتى اعتبروا من المجسمة.

ويقول الشهرستاني ناقلاً مذهبهم:

نص أبو عبد اللّه على أن معبوده على العرش استقرارًا، وعلى أنه بجهة فوق ذاتًا، وأطلق عليه اسم الجوهر، فقال في كتابه المسمى "عذاب القبر" إنه أَحَديُّ الذات، أَحَديُّ الجوهر، وإنه مماس للعرش من الصفحة العليا، وجوز الانتَقال والتحول والنزول، ومنهم من قال: إنه على بعض أجزاء العرش، وقال بعضهم: امتلأ العرش به، وصار المتأخرون منهم إلى أنه تعالى بجهة فوق، وأنه محاذ للعرش.[٣]

٣- أهل السنة والجماعة:

يعتقد أهل السنة والجماعة أن للّه تعالى صفات، وأنها صفات كمال

---

(١) الكرامية: هم أصحاب أبي عبد اللّه محمد بن كرام السجستاني، وهو ممن يثبت الصفات إلا أنه ينتهي فيها إلى التجسيم والتشبيه. انظر: الملل والنحل ص ١٠٨.

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي، ص ٢١٩.

(٣) الملل والنحل، ص ١٠٨-١٠٩. انظر أيضًا: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٦/٣٦.

وعظمة وأن اللّه تعالى لا يشبهه، ولا يماثله شيء من المخلوقات، لا في ذاته، ولا في صفاته.[١]

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٢].

والواجب علينا إثبات ما أثبته اللّه تعالى لنفسه في كتابه أو أثبته له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ونفي ما نفاه اللّه عن نفسه في كتابه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ مع اعتقاد كمال ضده للّه تعالى»[٣].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٩٨، الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، ص ٩٢، لعبد العزيز المحمد السلمان، الطبعة الحادية عشر ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/ ٣، ٤/ ١٨٢، العقيدة التدمرية لابن تيمية، ص ٥٨، دعوة التوحيد، ص ١٤.

المبحث الثالث

موقف الشيخ الكشميري من الصفات

أولاً : الصفات الذاتية:

إن الباحث في التراث العقدي للشيخ الكشميري ليجد صعوبة إذا أراد الوقوف على ما يتعلق بقضية الصفات الإلهية ، فإنه لا يجد له إلا كلامًا قليلاً أو إشارات إلى هذه القضايا في ثنايا مؤلفاته وأماليه .

وقد بذلت جهدي في الوصول إلى عرض آرائه من خلال تلك القبسات التي عثرت عليها في ثنايا كتبه وأماليه .

وفي موضوع الصفات نجد أن الكشميري يقسم الصفات إلى قسمين :

الأولى : صفات ذاتية .

الثانية : صفات فعلية .

يقول الكشميري :

«فالصفات عند علمائنا - كما في الدر المختار- على نحوين : صفات ذاتية ، وصفات فعلية»[(١)] .

والصفات الذاتية ما تكون صفة للّه تعالى دون ضدها كالعلم والحياة ، والفعلية ما تكون صفة للّه تعالى وكذلك أضدادها ، كالإحياء ، فإن الإحياء وضده الإماتة كليهما من صفات اللّه تعالى .

يقول الكشميري :

«والأولى ما تكون صفة للّه تعالى دون ضدها كالعلم ، فإنه صفة اللّه تعالى ، وليس ضده -أعني الجهل- صفة له تعالى ، وكذلك الحياة ، فليس الموت من صفات اللّه تعالى وهكذا ، فليقس عليه سائر الصفات .

---

(١) فيض الباري للكشميري ، ٤/ ٥٢٢ .

والثانية: ما هي صفة لله تعالى وكذلك أضدادها، كالإحياء، فإن ضده الإماتة وهو أيضًا صفة له تعالى»[١].

ولعلنا ندرك أن ما ذكره الشيخ الكشميري قد أشار إليه الملا علي القاري حيث ذكر الفرق بين الصفات الذاتية والفعلية عند المعتزلة والأشاعرة، فقال:

«وعندنا كل ما وصف به ولا يجوز أن يوصف بضده، فهو من صفات الذات كالقدرة والعلم والعزة والعظمة، وكل ما يجوز أن يوصف به وبضده، فهو من صفات الفعل كالرأفة والرحمة والسخط والغضب»[٢].

وهذه الصفات في فكر الكشميري سواء كانت ذاتية أو فعلية قديمة إلا أن في الصفات الفعلية تعلقاتها بالمخلوق حادث.

يقول الكشميري:

«والصفات بنوعيها قديمة ذاتية كانت أو فعلية، نعم تعلقاتها حادثة»[٣].

والقول بكون الصفات الذاتية والفعلية قديمة أزلية هو ما عليه الأشاعرة وأهل السنة والجماعة.

يقول الجرجاني[٤]:

«ذهب الأشاعرة ومن يتأسى بهم إلى أن له تعالى صفات موجودة قديمة زائدة على ذاته»[٥].

ومعنى ذلك أن صفات الله سبحانه وتعالى قديمة، ليس شيء منها حادث

---

(١) فيض الباري ٤/ ٥٢٢.

(٢) شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري ص ٣٤.

(٣) فيض الباري ٤/ ٥٢٢.

(٤) الجرجاني: هو علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني، فيلسوف، من كبار العلماء العربية، ولد في تاكو، ودرس في شيراز، ولما دخلها تيمور فرّ الجرجاني إلى سمرقند، ثم عاد إلى شيراز، وتوفى فيها سنة ٨١٦هـ. وله نحو خمسين مؤلفًا، منها: "التعريفات" و"شرح المواقف للإيجي". انظر: الأعلام ٥/ ١٥٩.

(٥) شرح المواقف للجرجاني، تحقيق: د. أحمد المهدي، ص ٧٧.

وصف به اللّه بعد أن لم يكن موصوفًا به .

يقول صاحب شرح الطحاوية :

«إن اللّه سبحانه وتعالى لم يزل متصفًا بصفات الكمال، صفات الذات وصفات الفعل، ولا يجوز أن يعتقد أن اللّه وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفًا بها ؛ لأن صفاته سبحانه صفات كمال، وفقدها صفة نقص، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفًا بضده»(١) .

ثم يوضح الكشميري موقف الأشاعرة والماتريدية من الصفات الذاتية والفعلية حيث ذهب الأشاعرة إلى أن الصفات الذاتية وهي العلم والقدرة والإرادة والحياة والبصر والسمع والكلام قديمة، وهي صفات حقيقية زائدة على الذات . وأما الصفات الفعلية نحو : الترزيق والإماتة فهي عندهم اعتبارات وإضافات لا أنها صفات حقيقية زائدة على الذات، وتلك الإضافات حادثة، ليست قائمة باللّه تعالى .

وأما الماتريدية فقد ذهبوا إلى أن الصفات الذاتية وكذا الفعلية صفات حقيقية قديمة .

يقول الكشميري :

«واعلم أن المتكلمين على طائفتين :

طائفة تسمى بالأشعرية، وهم المنسوبون إلى أبي الحسن الأشعري، وتبعه أكثر الشافعية رحمهم اللّه والمالكية رحمهم اللّه، وطائفة ثانية تسمى بالماتريدية، وهم المنسوبون إلى الشيخ أبي منصور الماتريدي(٢)، وكان

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص١٢٤ .

(٢) أبو منصور الماتريدي : هو أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، من أئمة علماء الكلام، من كتبه : "التوحيد"، "أوهام المعتزلة"، "الرد على القرامطة"، "مآخذ الشرائع" . توفي سنة ٣٣٣هـ بسمرقند . انظر : الأعلام ٧/ ٢٤٢ .

الشيخان متعاصرين، وأبو منصور كان أصغرهما[١]. وليس الخلاف بينهما إلا في نزر من المسائل ذكرها العلماء. فذهبت الأشاعرة إلى أن الله تعالى قديم وكذا صفاته السبع، وأما نحو الترزيق والإحياء والإماتة فسموها صفات أفعال، وهي عندهم اعتبارات وإضافات، لا أنها صفات حقيقية زائدة على الذات، فالخلق باعتبار إضافته إلى الرزق يسمى ترزيقًا، وهكذا، وتلك الإضافة حادثة، ليست قائمة بالباري تعالى.

وأما الماتريدية فقسموا الصفات إلى ذاتية وهي ما يوصف به تعالى ولا يوصف بضده، كالعلم والقدرة، وإلى صفات فعلية وهي ما يوصف به تعالى وبأضدادها كالإحياء والإماتة، فإن الله تعالى يوصف بالإحياء والإماتة معًا، فصفات الفعل عندهم أيضًا قديمة كالصفات الذاتية»[٢].

ويقول في مقام آخر:

«أما الصفات الفعلية، فقال بها الماتريدية فقط، واستغنى عنها الأشاعرة، فقالوا: إنها ليست إلا تعلقات القدرة، وتلك التعلقات حادثة عندهم، فالاثنان من الثلاث[٣] قديم، والواحد حادث. وأما عندنا فالصفات الفعلية أيضًا قديمة كالصفات الذاتية، نعم تعلقاتها حادثة، فالمراتب أربع[٤]، الثلاث منها قديمة، والرابعة حادثة.[٥]

ويوضح كلام الشيخ الكشميري ما جاء في شرح جوهرة التوحيد، يقول الشارح:

---

(١) ولد أبو الحسن الأشعري سنة ٢٦٠هـ، وتوفي سنة ٣٢٤هـ. وأما الماتريدي فلا يعرف على وجه اليقين مولده، وتوفي سنة ٣٣٣ هجرية، انظر: تاريخ المذاهب لأبي زهرة، ص ١٦٠، ١٧٢.

(٢) فيض الباري ٢/ ٤١٩.

(٣) المراد بالثلاث: الذات، وصفاته الذاتية السبع، وصفاته الفعلية وهي التعلقات.

(٤) المراد بالأربع: الذات، وصفاته الذاتية، وصفاته الفعلية، والتعلقات.

(٥) فيض الباري ٤/ ٥٢٢-٥٢٣.

«خرج بقول المصنف (صفات ذاته) صفات الأفعال، فإن فيها خلافًا، فالأشاعرة على أنه ليس شيء من صفات الأفعال بقديم، والماتريدية على أن صفات الأفعال قديمة كصفات المعاني. وإنما كانت صفات الأفعال حادثة عند الأشاعرة؛ لأنها عند التحقيق عندهم تعلقات القدرة التنجيزية الحادثة، وكانت قديمة عند الماتريدية؛ لأنها عندهم عين صفة التكوين القديمة»[١].

والصفات الفعلية عند الماتريدية هي عين صفة التكوين.

يقول الكشميري:

«ثم نحو الإحياء وغيره عند هؤلاء راجع إلى صفة حقيقية سموها بالتكوين، فصفة التكوين اسم لصفة كلية تحتها جزئيات، كالترزيق، والتصوير والإحياء والإماتة وهي قديمة»[٢].

والتكوين أثبته الماتريدية صفة زائدة على السبع أخذًا من قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[٣].

يقول التفتازاني:

«فثبت أن لله تعالى صفات ثمانية: وهي العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر والإرادة والتكوين والكلام»[٤].

ويقول الملا علي القاري[٥]:

«(وغير ذلك من صفات الفعل) كالإحياء والإفناء والإنبات والإنماء

---

(١) شرح جوهرة التوحيد للشيخ عبد السلام بن إبراهيم اللقاني المالكي، ص ١٢٥، شرح جوهرة التوحيد للباجوري، ص ١٤٥، مكتبة الغزالي للطباعة والنشر والتوزيع.

(٢) فيض الباري ٢/ ٤١٩.

(٣) سورة يس، الآية: ٨٢.

(٤) شرح العقائد النسفية، ص ٨٨.

(٥) الملا علي القاري: هو علي بن محمد سلطان الهروي، المعروف بالقاري، فقيه حنفي، ولد في هراة، وسكن مكة، وتوفى بها سنة ١٠١٤هـ، صنف كتبًا كثيرة متعددة. انظر: الأعلام ٥/ ١٦٦.

وتصدير الأشياء والكل داخل تحت صفة التكوين، فالصفات الأزلية عندنا ثمانية لا كما زعم الأشعري من أن الصفات الفعلية إضافات»[١].

ويشرح التفتازاني معنى التكوين قائلا:

«(والتكوين) وهو المعنى الذي يعبر عنه بالفعل والخلق والتخليق والإيجاد والإحداث والاختراع ونحو ذلك، ويفسر بإخراج المعدوم من العدم إلى الوجود (صفة للّه تعالى) لإطباق العقل والنقل على أنه خالق للعالم، مكون له، وامتناع إطلاق المشتق على الشيء من غير أن يكون مأخذ الاشتقاق وصفًا له قائمًا به»[٢].

وقد رد الكشميري على الأشاعرة في نفي صفات الأفعال وجعلها اعتبارات وإضافات إلى القدرة والإرادة، وجعل تلك الإضافات حادثة، فيقول:

«قلت: ولا دليل عندهم على ذلك، فإن للقدرة والإرادة أيضًا تعلقًا بالحوادث ولم يذهب أحد إلى حدوثها»[٣].

ويقول في مقام آخر:

«قلت: وقد أحسن الماتريدية حيث جعلوها صفة برأسها مستقلة، فإن القرآن يشعر باستقلالها، فإنه سمى اللّه تعالى مميتًا ومحييًا وإرجاع تلك كلها إلى القدرة والإرادة بعيد»[٤].

وقد اختلف الماتريدية في صفة التكوين، هل هي من مبادئ الصفات الفعلية أو القدر المشترك بينهما، فقد ذكر الكشميري هذا الخلاف ولم يرجح رأيًا على آخر، فهو يقول في ذلك:

---

(١) شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري، ص ٣٥.

(٢) شرح العقائد النسفية للتفتازاني، ص ٩٦.

(٣) فيض الباري ٢/ ٤١٩.

(٤) فيض الباري ٤/ ٥٢٣.

«ثم إن صفة التكوين هل هي من مبادئ الصفات الفعلية أو القدر المشترك بينهما؟ ففيه اختلاف لأصحابنا، فذهب بعضهم إلى أنها اسم للقدر المشترك، وآخرون إلى أنها مبادئ تلك الصفات»[١].

فلم يذهب إلى ترجيح رأي على آخر.

ويتضح من النصوص السابقة -التي ذكرناها- أن الشيخ الكشميري يقف موقف الماتريدية من الصفات.

ثم رد الشيخ الكشميري -رحمه الله- على الفلاسفة، فإنهم -كما سبق أن ذكرنا- ينفون الصفات عن ذات اللّه تعالى خشية التركيب، فذات اللّه عندهم بسيط، وما ورد في الشرع من صفات، فإنها اعتبارات وإضافات، وليست زائدة على الذات.

يقول الكشميري في الرد عليهم:

«ومن هنا تنحل شبهة عظيمة أوردها الفلاسفة في كون الصفات عينًا له تعالى، لا زائدة عليها، قالوا: إن القول بزيادة الصفات يستلزم خلو الذات عنها في مرتبة الذات، وهو يوجب نقصانًا في الذات من جانب، والاستكمال بالغير من جانب آخر، وهو أوهن من بيت العنكبوت، فإن الذات ليست عارية عن الكمال في مرتبة لوحظت، كما أن ذاتيات الشيء وذاته لا تنفك عن نفسه بل فكه وتجريده عن ذاته يستلزم إعدامه، ولذا قالوا: انسلاخ الذاتيات عن الذات محال، فالشمس مضيئة ومستنيرة في ذاتها، فتبقى كذلك في أي مرتبة فرضت، كذلك اللّه سبحانه وتعالى كماليته بالنظر إلى ذاته ليست مرهونة بأيدي الصفات، فلا تفرض ذاته في مرتبة إلا كان كاملا في تلك المرتبة، وتجريده عن الكمالية وقطع النظر عنها يستلزم قطع النظر عن الذات، إذن الصفات من فروع الذات، بل الصفات من أجلّ البرهان على كمال الذات،

---

(١) فيض الباري ٤/ ٥٢٣.

فإنه لو لم تكن الذات كاملة لما أفيضت منها تلك الصفات»[١].

ويقول الكشميري في معرض الرد على الفلاسفة في صفتي السمع والبصر:

«والذي أرى هو أنه لابد من هاتين الصفتين في ذاته تعالى، وليس من الكمالات إلا والله سبحانه جامع له»[٢].

ثانيًا: الصفات الخبرية:

وبعد عرضنا لرأي الشيخ الكشميري حول الصفات الذاتية ننتقل إلى عرض رأيه حول الصفات الخبرية، لكي يمكننا أن نقف على حقيقة موقفه من هذه الصفات.

لقد تناول الكشميري ذكر بعض الصفات الخبرية ذكرًا موجزًا يمكن من خلاله الوقوف على رأيه.

صفة الاستواء:

وهي من أهم الصفات التي دار حولها الكلام. يقول الكشميري:

«قلت: وأما الاستواء بمعنى جلوسه تعالى فهو باطل؛ لا يذهب إليه إلا غبي أو غوي، كيف؟ وأن العرش قد مرت عليه أحقاب من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا، فهل يتعقل الآن الاستواء عليه بذلك المعنى؟ نعم! أقول: أن هناك حقيقة معهودة عبر عنها بهذا اللفظ، فليس الاستواء عندي محمول على الاستعارة، ولا على الحسي الذي نتعقله، بل هو نحو من التجلي»[٣].

ويبدو أن ما اختاره الكشميري في الاستواء، هو قول كثير من مشايخ الصوفية.

---

(١) فيض الباري ١/ ٥٦.

(٢) نفس المصدر ٤/ ٥١٦.

(٣) فيض الباري ٤/ ٥١٩.

ولقد ذكر الإمام الكرمي المقدسي الحنبلي[١] أقوالاً في صفة الاستواء، ومنها القول بالتجلي، يقول:

«السادس عشر: أن "استوى" بمعنى: تجلى، فالاستواء بمعنى التجلي، وقال بهذا كثير من مشايخ الصوفية، وقالوا: قد ثَبَّت له سبحانه صفة التجلي بقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾[٢]. ومعنى التجلي هو رفع الحجاب عن العرش الذي كان محجوباً به، ولم يرتفع حجابه جملة، إذ لو ارتفع جملة لتدكدك من هيبة اللّه تعالى جبل موسى عليه السلام»[٣].

ويقول الكشميري في مقام آخر:

«أما المراد بالاستواء، فهذا من الأمور المتشابهة، ويذهب المتقدمون إلى القول: بأن الاستواء معلوم، والكيف مجهول، ولكن المتأخرين قد بذلوا جهودهم في الوصول إلى المعنى؛ وذلك لأجل الرد على الملحدين والفلاسفة، ولأجل دفع وساوس العامة من الناس.

وبالإمكان أن نقول للعامة في التوجيه: أن اللّه خلق الأرض والسماوات في ستة أيام، ثم أظهر استيلاءه وغلبته على المخلوقات كلها، وأحاطت قدرته بجميع المخلوقات؛ لأن استيلاءه على العرش ينبئ عن قدرته الغير المتناهية»[٤].

ويظهر من هذا النص أن الشيخ الكشميري يذهب إلى القول بالاستيلاء

---

(١) مرعي الكرمي: هو مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي، مؤرخ أديب، من كبار الفقهاء، صاحب التصانيف العديدة. توفى سنة ١٠٣٣هـ بالقاهرة. انظر: الأعلام ٨/ ٨٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٣) أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشابهات، للإمام زين الدين مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ص ١٣٠، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٤) ملفوظات الشيخ الكشميري، ص ٣٥٣.

والغلبة في الاستواء.

ويحذر الكشميري عن الخوض في هذه الأمور من الاستواء، والمعية والقرب، فهو يقول:

«استواؤه كمعيته بالممكنات، وكأقربيته، والغلو في هذا الباب يشبه القول بالتجسيم، والعياذ بالله أن نتعدى حدود الشرع»[١].

التعجب والضحك:

من الصفات الخبرية التي ارتضى فيها الكشميري -رحمه الله- التأويل صفة التعجب والضحك.

يقول الكشميري:

«واعلم أن التعجب والضحك وأمثالهما مما يستحيل تحققه في حضرته تعالى. والمراد منها: أن هذا الشيء مما يتعجب عليه، ومما يضحك عليه، فاستعمل التعجب والضحك مع الإسناد إلى الله تعالى في أشياء كانت من شأنها أن يتعجب عليه ممن يأتي منه التعجب، ففيه بيان لمادة التعجب وإن لم يتحقق فيه لخصوص الفاعل وهو الله تعالى»[٢].

يتضح من هذا النص أن الكشميري لا يطلق التعجب والضحك على الله تعالى بل يرى التأويل لمثل هذه النصوص الواردة بإثبات هذه الصفات كما ذهب إليه غيره من العلماء.

قال الحسن بن الفضل:

«التعجب من الله إنكار الشيء وتعظيمه، وهو لغة العرب، وقد جاء في الخبر «عجب ربكم . . .»[٣].

---

(١) فيض الباري ٤/ ٥١٩.

(٢) نفس المصدر ٣/ ٤٤٦.

(٣) أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات، ص ٧٤.

وقال الهروي(١) :

ويقال : معنى عجب ربكم : " أي رضي وأثاب فسماه عجبًا وليس بعجب في الحقيقة ، كقوله : ﴿وَيَمْكُرُون وَيَمْكُرُ اللّه﴾(٢) أي : يجازيهم على مكرهم »(٣) .

النفس :

من الصفات الخبرية النفس .

قال اللّه تعالى : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾(٤) .

وقال تعالى : ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾(٥) .

وقال تعالى : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾(٦) .

وفي الحديث القدسي : «فإن ذكرني في نفسه ذكرتُهُ في نفسي»(٧) .

يقول الكشميري في هذه الصفة :

«والظاهر حجر إطلاق النفس على ذاته تعالى ؛ لأنها من التنفس إلا أن المصنف (البخاري) جوزه نظرًا إلى ورود الشرع به ، فيكون مبنيًا على الانسلاخ»(٨) .

---

(١) الهروي : هو أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الباشاني ، أبو عبيد الهروي ، باحث من أهل الهراة في خراسان ، له كتاب الغريبين غريب القرآن وغريب الحديث . توفى سنة ٤٠١هـ. انظر : سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٤٦ ، الأعلام ١/ ٢٠٣ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية : ٣٠ .

(٣) الغريبين في القرآن والحديث ، للعلامة أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي ، تحقيق : أحمد فريد المزيدي ٤/ ١٢٣٠ ، مكتبة نزار مصطفى ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

(٤) سورة الأنعام ، الآية : ٥٤ .

(٥) سورة طه ، الآية : ٤١ .

(٦) سورة آل عمران ، الآية : ٢٨ .

(٧) رواه البخاري في كتاب التوحيد ، باب قول اللّه تعالى : ﴿ويحذركم اللّه نفسه﴾ ، ٨/ ١٧١ .

(٨) فيض الباري ٤/ ٥١٨ .

فالنفس تطلق على الله مرادًا بها الذات .

الشخص :

روى البخاري عن رسول الله ﷺ أنه قال : «لا شخص أغير من الله ، ولا شخص أحب إليه العذر من الله ؛ ومن أجل ذلك بعث المرسلين مبشرين ومنذرين ، ولا شخص أحب إليه المِدْحَة من الله ؛ ومن أجل ذلك وعد الله الجنة»(١) .

يقول الكشميري في شرحه لهذا الحديث :

«فيه إطلاق الشخص على ذاته تعالى مع عدم صلوحه لغة ، فهو أيضًا مبني على التجريد والانسلاخ عن معناه الأصلي»(٢) .

وقد ذهب إلى التأويل لهذه الصفة البيهقي والقرطبي .

قال البيهقي(٣) :

«ولو ثبتت هذه اللفظة لم يكن فيها ما يوجب أن يكون الله شخصًا ، فإنه إنما قصد إضافة صفة الغيرة لله والمبالغة فيه ، وإن أحدًا من الأشخاص لا يبلغ ذلك»(٤) .

وقال القرطبي(٥) :

---

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ : «لا شخص أغير من الله» ٨/ ١٧٤ .

(٢) فيض الباري ٤/ ٥١٨ .

(٣) البيهقي : هو أبو بكر أحمد بن حسين بن علي ، من أئمة الحديث ، ولد في قرية من قرى بيهق ، ونشأ في بيهق ، ورحل إلى بغداد ، ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما ، وطلب إلى نيسابور فلم يزل فيها إلى أن مات ، له تصانيف كثيرة ، منها : "الأسماء والصفات" ، و "دلائل النبوة" . مات سنة ٤٥٨هـ. انظر : سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٦٣ ، الأعلام ١/ ١١٣ .

(٤) في الأسماء والصفات للبيهقي ص ١٨٧-١٨٨ .

(٥) القرطبي : هو أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي ، فقيه مالكي ، من رجال الحديث ، كان مدرسًا بالإسكندرية ، وتوفى بها . من كتبه "المفهم في شرح مسلم ، ومختصر الصحيحين . مات سنة ٦٥٦هـ. انظر : الأعلام ١/ ١٧٩ ، نفح الطيب ٢/ ٦١٥ ، الديباج المذهب ص ٦٨ .

«بل النقل صحيح ويدخله التأويل، فقد قيل: معناه لا مترفع؛ لأن الشخص ما شَخَصَ وارتفع»(١).

وبالرغم من التتبع لما ذكر الشيخ الكشميري في كتبه، وأماليه من الصفات الخبرية لم أجد أكثر مما ذكرت.

ويبدو لي أن الصفات الخبرية سواء كانت من الذاتية أو الفعلية يسلك فيها الشيخ الكشميري مسلك التأويل، فهو يقول كقاعدة كلية:

«إن الأفعال اللازمة المستعملة في الحضرة الإلهية يراد بها تعلق تلك الصفة بالمحل، والمتعدية منها يراد بها إحداث هذا المحل وإيجاده، فالإتيان، والنزول، والاستواء كلها أفعال لازمة، فيراد بها تعلق هذه الصفات بالمحل، وهذه كلها تجليات للرب جل مجده»(٢).

---

(١) أقاويل الثقات، ص ١٨٩. وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، للإمام أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، تحقيق: محي الدين ديب مستو وغيره من العلماء، ٤/ ٣٠٥، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

(٢) فيض الباري ٢/ ٣٠٣.

تحليل ونقد

يظهر لنا بعد هذا العرض لآراء الشيخ الكشميري في باب الصفات ما يلي:

١- أنه قسم الصفات إلى قسمين: ذاتية وفعلية، وأثبت جميعها لله تعالى في الأزلية دون تفرقة بينهما، فهو يقول:

«الصفات عند علمائنا -كما في الدر المختار- على نحوين: صفات ذاتية، وصفات فعلية»(١).

ويقول: «والصفات بنوعيها قديمة، ذاتية كانت أو فعلية»(٢).

ويتضح لنا من هذين النصين أنه يوافق أهل السنة والجماعة في تقسيم الصفات.

يقول الشهرستاني:

«اعلم أن جماعة كثيرة من السلف كانوا يثبتون لله تعالى صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام والجلال والإكرام والجود والإنعام والعزة والعظمة، ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل بل يسوقون الكلام مسوقًا واحدًا»(٣).

ويقول د. هراس:

والذي كان عليه سلف هذه الأمة إثبات جميع ما ورد به الكتاب والسنة من الصفات، لا فرق بين صفة الذات وصفة الفعل.(٤)

٢- وأنه يثبت لله عز وجل الصفات الثمانية: وهي الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والكلام، والسمع، والبصر، والتكوين، ويجمع الصفات

---

(١) فيض الباري ٤/ ٥٢٢.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣) الملل والنحل، ص ٩٢.

(٤) دعوة التوحيد، ص ١٩.

الفعلية كلها مثل: الرزق، والإماتة، والإحياء، وغيرها تحت صفة التكوين، كما سبق أن ذكرت.

وهذا خلاف ما عليه أهل السنة حيث لم يحصروا الصفات في عدد معين بل أثبتوا للّه ما أثبته لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ، ونفوا عنه كل ما نفاه عن نفسه، وما نفاه عنه رسوله ﷺ.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه:

«والأصل في هذا الباب أن يوصف اللّه بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله نفيًا وإثباتًا، فيثبت للّه ما أثبته لنفسه، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه، وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل.

وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه مع إثبات ما أثبته من الصفات من غير إلحاد لا في أسمائه ولا في آياته»[١].

ويقول أيضًا في حصر الصفات في ثمانية:

«إن حصر الصفات في ثمانية وإن كان يقوله بعض المثبتين من الأشعرية ونحوهم، فالصواب عند جماهير المثبتة وأئمة الأشعرية أن الصفات لا تنحصر في ثمانية، بل ولا يحصرها العباد في عدد»[٢].

٣- وهذه الصفات كلها قديمة أزلية عند الكشميري، فهو يقول:

«أما عندنا فالصفات الفعلية أيضًا قديمة كالصفات الذاتية»[٣].

وهذا القول موافق لما عليه أهل السنة، فقد ورد من إمام السنة الإمام أحمد بن حنبل -رحمه اللّه- أنه قال:

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/٣، منهاج السنة، تحقيق: محمد رشاد سالم، ٢/١١١.

(٢) منهاج السنة ٢/٤٩٧.

(٣) فيض الباري ٤/٥٢٢.

«من قال أن اللّه لم يكن موصوفًا حتى وصفه الواصفون، فهو بذلك خارج عن الدين»(١) .

ويقول الإمام الطحاوي :

«ما زال بصفاته قديمًا قبل خلقه لم يزدد بكونهم شيئًا لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزليًا كذلك لا يزال عليها أبديًا»(٢) .

ويقول العلامة ابن أبي العز الحنفي في شرحه :

«إن اللّه سبحانه وتعالى لم يزل متصفًا بصفات الكمال، صفات الذات وصفات الفعل، ولا يجوز أن يعتقد أن اللّه وُصف بصفة بعد أن لم يكن متصفًا بها؛ لأن صفاته سبحانه صفات كمال، وفقدها صفة نقص، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفًا بضده»(٣) .

وقال الإمام أبو حنيفة -رحمه اللّه- :

«لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته، لم يحدث له اسم ولا صفة»(٤) .

ويقول في شرحه الملا علي القاري :

«إن صفات اللّه وأسماءه كلها أزلية؛ لا بداية لها، وأبدية؛ لا نهاية لها، لم يتجدد له تعالى صفة من صفاته، ولا اسم من أسمائه؛ لأنه سبحانه واجب الوجود لذاته، الكامل في ذاته وصفاته، فلو حدث له صفة أو زال عنه نعت لكان قبل حدوث تلك الصفة وبعد زوال ذلك النعت ناقصًا عن مقام الكمال، وهو في حقه سبحانه من المحال، فصفاته تعالى كلها أزلية أبدية»(٥) .

٤- أما بالنسبة للصفات الخبرية الوارد ذكرها في النصوص من الكتاب

---

(١) اعتقاد أحمد، لأبي الفضل التميمي، ٢/٢٤٨، ملحق طبقات الحنابلة.

(٢) العقيدة الطحاوية مع الشرح لابن أبي العز الحنفي، ص ١٢٤ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، ص ١٢٤ .

(٤) الفقه الأكبر مع الشرح لملا علي القاري، ص ٣٧.

(٥) نفس المصدر والصفحة.

والسنة، فيبدو من النصوص السابقة أنه ذهب إلى تأويلها كما ذهب إليه متأخرو الأشعرية والماتريدية. يقول:

«إن الأفعال اللازمة المستعملة في الحضرة الإلهية يراد بها تعلق تلك الصفة بالمحل، والمتعدية منها يراد بها إحداث هذا المحل وإيجاده، فالإتيان، والنزول، والاستواء كلها أفعال لازمة، فيراد بها تعلق هذه الصفات بالمحل، وهذه كلها تجليات للرب جل مجده»[(١)].

ولعله ارتضى ذلك لتأثره ببيئته الكلامية، والحاجة في البحث والمناظرة مع الفرق، وهذا خلاف ما عليه السلف من إثبات هذه الصفات كما جاءت في النصوص من غير تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل. ونعم ما قال فيه الإمام مالك رحمه الله حيث سئل عن الاستواء، فقال:

«الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»[(٢)].

يقول الإمام أبو حنيفة رحمه الله:

«وما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف، ولا يقال: إن يده قدرته أو نعمته؛ لأن فيه إبطال الصفة، وهو قول أهل القدر والاعتزال، ولكن يده صفته بلا كيف، وغضبه ورضاه صفتان من صفاته تعالى بلا كيف»[(٣)].

ويقول ابن عبد البر:

«أهل السنة مُجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وَحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون

---

(١) فيض الباري ٢/٣٠٣

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان ٣/٣٩٨.

(٣) شرح الفقه الأكبر ص ١٢٠.

شيئًا في ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة»[١].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«والذي اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولاتمثيل، فإنه قد علم بالشرع مع العقل أن الله تعالى ليس كمثله شيء، لا في ذاته ولافي صفاته، ولا في أفعاله، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٢]»[٣].

ويقول ابن قيم الجوزية:

«تنازع الناس في كثير من الأحكام، ولم يتنازعوا في آيات الصفات وأخبارها في موضع واحد، بل اتفق الصحابة والتابعون على إقرارها وإمرارها مع فهم معانيها وإثبات حقائقها، وهذا يدل على أنها أعظم النوعين بيانًا، وأن العناية بها أهم؛ لأنها من تمام تحقيق الشهادتين، وإثباتها من لوازم التوحيد، فبينها الله ورسوله بيانًا شافيًا لا يقع فيه لبس للراسخين في العلم، وآيات الأحكام لا يكاد يفهم معناها إلا الخاصة من الناس، وأما آيات الصفات فيشترك في فهم معناها الخاص والعام، أعني فهم أصل المعنى، لا فهم الكنه والكيفية»[٤].

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، للإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، ٧/ ١٤٥، تحقيق: عبد الله بن صديق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٣) شرح العقيدة الأصفهانية، تقديم حسنين محمد مخلوف، ص ٩.

(٤) مختصر الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية، ص ١٥.

الفصل الثالث

رؤية الله تعالى

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: رؤية الله عز وجل في الآخرة.

المبحث الثاني: رؤية النبي ﷺ لربه عزوجل في الدنيا.

المبحث الأول

رؤية اللّه عز وجل في الآخرة

رؤية اللّه عزوجل في الآخرة التي يتشرف بها المؤمنون من المسائل المهمة في العقيدة، والتي تعددت فيها المذاهب إثباتًا ونفيًا، فذهب أهل السنة والجماعة إلى إثبات الرؤية للمؤمنين في الآخرة، بينما يذهب المعتزلة ومن نهج منهجهم إلى نفي ذلك.

استدل أهل السنة والجماعة على مذهبهم بالنصوص النقلية، والأدلة العقلية.

أولا: النصوص النقلية:

أ- من القرآن الكريم:

١- وقال اللّه تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[(١)].

قال الحسن البصري[(٢)]، ومجاهد بن جبير[(٣)]، وعكرمة[(٤)] في تفسير "ناظرة": النظر إلى ربها.[(٥)]

---

(١) سورة القيامة، الآيتين: ٢٢-٢٣.

(٢) الحسن البصري: هو سيد التابعين الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، وكان سيد أهل زمانه علمًا وعملاً، وأعلم الناس بالحلال والحرام، وأفصحهم، وأجملهم، مات سنة ١١٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٦٣.

(٣) مجاهد بن جبير: هو الإمام شيخ القراء والمفسرين أبو الحجاج المكي، أخذ عن ابن عباس القرآن والتفسير والفقه، مات سنة ١٠٢هـ ساجدًا. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٤٩.

(٤) عكرمة: الإمام التابعي مولى ابن عباس عكرمة بن عبد اللّه البربري، المدني، أحد الأعلام في التفسير، مات سنة ١٠٤هـ، وقيل: ١٠٥هـ، وقيل غير ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ١٢.

(٥) السنة، لعبد اللّه بن أحمد، رقم: ٤٧٩، ٤٨٠.

٢- وقال اللّه تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[١].

والزيادة هي النظر إلى رب العالمين. روى مسلم بسنده عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول اللّه تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل، ثم تلا هذه الآية: للّذين أحسنوا الحسنى وزيادة»[٢].

ذهب أبو بكر الصديق، وحذيفة بن اليمان[٣]، وأبو موسى الأشعري[٤] رضي اللّه عنهم في تفسير هذه الآية أن الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه اللّه.[٥]

١- قال اللّه تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٦].

---

(١) سورة يونس، الآية: ٢٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ١/ ٨٠، سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة يونس ٥/ ٢٨٦.

(٣) حذيفة بن اليمان: من نجباء أصحاب محمد ﷺ، وصاحب السر، والعارف بأسماء المنافقين، وهو الذي ندبه رسول اللّه ﷺ ليلة الأحزاب ليجسس له خبر العدو، واستعمله عمر على المدائن. توفي سنة ٣٦هـ. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر ٢/ ٣٩، سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٦١.

(٤) أبو موسى الأشعري: هو عبد اللّه بن قيس بن سليم، المشهور باسمه وكنيته معًا، هاجر إلى الحبشة، وقيل: لم يهاجر، استعمله النبي ﷺ على بعض اليمن كزبيد، وعدن. واستعمله على البصرة فافتتح الأهواز وأصبهان، واستعمله عثمان على الكوفة، وكان أحد الحكمين بصفين، ثم اعتزل الفريقين. انظر الإصابة في تمييز الصحابة ٤/ ١٨١.

(٥) السنة، لعبد اللّه بن أحمد، تحقيق: د. محمد سعيد القحطاني، رقم: ٤٧١، ٤٧٣.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

وجه الدلالة أن الرؤية لو لم تكن ممكنة لما سألها موسى عليه السلام؛ لأنه إما أن يعلم امتناعها، أو يجهله، فإن علمه فالعاقل لا يطلب الممتنع، وإن جهله فالجاهل يمتنع أن يكون نبيًا كليمًا، وأيضًا فإن الله عز وجل لم ينكر على موسى طلب الرؤية، ولم يقل له لا تجوز رؤيتي، أو أنني لا أُرى.(١)

٤- قال تعالى: ﴿**كَلا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**﴾(٢).

استدل بهذه الآية الإمام الشافعي وغيره من الأئمة على الرؤية لأهل الجنة. قال الشافعي -رحمه الله-: لما أن حُجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا.(٣)

٥- قال تعالى: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾(٤).

وجه الدلالة من هذه الآية أن الله ذكرها في سياق المدح، والمدح لا يكون إلا بالصفات الثبوتية، وأما العدم فليس بكمال فلا يمدح به، والمنفي هو الإدراك والإحاطة، لا أصل الرؤية.(٥)

ب- من السنة:

أما الأحاديث الدالة على ثبوت الرؤية فمتواترة، رواها أصحاب الصحاح، والمسانيد، والسنن، ومنها:

١- حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن ناسًا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تضارون في القمر ليلة البدر؟» قالوا: لا يا رسول الله. قال: «هل تضارون في الشمس ليس

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن قيم، ص ٢٢٣. وانظر: شرح العقيدة الطحاوية ص١٩١.

(٢) سورة المطففين، الآية: ١٥.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، ص ١٩١.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية، ص ١٩٢-١٩٣.

دونها سحاب؟» قالوا: لا. قال: «فإنكم ترونه كذلك»[١].

٢- حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا مع النبي ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم سترون ربكم، كما ترون هذا القمر، لا تضامُّون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروب الشمس، فافعلوا»[٢].

٣- حديث صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول الله تبارك وتعالى: «تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل»[٣].

ووجه الاستدلال بهذه الأحاديث على ثبوت رؤية المؤمنين لربهم عزوجل يوم القيامة ظاهر وجلي؛ لا يحتاج إلى إيضاح.

ثانيًا: دلالة العقل:

إن النصوص النقلية تثبت جواز الرؤية، فإن الله أخبر بذلك في كتابه، وهو أعلم بنفسه ما يجوز عليه، وما لا يجوز عليه. وأخبر عنه رسوله ﷺ بذلك وهو أعرف الخلق بربه، وأعلمهم بما يجوز عليه وما يمتنع. ولذلك اقتصر أكثر علماء أهل السنة والجماعة على إيراد الأدلة النقلية، إلا أن موافقة الدليل العقلي لما ثبت بالدليل النقلي تؤيده وتُقَوِّيه، ولذلك جاء العلماء ببيان الدليل العقلي أيضًا. ومما ذكروه في هذا الباب ما يلي:-

١- دليل الوجود: إن وجود الشيء دليل على جواز وإمكان رؤيته، وإنما الممتنع رؤيته هو المعدوم، فما دام الله موجودًا فبالإمكان أن يُرى، يقول

---

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ ٨/ ١٧٩.

(٢) نفس المصدر والكتاب والباب والصفحة.

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، رقم الحديث: (١٨١) ١/ ١٦٣.

أبو الحسن الأشعري:

«ومما يدل على رؤية اللّه بالأبصار أنه ليس موجود إلا وجائز أن يرى، وإنما لا يجوز أن يُرى المعدوم، فلما كان اللّه عز وجل موجوداً مثبتًا كان غير مستحيل أن يُرِيَنا نفسه عز وجل»[١].

٢- إن اللّه يرى الأشياء، ويرى جميع خلقه وأفعاله وحركاته وسكناته، قال اللّه تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾[٢] وقال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾[٣].

وإذا كان اللّه رائيًا للأشياء فهو راء لنفسه أيضًا؛ لأنه لا يرى الأشياء من لا يرى نفسه، وإذا كان رائيًا لنفسه فيجوز أن يُرينا نفسه أيضًا. يقول أبو الحسن الأشعري:

«ومما يدل على رؤية اللّه بالأبصار أن اللّه عز وجل يرى الأشياء، وإذا كان للأشياء رائيًا فلا يرى الأشياء من لا يرى نفسه، وإذا كان لنفسه رائيًا فجائز أن يُرينا نفسه»[٤].

وقد ذهب الشيخ الكشميري أيضًا إلى إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الدار الآخرة حيث يقول:

«قد ورد في الحديث أن المؤمنين يرون ربهم في المحشر في صورة يعرفون بها»[٥].

وما ذكره الشيخ الكشميري عن رؤية الرب عز وجل يوم القيامة للمؤمنين هو معتقد أهل السنة - كما سبق أن ذكرنا.

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، ص ٧٦، مركز شؤون الدعوة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الخامسة.

(٢) سورة العلق، الآية: ١٤.

(٣) سورة طه، الآية: ٤٦.

(٤) الإبانة عن أصول الديانة، ص ٧٦.

(٥) فيض الباري ٤/ ، ٢٣٢، ٤٠٤.

وذكر الإمام ابن قتيبة(١) أن الله يتجلى للمؤمنين يوم القيامة فيرونه، قال:

«إن الله عز وجل احتجب عن جميع خلقه في الدنيا ويتجلى لهم يوم الحساب ويوم الجزاء والقصاص فيراه المؤمنون كما يرون القمر ليلة البدر، ولايختلفون فيه، كما لا يختلفون في القمر»(٢).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في شرح حديث الرؤية:

«فإن قوله -ﷺ-: "لا تضامون" يروى بالتخفيف، أي: لا يلحقكم ضيم في طلب رؤيته حين يرى، وهو سبحانه يتجلى تجليًا ظاهراً، فيرونه كما ترى الشمس والقمر بلا ضمّ يلحقكم في رؤيته.(٣)

هكذا يتبين أن عقيدة سلف هذه الأمة في الرؤية الإثبات بأنها كائنة في الآخرة لأهل الإيمان، وبأن الله يتجلى لعباده بالكيفية التي تليق بجلاله وكماله، وأن الشيخ الكشميري يتفق مع ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة.

---

(١) ابن قتيبة: هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، نزل بغداد، وصنف وجمع وبعد صيته، كان ثقة، دينًا، فاضلاً، صاحب التصانيف، منها: "غريب القرآن"، وتأويل مختلف الحديث". مات سنة ٢٧٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٩٦، الأعلام ٤/ ٢٨٠.

(٢) تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة، ص ٢٠٥-٢٠٦.

(٣) مجموع الفتاوى ١٦/ ٨٥-٨٦.

المبحث الثاني

رؤية النبي ﷺ لربه عز وجل في الدنيا

أمـا رؤية النبي ﷺ للّه تبارك وتعالى في الدنيا، فقد وقع النزاع بين العلماء، هل رأى ربه ليلة الإسراء أم لا؟ على رأيين. فمنهم من أثبتها، ومنهم من نفاها. أما ماعداه من الخلق فلم يقع خلاف بين العلماء في عدم وقوعها لهم، إذ اتفقوا جميعًا على أنه لم يره أحد منهم يقظة في الدينا.

يقول شارح العقيدة الطحاوية:

«واتفقت الأمة على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينه، ولم يتنازعوا في ذلك إلا لنبينا ﷺ خاصة، منهم من نفى رؤيته بالعين، ومنهم من أثبتها له ﷺ»(١).

وكان الخلاف في ذلك قد وقع في عهد الصحابة رضي اللّه عنهم، وقد شَدَّدَت السيدة عائشة رضي اللّه عنها النكير على من قال: بأن الرسول ﷺ رأى ربَّه بعيني رأسه.

«فعن مسروق قال: قلت لعائشة رضي اللّه عنها: يا أمتاه هل رأى محمد ﷺ ربه؟ فقالت: لقد قفّ شعري مما قلت، أين أنت من ثلاث؟ من حدثكهن فقد كذب، من حدثك أن محمدًا رأى ربه فقد كذب . . . الحديث»(٢).

وعن عائشة رضي اللّه عنها «من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم»(٣).

وقد قال بهذا جماعة، وهو المشهور عن ابن مسعود رضي اللّه عنه.(٤)

واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه حيث يقول:

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص ١٥٣.

(٢) رواه البخاري في كتاب التفسير، سورة النجم ٦/ ٥٠.

(٣) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، ولمسلم من حديث مسروق المذكور من طريق داود بن أبي هند، عن الشعبي «فقد أعظم على اللّه الفرية». انظر: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معنى قول اللّه عز وجل: ولقد رآه نزلةً أخرى ١/ ٧٧.

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص ١٥٣.

«قد تدبرنا عامة ما صنفه المسلمون في هذه المسألة، وما تلقوه فيها قريبًا من مائة مصنف، فلم أجد أحدًا يروي بإسناد ثابت ولا صحيح، ولا عن صاحب، ولا عن إمام أنه رآه بعين رأسه، ثم قال:

فالواجب اتباع ما كان عليه السلف والأئمة، وهو إثبات مطلق الرؤية أو رؤية مقيدة بالفؤاد»[(١)].

وذهب ابن عباس رضي اللّٰه عنهما إلى أنه ﷺ رأى ربه، «فعن عكرمة عن ابن عباس -رضي اللّٰه عنهما- قال: رأى محمد ربه»[(٢)].

وعن عكرمة عن ابن عباس -رضي اللّٰه عنهما- «قال: إن اللّٰه اصطفى إبراهيم بالخلة، واصطفى موسى بالكلام، واصطفى محمدًا بالرؤية»[(٣)].

عن عكرمة عن ابن عباس -رضي اللّٰه عنهما- قال: رأى محمد ربه. قلت: أليس اللّٰه يقول: لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار؟ قال: ويحك، ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره، وقال: أُريَه مرتين.[(٤)]

وإلى هذا ذهب أكثر علماء السنة[(٥)] والإمام أبو الحسن الأشعري ومن وافقه، وهو مختار الشيخ الكشميري رحمه اللّٰه، حيث يقول:

«النبي ﷺ حصل له الرؤية ألبتة، ولكنها كانت رؤية دون رؤية، وهي التي تليق بشأنه تعالى، فإنه لا يمكن لأحد أن يتقرر بصره على وجهه تعالى وهو العلي العظيم، فإن مهابة كبريائه مانعة عن النظر إليه متمكنا، ولكنه رؤية دون رؤية، كما يتيسر لنا لأحد من الكبراء في الدنيا بطريق مسارقة النظر، ولذا

---

(١) فتاوى ابن تيمية ٣/ ٢٨٦-٢٨٧.

(٢) رواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد، تحقيق: د. عبد العزيز بن إبراهيم الشهدان، مكتبة الرشد، الرياض، رقم الحديث: (٢٧٨)، ٢/ ٤٨٦.

(٣) نفس المصدر، رقم الحديث: (٢٧٦)، ٢/ ٤٨٤.

(٤) أخرجه الترمذي، في كتاب التفسير، باب ومن سورة النجم ٥/ ٣٩٥.

(٥) الوصية الكبرى لابن تيمية ضمن الرسائل الكبرى ص ٢٨٧.

ترى الألفاظ فيها واردة بالإيجاب مرة والنفي أخرى. ولا تريد أن تؤدي تلك الرؤية في العبارة إلا جاء التعبير هكذا موجبًا مرة ونافيًا أخرى»[(١)].

واختلاف الروايتين في النفي والإثبات ليس هذا تنافيًا وتضادًا بل هو نوع من التعبير وإثبات رؤية دون رؤية، يقول الكشميري:

«والحق أن المعاملات الربانية كلها لا توفيها الألفاظ كما هي، فيحدث العسر لضيق نطاق البيان، فاختلاف الإثبات والنفي ليس تنافيًا وتضادًا، بل كل منهما أحد طرفي المراد، وإذًا هو رؤية المتأدب ورؤية بين رؤيتين، ورؤية دون رؤية، فلو شئت أن تثبتها أثبتَّها، ولو شئت أن تنفيها نفيتها؛ لا بمعنى أنها لم تحصل، بل بمعنى أنها رؤية تتحمل الإثبات والنفي معًا»[(٢)].

وبهذا التوجيه نرى أن الشيخ الكشميري قد وصل إلى الجمع بين الروايتين: رواية الإثبات، ورواية النفي. وبعد الانتهاء من الكلام بين النوعين من الروايات يقول:

«ولكنه ﷺ تشرف برؤيته تعالى ومَنَّ عليه ربه وكَرَّمه وتفضَّل عليه بنواله وأفاض عليه من أفضاله فرآه، إلا أنه رأى كما يرى الحبيب إلى الحبيب والعبد إلى مولاه، لا هو يملك أن يكف عنه بصره، ولا هو يستطيع أن يشخص إليه بصره، وهو قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَاطَغَى﴾[(٣)] فالزيغ أن يتغافل عن وجهه، فلا يراه مستجمعًا، والطغيان أن يراه ولكن يتجاوز عن حده، فيقع في إساءة الأدب، وهذا إثبات في غاية اعتدال. فالحاصل أنها كانت بحيث لايصفها واصف، أما أنها كيف كانت؟ فلا تسأل عنها، فإنها كانت وكانت»[(٤)].

---

(١) فيض الباري ١/ ١٦.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣) سورة النجم، الآية: ١٧.

(٤) فيض الباري ١/ ١٧.

هذا وماذهب إليه الشيخ الكشميري رحمه الله في تفسير هذه الآية ﴿وَمَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ فإنه حمل هذه الآية على إثبات الرؤية، ولكن هذه الآية وما بعدها تدلان على عدم وقوع الرؤيا.

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وبهاتين الآيتين استدل من ذهب من أهل السنة أن الرؤية لم تقع تلك الليلة؛ لأنه قال: «لقد رأى من آيات ربه الكبرى» ولو كان رأى ربه لأخبر بذلك، ولقال للناس»[(١)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٢٥٣.

رؤية النبي ﷺ يقظةً:

ومما يعتقده الصوفية رؤية النبي -ﷺ- يقظةً. وذهب إليه الشيخ الكشميري، فهو يقول:

«ثم قد تكون يقظةً أيضًا كما أنها قد تكون منامًا، ويمكن عندي رؤيته ﷺ يقظةً لمن رزقه الله سبحانه»(١).

ثم يقول بعد أسطر:

«فالرؤية يقظةً متحققة وإنكارها جهل»(٢).

والذين ذهبوا إلى هذا القول من الصوفية يستدلون عليه بالحديث الذي رواه البخاري ومسلم بسنديهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي»(٣).

وهذا الحديث لا يدل على ما ذهبوا إليه؛ لأنه يحتمل عدة معاني، ولذلك اختلف العلماء في معناه، وحملوه على عدة محامل. منها:

١- إنه على التشبيه والتمثيل، دل عليه قوله في الرواية الأخرى: «فكأنما رآني في اليقظة».

٢- إن معناها سيرى في اليقظة تأويلها بطريق الحقيقة أو التعبير.

٣- إنه خاص بأهل عصره ممن آمن به قبل أن يراه.

٤- إنه يراه في المرآة التي كانت له إن أمكنه ذلك. وهذا من أبعد المحامل.

---

(١) فيض الباري ١/ ٢٠٤.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٣) رواه البخاري في كتاب التعبير، باب من رأى النبي ﷺ في المنام ٨/ ١٧، ورواه مسلم في كتاب الرؤيا، باب قول النبي ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني» بلفظ «فسيراني في اليقظة أو لكأنما رآني في اليقظة» بالشك. ٢/ ١٧٧٥.

٥- إنه يراه يوم القيامة بمزيد خصوصية، لا مطلق من يراه حينئذ ممن لم يره في المنام.

٦- إنه يراه في الدنيا حقيقة ويخاطبه.(١)

والاحتمال الأخير يقول عنه الحافظ ابن حجر: «وهذا مشكل جداً. ولو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة، ولأمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة. ويعكر عليه أن جمعًا جما رأوه في المنام ثم لم يذكر واحد منهم أنه رآه في اليقظة. وخبر الصادق لا يتخلف»(٢).

ثم إن هذا الحديث لو صح دليلاً على دعواهم لتطرقت إليه الاحتمالات السابقة، والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال. وأيضًا فإن رؤية النبي ﷺ يقظة من الأمور الاعتقادية لا تثبت إلا بدليل صحيح سالم من المعارضة، وهذا الدليل ليس كذلك.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذه الرؤية:

«والضُّلاّل من أهل القبلة يرون من يعظمونه إما النبي ﷺ وإما غيره من الأنبياء يقظةً ويخاطبهم ويخاطبونه، وقد يستفتونه ويسألونه عن أحاديث فيجيبهم . . . إلى أن قال: وهذا موجود عند خلق كثير، كما هو موجود عند النصارى والمشركين، لكن كثيراً من الناس يكذب بهذا، وكثير منهم إذا صدق به يظنه أنه من الآيات الإلهية، وأن الذي رآه ذلك لصلاحه ودينه، ولم يعلم أنه من الشيطان، وأنه بحسب قلة علم الرجل يضله الشيطان»(٣).

---

(١) فتح الباري ١٢/ ٤٠٢.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٧/ ٣٩١.

الفصل الرابع

القضاء والقدر

وتحته مبحثان:

المبحث الأول: القضاء والقدر.

المبحث الثاني: أفعال العباد.

المبحث الأول

القضاء والقدر

الإيمان بالقضاء والقدر من أصول الإيمان التي لا يصح إيمان العبد إلا بها.

تعريف القضاء والقدر شرعًا:

ولقد اختلف العلماء في تعريف القضاء والقدر شرعًا، وأكثرها دلالة ووضوحًا ما قال السفاريني(١) -رحمه الله- في هذا الصدد. يقول:

«القدر عند السلف ما سبق به العلم وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد. وأن الله عز وجل قدر مقادير الخلائق، وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها»(٢).

والقضاء والقدر أمران متلازمان؛ لا ينفك أحدهما عن الآخر. ويقرر الإمام الخطابي(٣) هذا التلازم حيث يقول:

«القضاء والقدر أمران لاينفك أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما بمنزلة

---

(١) السفاريني: هو محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، ولد بقرية سفارين من قرى نابلس سنة ١١١٤هـ، ورحل إلى دمشق لطلب العلم، وحصل منه على الشيء الكثير في زمن يسير، ثم عاد إلى نابلس، واشتهر بالذكاء والفضل، وقام بالتدريس والإفتاء، وصنف العديد من المؤلفات. منها: "شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد" و"البحور الزاخرة في علوم الآخرة" و"لوامع الأنوار البهية و سواطع الأسرار الأثرية" في العقيدة. توفى سنة ١١٨٨هـ. انظر: مقدمة لوامع الأنوار البهية.

(٢) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، للشيخ محمد بن أحمد السفاريني الأثري الحنبلي ١/ ٣٤٨.

(٣) الخطابي: هو الإمام العلامة الحافظ اللغوي أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي. أخذ الفقه على مذهب الإمام الشافعي، واعتنى بالحديث متنًا وسندًا، وشرح لسنن أبي داود. توفى سنة ٣٨٨هـ بِبُست. انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٣.

الأساس، والآخر بمنزلة البناء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه»[١].

والقضاء والقدر من الأمور الغيبية التي استأثر الله بعلمها وأوجب على المسلم الإيمان الجازم والتسليم الكامل بها؛ لما يترتب على ذلك من الطمأنينة للعبد في الدنيا والسعادة في الآخرة، فإنه إذا علم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه اطمأن قلبه، وهدأت نفسه، وخفت عليه وطأة المصائب.

والإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان. ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما في قصة جبريل عليه السلام حين سأل رسول الله ﷺ عن الإيمان، فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»[٢].

وعلى هذا درج أهل السنة والجماعة في الإيمان بالقضاء والقدر باعتباره ركنًا من أركان الإيمان.

قال عبد الله بن مسعود[٣] -رضي الله عنه-:

«لا. والله لا يطعم رجل طعم الإيمان حتى يؤمن بالقدر ويقر ويعلم أنه ميت، وأنه مبعوث بعد الموت»[٤].

وقال الحسن البصري[٥] -رحمه الله:

---

(١) معالم السنن للخطابي ٤/ ٣٢٣.

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان الخ. ١/ ٣٦.

(٣) عبد الله بن مسعود: صحابي جليل من السابقين الأولين، ومن النجباء العاملين، شهد بدرًا، وهاجر الهجرتين، ومناقبه كثيرة. توفى سنة ٣٢هـ، ودفن بالبقيع. انظر: سير أعلام النبلاء ١/ ٤٦١.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم هبة الله الطبري اللالكائي، تحقيق: الدكتور أحمد بن سعد. برقم: (٢١٨)، ٢/ ٧٣٩.

(٥) تقدمت ترجمته.

«إن اللّه قدَّر أجلاً، وقَدَّر معه مرضًا، وقَدّر معه معافاة، فمن كَذَّب بالقدر فقد كذَّب بالقرآن، ومن كذّب بالقرآن فقد كذّب بالحق»[١].

وقال الإمام أحمد بن حنبل -رحمه اللّه-:

«نؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره وحلوه مرّه»[٢].

وبين شيخ الإسلام ابن تيمية مذهب أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر قائلاً:

«مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب ما دل عليه الكتاب والسنة، وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وهو أن اللّه خالق كل شيء ومليكه، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها، وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد. وأنه سبحانه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون شيء إلا بمشيئته وقدرته، لا يمتنع عليه شيء شاءه، بل هو القادر على كل شيء. ولا يشاء شيئًا إلا وهو قادر عليه، وأنه سبحانه يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن. لو كان كيف يكون، وقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها.

وقد قدر اللّه مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم. قدر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم. وكيف ذلك، وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء وقدرته على كل شيء ومشيئته لكل ما كان وعلمه بالأشياء قبل أن تكون، وتقديره لها وكتابته إياها قبل أن تكون»[٣].

والشيخ الكشميري أيضًا يقرر أن القدر كله خيره وشره من اللّه تعالى، فهو يقول في شرح قول الرسول ﷺ: «تعوذوا باللّه من جهد البلاء، ودرك

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، برقم: (١٢٥٤) ٢/ ٧٥٥.

(٢) طبقات الحنابلة ١/ ٣٤٣.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٨/ ٤٤٩.

الشقاء وسوء القضاء»[١] .

«يستفاد من هذا أن القدر كله خيره وشره من اللّه، وإلا فلا معنى للتعوذ باللّه»[٢] .

وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة كما سبق أن ذكرنا .

كتابة المقادير:

من مراتب الإيمان بالقدر الإيمان بكتابة المقادير . فقد قَدَّر اللّه تعالى مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم، وقدَّر أرزاقهم، وآجالهم، وأعمالهم . وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة، فيجب الإيمان بخلق اللّه لكل شيء، وبقدرته على كل شيء، وبمشيئته، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون، وتقديره لها وكتابته لها . قال اللّه تعالى :

﴿ وكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ وكُلُّ صَغِيرٍ وكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾[٣] .

وقال تعالى :

﴿وكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَـهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[٤] .

و عن علي رضي اللّه عنه قال :

«كنا جلوسًا مع النبي ﷺ ومعه عود ينكت في الأرض وقال : ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار أو من الجنة . قال رجل من القوم : ألا نتكل يا رسول اللّه؟ قال : لا، اعملوا فكل ميسر، ثم قرأ ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى**﴾[٥] .

---

(١) رواه البخاري في كتاب القدر، باب من تعوذ باللّه من درك الشقاء وسوء القضاء . ٧/ ٢١٥ .

(٢) ملفوظات الشيخ الكشميري ص ٣٧١، أنوار أنوري ص ١٥٩ .

(٣) سورة القمر، الآيتان : ٥٢-٥٣ .

(٤) سورة يس، الآية : ١٢ .

(٥) رواه البخاري برقم : (٦٢٣١) في كتاب القدر، باب وكان أمر اللّه قدرًا مقدورًا . ٧/ ٢١٢ .

والإيمان بكتابة المقادير يدخل فيه خمسة تقادير :

الأول : التقدير الأزلي قبل خلق السموات والأرض .

الثاني : كتابة الميثاق .

الثالث : التقدير العمري عند تخليق النطفة في الرحم .

الرابع : التقدير الحولي في ليلة القدر .

الخامس : التقدير اليومي .(١)

وقد أشار الشيخ الكشميري إلى بعض منها ، فقال :

«واعلم أن للتقدير أنواعًا فمنها تقدير أزلي ، ومنها محدث ، ومنها ما كتب قبل خلق العالم بخمسين ألف سنة ، ومنها ما يكون ليلة البراءة (ليلة القدر) ، منه هذا الذي في رحم أمه فاعلمه»(٢) .

التعريف بهذه التقادير:

* التقدير الأزلي هو ما كتب قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، كما أشار إليه الشيخ الكشميري . وقد روي عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، قال : وعرشه على الماء»(٣) .

* وتقدير كتابة الميثاق في عالم الذرِّ ولم يذكره الشيخ الكشميري مع هذه التقادير مع أنه ثابت بالنصوص ، قال الله تعالى :

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد ، للشيخ حافظ بن أحمد حكمي ، ٢/ ٣٣٦ .

(٢) فيض الباري ١/ ٣٨٦ ، أنوار الباري ٨/ ١٣٧ ، لأحمد رضا البجنوري .

(٣) رواه مسلم برقم : (٢٦٥٣) في كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ٣/ ٢٠٤٢ .

أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَـٰفِلِينَ ۝ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾(١) .

وعن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- سئل عن هذه الآية : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ .

فقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- : سمعت رسول الله ﷺ يُسأل -بضم الياء- عنها ، فقال رسول الله ﷺ :

«إن الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية ، فقال : خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون . ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية ، فقال : خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون . فقال رجل : يا رسول الله ففيم العمل؟

فقال رسول الله ﷺ : إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة ، فيدخله به الجنة . وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار ، فيدخله به النار»(٢) .

وعدم ذكر الشيخ الكشميري هذا النوع من أنواع كتابة التقادير لا يدل على إنكاره ، بل قد يكون ذكره في مكان آخر لم نطلع عليه فيما بين أيدينا من مراجع .

* والتقدير العمري عند تخليق النطفة في رحم الأم ، فيكتب إذ ذاك ذكورية ما تحمله النطفة ، أو أنوثيته ، والأجل ، والعمل ، والسعادة ، والشقاوة ،

---

(١) سورة الأعراف ، الآيتان : ١٧٢-١٧٣ .

(٢) رواه الترمذي في سننه ، كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة الأعراف ٥/ ٢٦٦ . وقال : هذا حديث حسن . ورواه أبو داود في سننه ، كتاب السنة ، باب القدر ، ٥/ ٧٩ رقم الحديث ٤٧٠٣

والرزق، وجميع ما هو لاقٍ، فلا يزاد فيه، ولا ينقص منه.

عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال:

«وكل الله تعالى بالرحم ملكًا فيقول: أي رب نطفة، أي رب علقة، أي رب مضغة، فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال: أي رب ذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه.[(١)]

وقد ذكر الشيخ الكشميري هذا النوع من التقدير كما مرّ في كلامه.

* والتقدير الحولي في ليلة القدر، حيث يقدر الله تعالى في ليلة القدر كل مايكون في السنة إلى مثلها. قال الله تعالى:

﴿حم، وَالْكِتَابِ الْمُبِينَ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾[(٢)].

قال ابن عباس[(٣)]:

«يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر والأرزاق والآجال حتى الحجاج، يقال: يحج فلان ويحج فلان»[(٤)].

قال الحسن[(٥)] ومجاهد[(٦)] وقتادة[(٧)]:

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري برقم: (٦٢٢٢) في كتاب القدر ٧/ ٢١٠.

(٢) سورة الدخان، الآيات: ١-٥.

(٣) ابن عباس: صحابي جليل، حبر الأمة، فقيه العصر، إمام التفسير أبو العباس عبد الله بن العباس عم رسول الله ﷺ، دعا له رسول الله ﷺ بالحكمة وبالتفسير والتفقه في الدين، توفى بالطائف سنة ٦٨هـ. انظر: الإصابة ٤/ ١٢١، سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٣١.

(٤) تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، ٤/ ١٤٨، دار المعرفة، بيروت - لبنان.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) قتادة: هو قتادة بن دعامة بن قتادة، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين، وكان ممن يضرب به المثل في قوة الحفظ، روى عن أنس بن مالك وغيره. مات سنة ١١٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦٩.

«يبرم في ليلة القدر في شهر رمضان كل أجل وعمل وخلق ورزق وما يكون في تلك السنة»(١).

وقد ذكر الشيخ الكشميري هذا النوع من التقدير أيضًا - كما سبق أن وضحنا ذلك.

* والتقدير اليومي، وهو سوق المقادير إلى المواقيت التي قدرت لها فيما سبق. قال تعالى:

﴿يَسْئَلُهُ مَن فِي السَّمَـوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾(٢).

قال المفسرون:

«من شأنه أن يحيي ويميت، ويرزق، ويعز قومًا ويذل قومًا، ويشفي مريضًا، ويفك عانيًا، ويفرج مكروبًا، ويجيب داعيًا، ويعطي سائلاً، ويغفر ذنبًا إلى ما لا يحصى من أفعاله وأحداثه في خلقه ما يشاء»(٣).

وقال الحسين بن الفضل(٤):

«هو سوق المقادير إلى المواقيت»(٥).

وقال ابن عباس:

«إن مما خلق الله عز وجل لوحًا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابته نور، ينظر الله عز وجل فيه كل يوم ثلاث مائة وستين نظرة، يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء، فذلك قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ١٤٨.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٢٩.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٧٠.

(٤) الحسين بن الفضل: هو الحسين بن الفضل بن عمير الكوفي، ثم النيسابوري، المفسر، الإمام، اللغوي، عالم عصره في معاني القرآن. ولد قبل الثمانين ومائة، ومات في سنة ٢٨٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤١٤.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٢٧٠.

﴿فِي شَأْنٍ﴾»(١).

ومما يحسن أن ندركه أن الشيخ الكشميري لم يذكر هذا النوع من التقادير بصراحة، ولكنه ذكر من أنواعها تقديراً محدثًا، فقد قال - كما سبق- :

«واعلم أن للتقدير أنواعًا فمنها تقدير أزلي، ومنها محدث»(٢).

فلم يصرح بمراده بقوله: "محدث"، وهل أراد بذلك التقدير اليومي أو تقدير كتابة الميثاق في عالم الذر؟ كلا الاحتمالين وارد.

ويبدو لي أنه أراد بذلك التقدير اليومي، وكذلك التقدير العمري والحولي.

ويتضح بما أوردت أن الشيخ الكشميري سلك مسلك أهل السنة والجماعة في مراتب التقدير أيضًا.

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٢٧٠.

(٢) فيض الباري ١/ ٣٨٦.

المبحث الثاني

أفعال العباد

مما يتصل بالقضاء والقدر هو مدى قدرة العباد على أفعالهم، وهي من أخطر المسائل العقدية التي حار فيها العقلاء والنظار قديمًا وحديثًا، فلم يهتدوا لليقين والصواب؛ لأنهم التمسوا الهدى من غير مظانه فضلوا وأضلوا.

ولقد وفق اللّه أهل السنة والجماعة للوصول إلى الحق في هذه المسألة -كسائر المسائل العقدية- لاتباعهم كتاب اللّه عز وجل وسنة رسوله ﷺ؛ إذ لايمكن الوصول إلى الصواب إلا عن طريق التمسك بالكتاب والسنة، وبالفهم الصحيح الذي فهمه سلف الأمة لها.

ولقد اشتهرت في هذه المسألة نظرية القدرية (المعتزلة)، والجبرية، والأشاعرة، وأهل السنة والجماعة. وفيما يلي عرض موجز لهذه المذاهب، ثم عرض لرأي الشيخ الكشميري ومدى موافقته أو مخالفته لهم.

الجبرية:

وهم الجهمية يرون أن الإنسان لا إرادة له في فعله، وليس مختارًا فيما يفعله، بل هو كالريشة في مهب الرياح، وهو مجبور في كل ما يجري عليه، ونسبة الأفعال إليه ليست على الحقيقة، بل هي على المجاز كقول القائل: مات زيد، ونبت الزرع، وجرى الماء، وتحرك الحجر، فليست لهذه الأشياء اختيار وقدرة فيما نسب إليه، بل كل ذلك بإرادة اللّه وخلقه لها.

يقول الشهرستاني في بيان رأيهم:

«إن الإنسان لا يقدر على شيء، ولا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور في أفعاله، لا قدرة له، ولا إرادة، ولا اختيار، وإنما يخلق اللّه الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات، وتنسب إليه الأفعال مجازًا كما تنسب إلى الجمادات، كما يقال: أثمرت الشجرة، وجرى الماء، وتحرك

الحجر، وطلعت الشمس، وغربت، وتغيمت السماء، وأمطرت، واهتزت الأرض، وأنبتت، إلى غير ذلك»[١].

وأما ترتب الجزاء الأخروي على الأفعال فهي أيضًا عندهم جبر، كما أن التكليف جبر.

يقول الشهرستاني:

«الثواب والعقاب جبر، كما أن الأفعال كلها جبر»[٢].

واستدلوا على مذهبهم بقول الله تعالى:

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾[٣].

فأنت ترى أن الله سبحانه نفى عن نبيه الرَمْي، وأثبت ذلك لنفسه سبحانه، فدل على أنه لا صنع للعبد.[٤]

واستدلوا على كون الجزاء الأخروي جبرًا بما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«لن يدخل أحدًا عملُه الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته، سَدِّدوا، وقاربوا، واغدوا، وروحوا، وشيء من الدُلْجة، والقصدَ، القصدَ تبلغوا»[٥].

فهذا الحديث صريح - في زعمهم- على أن الجزاء غير مرتب على أفعال العباد.[٦]

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني، ص ٨٧، مقالات الإسلاميين للأشعري، ص ١٤١.

(٢) الملل والنحل ص ٨٧.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ١٧.

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص ٤٣٧.

(٥) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل. ٧/ ١٨١.

(٦) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص ٤٣٧.

المعتزلة: (القدرية):

المعتزلة يرون أن في مذهب الجبرية خللاً بالعدل الإلهي، فليس من العدل -في نظرهم- أن يخلق اللّه المعصية في العبد ثم يعاقبه عليها، ولا أن يخلق الطاعة فيه ثم يثيبه عليها، وإنما يتحقق العدل بأن يجزيه على فعله هو ثوابًا وعقابًا، لا على فعل اللّه فيه. فذهبوا إلى أن أفعال العباد ليست مخلوقة للّه، وإنما العباد هم الخالقون لها، ولهم إرادة وقدرة مستقلة عن إرادة اللّه وقدرته، فأفعالهم لا فاعل لها ولا محدث سواهم.

يقول الشهرستاني مبينًا مذهبهم:

«اتفقوا على أن العبد قادر خالق لأفعاله، خيرها وشرها، مستحق على ما يفعله ثوابًا وعقابًا في الدار الآخرة، والرب تعالى منزه أن يضاف إليه شَرٌّ وظلمٌ، وفعل هو كفر ومعصية؛ لأنه لو خلق الظلم كان ظالمًا، كما لو خلق العدل كان عادلاً»[١].

ويقول المقْبِلي[٢] موضحًا رأي المعتزلة:

«إن اللّه خلق لهذا العبد قدرة يصير بها متمكنًا من الفعل والترك على ما مضى من حقيقة القادر، فنسبة فعل العبد إليه حقيقة، وإلى اللّه عز وجل بنوع من المجاز»[٣].

---

(١) الملل والنحل، ص ٤٥.

(٢) المَقْبلي: هو صالح بن مهدي بن علي المقبلي، مجتهد، من أعيان الفقهاء، ولد باليمن، وكان على مذهب الإمام زيد، فنبذ التقليد، وناظره بعض المشايخ بصنعاء، فأدت المناظرة إلى المنافرة، فرحل بأهله إلى مكة، فاشتهر، من كتبه: "العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ" و "الإتحاف لطلبة الكشاف". توفى بمكة سنة ١١٠٨هـ. انظر: الأعلام ٣/ ٢٨٣، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للقاضي محمد بن علي الشوكاني ١/ ٢٨٨.

(٣) العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ، للشيخ محمد المقبلي اليمني، ص ٢٨١، مكتبة دار البيان، دمشق.

ويقول القاضي عبد الجبار[١]:

«إن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم، وإنهم المحدثون لها»[٢].

ومما استدل به المعتزلة قوله تعالى:

﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَـٰلِقِينَ﴾[٣].

وقالوا: الجزاء مرتب على الأعمال ترتب العوض مستدلين في ذلك بالآيات الآتية:

قال اللّه تعالى: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٥].

قالوا: إن الباء في الآيتين باء عوض تدل على استحقاق العبد على ما يفعله ثوابًا وعقابًا في الدار الآخرة.[٦]

جمهور الأشاعرة:

المشهور عند الأشاعرة أن رأيهم وسط بين الجبرية والمعتزلة، فقالوا في أفعال العباد: إن الإنسان لا يستطيع إحداث شيء ولكن يقدر على الكسب.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة:

«ورأيه (الأشعري) في قدرة اللّه وأفعال الإنسان وسط بين المعتزلة والجبرية، فالمعتزلة قالوا: إن العبد هو الذي يخلق أفعال نفسه بقوة أودعها اللّه

---

(١) عبد الجبار: هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار، شيخ المعتزلة في عصره، وهم يلقبونه بقاضي القضاة، ولي القضاء بالري، ومات فيها. له تصانيف، منها: "تنزيه القرآن عن المطاعن". مات سنة ٤١٥هـ. انظر: الأعلام ٤/٤٧.

(٢) شرح الأصول الخمسة، ص ٣٢٣.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.

(٤) سورة ألم السجدة، الآية: ١٧، سورة الأحقاف، الآية: ١٤، سورة الواقعة، الآية: ٢٤.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.

(٦) شرح العقيدة الطحاوية، ص٤٣٨.

تعالى إياه، والجبرية قالوا: إن الإنسان لا يستطع إحداث شيء، ولا كسب شيء، بل هو كالريشة في مهب الرياح، فقال الأشعري: إن الإنسان لا يستطيع إحداث شيء ولكن يقدر على الكسب»(١).

ويقول الجرجاني(٢):

«إن أفعال العباد الاختيارية واقعة بقدرة اللّه تعالى وحده، وليس لقدرتهم تأثير فيها، بل اللّه سبحانه أجرى عادته بأن يوجد في العبد قدرة واختيارًا، فإذا لم يكن هناك مانع أوجد فيه فعله المقدور مقارنًا لهما، فيكون الفعل مخلوقًا للّه إبداعًا وإحداثًا ومكسوبًا للعبد»(٣).

والفرق بين الكسب والخلق عندهم على حسب ما قالوه: إن الكسب عبارة عن اقتران المقدور بالقدرة الحادثة، والخلق هو اقتران المقدور بالقدرة القديمة، أو الكسب هو الفعل القائم بمحل القدرة عليه، والخلق هو الفعل الخارج عن محل القدرة عليه»(٤).

ويقول الجرجاني:

«المراد بكسبه إياه مقارنته لقدرته وإرادته من غير أن يكون هناك تأثير أو مدخل في وجوده سوى كونه محلا له. وهذا مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري»(٥).

أهل السنة والجماعة:

ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن اللّه خالق لأفعال العباد كلها، والعباد فاعلون حقيقة، ولهم قدرة حقيقية على أعمالهم، ولهم إرادة، ولكنها

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية، لأبي زهرة، ص ١٦٦.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) شرح المواقف للجرجاني، تحقيق: د. أحمد المهدي، ص ٢٣٧.

(٤) مجموع الفتاوي ٨/ ١١٩.

(٥) شرح المواقف للجرجاني، ٢٣٧.

خاضعة لمشيئة اللّه الكونية فلا تخرج عنها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه:

«ومما ينبغي أن يعلم أن مذهب سلف الأمة - مع قولهم: اللّه خالق كل شيء وربه ومليكه، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه على كل شيء قدير، وأنه هو الذي خلق العبد هلوعًا، إذا مسه الشر جزوعًا وإذا مسه الخير منوعًا، ونحو ذلك- أن العبد فاعل حقيقة، وله مشيئة وقدرة، قال تعالى: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿كَلا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾[3]»[4].

وقال شارح العقيدة الطحاوية ابن أبي العز الحنفي:

«إن فعل العبد فعلٌ له حقيقة، ولكنه مخلوق للّه تعالى ومفعول للّه تعالى، ليس هو نفس فعل اللّه، ففرق بين الفعل والمفعول والخلق والمخلوق»[5].

أما الشيخ الكشميري حينما تناول هذه المسألة بالحديث، فإنه أولاً ردّ على المعتزلة الذين جعلوا العباد خالقين لأفعالهم. فهو يقول:

«إن أفعال العباد وإن كانت مخلوقة، لكنها مخلوقة للّه تعالى، ولو جعلنا العباد خالقين لأفعالهم لزم إثبات الند للّه. والعياذ باللّه»[6].

ورد على الجبرية الذين سلبوا الإرادة والاختيار من العبد، وجعلوه

---

(١) سورة التكوير، الآيتان: ٢٨-٢٩.

(٢) سورة الإنسان، الآيتان: ٢٩-٣٠.

(٣) سورة المدثر، الآيات: ٥٤-٥٦.

(٤) مجموع الفتاوى ٨/ ١١٧-١١٨.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٤٤٤.

(٦) فيض الباري ٤/ ٥٣٥.

كالريشة في مهب الرياح. فيقول:

«نحن نفعل أفعالنا كلها باختيارنا»(١).

وبهذا نرى موافقة الشيخ الكشميري لأهل السنة والجماعة فيما ذهب إليه في أفعال العباد. إلا أنه حينما تناول الحديث عن قدرة العبد على فعله، وهل لها تأثير على فعله أم لا؟ فقد ذهب إلى أن قدرة العبد لا تأثير لها على فعله، فهو وإن كان مختاراً في فعله، ولكنه ليس مختاراً في هذا الخيار.

يقول الشيخ الكشميري:

«نحن نفعل أفعالنا كلها باختيارنا، ولكن هذا الخيار من اللّه سبحانه وتعالى، وقرر العبد كاسبًا لأفعاله لصدور الأفعال باختياره، وجعل اللّه خالقًا لأفعال العبد لاستناد الاختيار إلى اللّه. ومن الممتنع أن يكون العبد مستقلاً بالخيار لكونه ممكنًا»(٢).

ويقول أيضًا:

«ثم إن العبد عند أهل السنة مختار، وإن كان مجبوراً في وصف الاختيار فإنه مودع فيه كالماء في القمقمة، فعاد مجبوراً من وجه أيضًا، وذلك هوالجبر مع الاختيار، بقي الاختيار المستقل بحيث لا يكون مستنداً إلى قادر فهو محال في حقه، فإن وجود نفسه ليس له حقيقة وتَقَوُّمٌ إلا بعد اعتبار حيثية الإسناد، فكيف بصفاته؟»(٣).

وقد نظم الكشميري هذه المسألة في قصيدة فقال:

أيا صاحبي إن الكلام بقدرتك ... طويل وتحرير الخلاف يطول
ففيك اختيار ليس منك وذلك ... لجبر اختيار لا يكنك ذهول
أما اختيار مستقل فإنه ... محال فلا يسألك عنه سؤل

---

(١) ملفوظات الشيخ الكشميري، ص ٢٥٥.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣) فيض الباري ٤/ ٤٣٦.

فأفعالنا منا على اختيارنا　　　ولكنها نحو القدير يؤل
وهذا هو الكسب الذي كلفوا به　　　وفيه اقتصاد فليكنك قبول .[١]

هذه النصوص صريحة من الشيخ الكشميري بأنه ينفي تأثير قدرة العبد في فعله مستقلاً، ويثبت له مجرد الكسب الذي اشتهر القول به عن جمهور الأشاعرة، المعروف بكسب الأشعري .

يقول الآمدي[٢] حاكيًا مذهب الأشاعرة :

«وذهب أهل الحق إلى أن أفعال العباد مضافة إليهم بالاكتساب، وإلى الله تعالى بالخلق والاختراع، وأنه لا أثر للقدرة الحادثة فيها أصلاً»[٣] .

وقد أراد الأشاعرة ومن وافقهم بإثبات الكسب محاولة التوسط بين الجبرية والقدرية، فإنهم جعلوا للعبد قدرة حادثة غير مؤثرة في فعله بخلاف الجبرية، فإنهم نفوا للعبد قدرة أصلاً، وبخلاف القدرية، فإنهم جعلوا للعبد قدرة مؤثرة يخلق بها فعله . ولكن هذه المحاولة لا تعود إليهم بالنفع ؛ لأن حقيقة الكسب تؤول إلى مذهب الجبرية إذ النتيجة واحدة، لأن إثبات قدرة لا أثر لها إنما هو نفي القدرة .

---

(١) ترجمان السنة، لمحمد بدر عالم ٣/ ٢٣ .

(٢) الآمدي : هو علي بن محمد بن سالم التغلبي، المعروف بسيف الدين الآمدي، أصولي، باحث، ولد بآمد، وتعلم في بغداد والشام، وانتقل إلى القاهرة، فدرّس فيها، واشتهر، حسده بعض الفقهاء فرموه بفساد العقيدة، والتعطيل، ومذهب الفلاسفة، فخرج مستخفيًا إلى حماة، ومنها إلى دمشق، وتوفى بها سنة ٦٣١هـ. له نحو عشرين مؤلفًا، منها : "الإحكام في أصول الأحكام" . انظر : سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٦٤، الأعلام ٥/ ١٥٣ .

(٣) غاية المرام في علم الكلام، لسيف الدين الآمدي، تحقيق : حسن محمود عبد اللطيف، ص٢٠٧، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة .

الفصل الخامس

الإيمان والإسلام

وتحته أربعة مباحث:

- المبحث الأول: تعريف الإيمان.
- المبحث الثاني: زيادة الإيمان ونقصانه.
- المبحث الثالث: الاستثناء في الإيمان.
- المبحث الرابع: العلاقة بين الإيمان والإسلام.

المبحث الأول

الإيمان وحقيقته

الإيمان لغة:

الإيمان مصدر من آمن، يؤمن، إيمانًا فهو مؤمن، وهو مشتق من الأمن، ومعناه اللغوي التصديق.

وقال الجوهري(١):

الإيمان: التصديق، والله تعالى مؤمن، آمن عباده من أن يظلمهم. (٢)

وقال الرازي(٣):

الإيمان: التصديق. (٤)

قال ابن منظور(٥):

«الإيمان: ضد الكفر، والإيمان بمعنى التصديق، ضده التكذيب، يقال:

---

(١) الجوهري: هو أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، إمام اللغة، وأول من حاول الطيران، ومات متردياً من سطح داره في سبيل ذلك سنة ٣٩٣هـ. أشهر كتبه "الصحاح" في اللغة. انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٨٠، الأعلام ١/ ٣٠٩.

(٢) الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية؛ لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور العطار ٥/ ٢٠٧١، باب النون فصل الألف، دار العلم للملايين، بيروت.

(٣) الرازي: هو زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، من فقهاء الحنفية، وله علم بالتفسير والأدب، من كتبه "مختار الصحاح في اللغة"، والذهب الإبريز في تفسير الكتاب العزيز". مات سنة ٦٦٦هـ. انظر: الأعلام ٦/ ٢٧٩.

(٤) مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي، ص ٢٥، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

(٥) ابن منظور: هو أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الأنصاري، الإمام، اللغوي، الحجة. ولد بمصر، وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة، ثم ولي القضاء في طرابلس، وعاد إلى مصر، وتوفي فيها سنة ٧١١هـ. وكان مغريًا باختصار الكتب الأدبية، أشهر كتبه "لسان العرب"، جمع فيها أمهات كتب اللغة. انظر: الأعلام ٧/ ٣٢٩.

آمن به قوم، وكذب به قوم، فأما آمنته المتعدي فهو ضد أخَفْته، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَءَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾[(١)]»[(٢)].

وفي المعجم الوسيط:

آمن إيمانًا: صار ذا أمن، ، و–به: وثق، وصدقه، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾[(٣)]. – وفلانًا: جعله يأمن.[(٤)]

وقد ذكر الشيخ الكشميري معنى الإيمان لغةً فقال:

«الإيمان في اللغة: عبارة عن التصديق، وقد يجيء بمعنى الوثوق؛ لأنه إفعال من الأمن، وهمزة الإفعال إذا دخلت على الفعل المتعدي فإما أن يعديه إلى مفعول ثان، أو يجعله لازمًا على معنى الصيرورة، فالأول أي: التصديق منقول من الإفعال المتعدية، يقال: آمنته فلانًا، أي: جعلته آمنًا منه، وآمنته غيري، أي: جعلت غيري آمنا منه، وكلا المعنيين اللغويين حقيقيان للفظ الإيمان، وضع أولاً لجعل الشيء أمنا من أمر، ثم وضع ثانيًا لمعنى يناسبه، وهو التصديق، فإنك إذا صدقت المخبر، فقد آمنته من تكذيبك إياه، وتعديته بالباء لتضمينه معنى الاعتراف، فإنك إذا صدقت شيئًا فقد اعترفت به. والمعنى الثاني منقول من الأفعال اللازمة بمعنى: صار ذا أمن، فيتعدى بالباء، يقال: آمن به أي: وثق به؛ لأن الواثق بالشيء صار ذا أمن منه، وحينئذ لايحتاج إلى التضمين»[(٥)].

ويقول الشيخ الكشميري أيضًا:

«أصل الإيمان تبجيل الذات وتعظيمه، ثم استعمل في التصديق مطلقًا،

---

(١) سورة قريش، الآية: ٤.

(٢) لسان العرب لابن منظور ١/ ٢٢٣، باب الهمزة، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان.

(٣) سورة يوسف، الآية: ١٧.

(٤) المعجم الوسيط ١/ ٢٨.

(٥) فيض الباري ١/ ٤٤–٤٥.

ويتعلق بالذوات والأخبار، فإن تعلق بالذات يؤتى بالباء في صلته، وإن تعلق بالأخبار فباللام لتضمينه معنى الإقرار، وعليه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾[١] أي: بمقر لنا، ولم يقولوا: بنا؛ لأن المراد التصديق بخبرهم دون ذواتهم، وفي خلافه يكون التضمين»[٢].

الإيمان اصطلاحًا:

اتفق أهل السنة والجماعة على أن الإيمان هو اعتقاد بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان، وسأذكر أقوال العلماء في حقيقة الإيمان فيما يلي:

القول الأول: الإيمان هو المعرفة بالله فقط. وهو قول الجهمية.[٣]

القول الثاني: إنه قول باللسان. وهو قول الكرامية.[٤]

القول الثالث: إنه تصديق بالقلب وإقرار باللسان، وهو قول حماد بن أبي سليمان[٥]، وقول تلميذه الإمام أبي حنيفة -رحمه الله- ومن تبعهم من الفقهاء.[٦]

القول الرابع: هو قول أهل السنة والجماعة، وهو ما ذكرناه.[٧]

لقد اختلفت عبارات أهل السنة والجماعة في التعبير عن حقيقة الإيمان،

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٧.

(٢) فيض الباري ١/ ٤٦.

(٣) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، ص ١٣٢، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، تبصرة الأدلة في أصول الدين، لأبي معين ميمون بن محمد النسفي، تحقيق: كلود سلامة ٢/ ٧٩٨، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٣٣٢.

(٤) مقالات الإسلاميين، ص ١٤١، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٣٣٢.

(٥) حماد بن أبي سليمان: هو العلامة الإمام، فقيه العراق، روى عن أنس رضي الله عنه، وروى عنه تلميذه الإمام أبو حنيفة، والأعمش، وسفيان الثوري، كان أحد العلماء الأذكياء، والكرام الأسخياء، له ثروة وحشمة، وجمال، مات سنة ١٢٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢١٣.

(٦) شرح الفقه الأكبر، ص ١٢٤.

(٧) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٣٣٢.

فمنهم من قال: إن الإيمان قول وعمل. وهو قول مجاهد[(١)]، وأحمد بن حنبل، ومالك، وابن جريج[(٢)]، وابن المبارك[(٣)]. [(٤)]

ومنهم من قال: الإيمان عندنا داخله وخارجه، الإقرار باللسان، والقبول بالقلب والعمل به. وهو قول فضيل بن عياض[(٥)]. [(٦)]

ومنهم من قال: ليس الإيمان بالتمني، ولكن قول يعقل، وعمل يعمل. وهو قول عبيد بن عمير الليثي[(٧)]. [(٨)]

ومنهم من يقول: الإيمان التصديق بالقلب والقول باللسان والعمل

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) ابن جريج: هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكي، الإمام، العلامة، الحافظ، شيخ الحرم، روى عن عطاء بن أبي رباح، وابن أبي مليكة، ونافع مولى ابن عمر، وروى عنه ثور ابن يزيد، والأوزاعي، والليث وغيرهم. وقد كان صاحب تعبد وتهجد، ومازال يطلب العلم حتى كبر. مات سنة ١٥٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٢٥.

(٣) ابن المبارك: هو عبد الله بن مبارك، شيخ الإسلام، عالم زمانه، وأمير أتقيائه في زمانه، روى عن سليمان التيمي، وعاصم، وحُميد الطويل وغيرهم، وروى عنه معمر، والثوري، وابن معين وغيرهم. كان جامعًا للعلم، والحديث، والفقه، والعربية، وأيام الناس، والشجاعة، والسخاء، والتجارة. مات سنة ١٨٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٧٨.

(٤) كتاب السنة ١/ ٣٠٧، ٣١١. ، ٣١٦، ٣١٧، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢/ ٩٣١، برقم: (١٥٨٩).

(٥) فضيل بن عياض: هو الإمام القدوة شيخ الإسلام فضيل بن عياض بن مسعود الخراساني، المجاور بحرم الله. ولد بسمرقند، وارتحل في طلب العلم، وكان ثقة، بسلاً، فاضلاً، عابدًا، ورعًا، كثير الحديث. مات سنة ١٨٧هـ. انظر سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢١.

(٦) كتاب السنة ١/ ٣١٦.

(٧) عبيد بن عمير الليثي: هو أبو عاصم عبيد بن عمير بن قتادة الليثي، ولد على عهد النبي ﷺ قاله مسلم، وعده غيره في كبار التابعين، وكان قاصّ أهل مكة، مجمع على ثقته. مات قبل ابن عمر سنة ٧٤هـ. انظر: تقريب التهذيب لابن حجر، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ١/ ٦٤٥، سير أعلام النبلاء ٤/ ١٥٦.

(٨) كتاب السنة ١/ ٣١٧.

بالجوارح . وهو قول أبي ثور البغدادي[(١)] .[(٢)]

ومنهم من يقول : الإيمان قول وعمل ونية . وهو قول الإمام الشافعي .[(٣)]

وهذه الأقوال كلها تشمل الاعتقاد والإقرار والعمل .

يفصل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- هذه الأقوال قائلا :

«والمقصود هنا أن من قال من السلف : الإيمان قول وعمل . أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح ، ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر أو خاف ذلك ، فزاد الاعتقاد بالقلب ، ومن قال : قول وعمل ونية ، قال : القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان ، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية ، فزاد ذلك ، ومن زاد اتباع السنة ، فلأن ذلك كله لا يكون محبوبًا لله إلا باتباع السنة ، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل ، إنما أرادوا ماكان مشروعًا من الأقوال والأعمال ، ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولاً فقط ، فقالوا : قول وعمل ، والذين جعلوه أربعة أقسام فسروا مرادهم ، كما سئل سهل بن عبد الله التستري[(٤)] عن الإيمان ما هو؟ فقال : قول وعمل ونية وسنة ؛ لأن الإيمان إذا كان قولاً بلا عمل فهو كفر ،

---

(١) أبو ثور البغدادي : هو إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي البغدادي ، الفقيه ، أحد الأعلام ، قال عنه النسائي : هو أحد الفقهاء ، ثقة ، مأمون . وقال ابن حبان : كان أحد أئمة الدين فقهًا ، وعلمًا ، وورعًا ، وفضلاً ، وخيرًا ، صنف الكتب ، وذبَّ عن السنة ، وقمع مخالفيها . مات سنة ٢٤٠هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ١٢/ ٧٢ ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق : د. إحسان عباس ١/ ٢٦ ، دار صادر ، بيروت .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢/ ٩٣٢ ، برقم : (١٥٩٠) .

(٣) نفس المصدر ٣/ ٩٥٧ ، برقم : (١٥٩٣) ، مجموع الفتاوى لابن تيمية ٧/ ١١٩ .

(٤) سهل بن عبد الله : هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التُستَري ، شيخ العارفين ، الزاهد ، له كلمات نافعة ، ومواعظ حسنة ، من كلامه : "لا معين إلا الله ، ولا دليل إلا رسول الله ، ولازاد إلا التقوى ، ولا عمل إلا الصبر عليه" . توفي سنة ٢٨٣هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٠٣ .

وإذا كان قولاً وعملاً بلا نية فهو نفاق، وإذا كان قولاً وعملاً ونيةً بلا سنة فهو بدعة»[(١)].

وقال الشيخ الكشميري عن حقيقة الإيمان:

«حقيقة الإيمان هو التصديق مع التزام الطاعة والتبري عن دين سواه»[(٢)].

ويقول أيضًا:

«ليعلم أن الإيمان هو التصديق بكل ما جاء به الرسول ﷺ وإن لم يكن متواترًا، والتزام أحكامه، والتبرؤ عن كل دين سواه»[(٣)].

وهذا القول هو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة في باب الإيمان، فإنه يشمل التصديق، والإقرار، والعمل.

ثم رد الشيخ الكشميري على الجهمية الذين حصروا الإيمان في المعرفة دون القول والإقرار باللسان فيقول:

«التصديق قد يجتمع مع الجحود أيضًا وهو كفر قطعًا، قال تعالى: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا**﴾[(٤)]. وقال تعالى: ﴿**يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُم**﴾[(٥)]. وقال تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ**﴾[(٦)]. فانظر كيف اجتمع اليقين والإذعان والمعرفة مع الجحود؟ فيلزم على التعريف المذكور أن يجتمع الإيمان مع الجحود واللازم باطل»[(٧)].

والفقهاء الذين جعلوا التصديق إيمانًا لم يكتفوا بجعل مجرد التصديق

---

(١) الإيمان، لابن تيمية، ص ١٦٣، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ.

(٢) فيض الباري ١/ ٥١.

(٣) نفس المصدر ١/ ٦٩.

(٤) سورة النمل، الآية: ١٤.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٢٠.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٨٩.

(٧) فيض الباري ١/ ٤٧.

القلبي إيمانًا بل زادوا معه الإقرار باللسان شرطًا أو شطرًا، لئلا يرد عليهم مثل ما يرد على المرجئة والجهمية القائلين بالتصديق فقط.

يقول الشيخ الكشميري في ذلك:

«ولذا جعل الفقهاء الإقرار شرطًا للإيمان لإخراج تصديق الجاحدين، فإن الجاحد لا يقر بلسانه ألبتة، ومن أقر باللسان لا يمكن منه الجحود، فكأنهم فهموا أن الإقرار مقابل للجحود، فجعلوه شرطًا أو شطرًا احترازًا عن مثل هذا اليقين والمعرفة، وحينئذ فالجواب عندهم أن هؤلاء وإن كانو مستيقنين به لكنهم لم يكونوا يقرون بألسنتهم، بل كانوا يجحدون فلم يعتبر تصديقهم، ولم يحكم عليهم بالإيمان؛ لأن التصديق المعتبر ما كان مع الإقرار باللسان ولم يوجد، وهو الفاصل في الباب»[١].

ويرد الشيخ الكشميري على المرجئة والكرامية حيث أن المرجئة لم يعتبروا الإقرار في الإيمان، بينما الكرامية حصروا الإيمان في الإقرار فقط.

وجعل بعض الفقهاء الإقرار مع التصديق ركنًا من أركان الإيمان، كما جعل أهل السنة والجماعة. وبعضهم جعلوه شرطًا لصحة التصديق مع اتفاقهم على أن التصديق لا يحتمل السقوط بأي حال من الأحوال، بخلاف الإقرار، فإنه يسقط وقت الإكراه، ومع اتفاقهم على الإقرار باللسان عند المطالبة، فإن من لم يقر باللسان عند المطالبة فهو كافر كفر عناد عند الجميع.

يقول الشيخ الكشميري:

«اختلف في الإقرار، فقال المرجئة: إن الإقرار ليس بشطر ولا شرط للإيمان، فالتصديق وحده يكفي للنجاة عندهم حتى اشتهر القول عنهم؛ بأنه لا تضر مع الإيمان معصية، وعلى خلافهم الكرامية فإنهم زعموا أن الإقرار باللسان يكفي للنجاة، سواء وجد التصديق أم لا، فكأنهما على طرفي نقيض، وعندنا لابد من الإقرار أيضًا، إما شطرًا أو شرطًا، . . . ومن جعل

---

(١) فيض الباري ١/ ٤٧.

الإقرار ركنًا كالتصديق فرق بينهما بكون التصديق لا يحتمل السقوط في حال، بخلاف الإقرار فإنه يسقط عند الأعذار.

ثم إنه شرطًا كان أو شطرًا لابد منه عند المطالبة عند الكل، فإن طولب به ولم يقر، فهو كافر كفر عناد. وهو معنى ما قالوا: إن ترك العناد شرط في الإيمان»[١].

ولقد اتضح من هذه النصوص أن الشيخ الكشميري -رحمه الله- يقف موقف أهل السنة والجماعة في جعل التصديق بالجنان والإقرار باللسان من الإيمان، إلا أن الإقرار عنده ليس داخلاً في ماهية الإيمان، كما سيأتي. وأما العمل بالأركان هل هو جزء من الإيمان أم لا؟ فنرى رأيه من خلال نصوصه في الصفحات الآتية.

---

(١) فيض الباري ١/ ٤٩-٥٠.

العمل جزء من الإيمان أم لا؟

العمل داخل في مسمى الإيمان أو خارج عن حقيقة الإيمان؟ قد بحث عنه الباحثون وكتب عنه الكاتبون، والمشهور من الجمهور: أنهم أدخلوا العمل في حقيقة الإيمان، وجعلوه جزءًا وركنًا من الإيمان، بخلاف الفقهاء الحنفية، فإنهم لم يجعلوا العمل جزءًا من الإيمان، حتى رُمُوا بالإرجاء، وكل فريق أدلى بحججه ودلائله.

والشيخ الكشميري تكلم عن هذه المسألة بإسهاب، يقول الشيخ الكشميري:

«المذاهب فيه أربعة: قال الخوارج والمعتزلة: إن الأعمال أجزاء للإيمان، فالتارك للعمل خارج عن الإيمان عندهما، ثم اختلفوا، فالخوارج أخرجوه عن الإيمان، وأدخلوه في الكفر، والمعتزلة لم يدخلوه في الكفر، بل قالوا بالمنزلة بين المنزلتين.

والثالث: مذهب المرجئة، فقالوا: لا حاجة إلى العمل. ومدار النجاة هو التصديق فقط. فصار الأولون والمرجئة على طرفي نقيض.

والرابع: مذهب أهل السنة والجماعة، وهم بين بين، فقالوا: إن الأعمال أيضًا لابد منها، لكن تاركها مفسق، لا مكفر، فلم يشددوا فيها كالخوارج والمعتزلة، ولم يهونوا أمرها كالمرجئة. ثم هؤلاء افترقوا فرقتين: فأكثر المحدثين إلى أن الإيمان مركب من الأعمال. وإمامنا الأعظم -أبو حنيفة رحمه الله- وأكثر الفقهاء والمتكلمين إلى أن الأعمال غير داخل في الإيمان، مع اتفاقهم على أن فاقد التصديق كافر، وفاقد العمل فاسق، فلم يبق الخلاف إلا في التعبير، فإن السلف وإن جعلوا الأعمال أجزاء لكن لا بحيث ينعدم الكل بانعدامها، بل يبقى الإيمان مع انتفائها، وإمامنا -أبو حنيفة- وإن لم يجعل الأعمال جزءًا لكنه اهتم بها، وحرض عليها، وجعله أسبابًا سارية في نماء الإيمان، فلم يهدرها هدر المرجئة، إلا أن تعبير المحدثين القائلين بجزئية

الأعمال لما كان أبعد من المرجئة المنكرين جزئية الأعمال، بخلاف تعبير إمامنا الأعظم -رحمه الله تعالى-، فإنه كان أقرب إليهم من حيث نفي جزئية الأعمال رُمي الحنفية بالإرجاء، وهذا -كما ترى- جور علينا. والله المستعان.

ولو كان الاشتراك بوجه من الوجوه التعبيرية كافيًا لنسبة الإرجاء إلينا لزم نسبة الاعتزال إليهم، فإنهم قائلون بجزئية الأعمال أيضًا كالمحدثين، ولكن حاشاهم والاعتزال. وعفا الله عمن تعصب ونسب إلينا الإرجاء، فإن الدين نصح كله، لا مراماة ولا منابذة بالألقاب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي والعظيم»(١).

ويقول الشيخ الكشميري أيضًا:

«ليس النزاع بين الأئمة إلا في كون الإيمان مجموع الأجزاء أو التصديق فقط. أما كون الأعمال واجبةً، فلا اختلاف بينهم»(٢).

يتضح من هذه النصوص أن الشيخ الكشميري يحاول أن يرجع هذا الاختلاف بين أهل السنة والجماعة من المحدثين والحنفية إلى الاختلاف في التعبير. ويرى أن هذا الاختلاف ليس اختلافًا حقيقيًا، بل هو اختلاف صوري.

وليس هو أول من رأى هذا الرأي، بل سبقه في ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وابن أبي العز الحنفي شارح العقيدة الطحاوية رحمهما الله تعالى.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«مما ينبغي أن يعرف أن أكثر التنازع بين أهل السنة في هذه المسألة هو نزاع لفظي، وإلا فالقائلون: بأن الإيمان قول من الفقهاء، كحماد بن أبي سليمان -وهو أول من قال ذلك، ومن اتبعه من أهل الكوفة وغيرهم- متفقون مع جميع علماء السنة على أن أصحاب الذنوب داخلون تحت الذم والوعيد، وإن قالوا: إن إيمانهم كامل كإيمان جبريل فهم يقولون: إن الإيمان بدون العمل

---

(١) فيض الباري ١/ ٥٣-٥٤.

(٢) نفس المصدر ١/ ٥٥.

المفروض وفعل المحرمات يكون صاحبه مستحقًا للذم والعقاب، كما تقوله الجماعة، ويقولون أيضًا: بأن من أهل الكبائر من يدخل النار، كما تقوله الجماعة، والذين ينفون عن الفاسق اسم الإيمان من أهل السنة متفقون على أنه لا يخلد في النار، فليس بين فقهاء الملة نزاع في أصحاب الذنوب إذا كانوا مقرين باطنًا وظاهرًا بما جاء به الرسول، وما تواتر عنه أنهم من أهل الوعيد، وأنه يدخل النار منهم من أخبر اللّه ورسوله بدخوله إليها، ولا يخلد منهم فيها أحد. ولا يكونون مرتدين مباحي الدماء، ولكن الأقوال المنحرفة قول من يقول بتخليدهم في النار كالخوارج والمعتزلة، وقول غلاة المرجئة الذين يقولون: ما نعلم أن أحدًا منهم يدخل النار، بل نقف في هذا كله»[1].

ويقول العلامة ابن أبي العز الحنفي:

«الاختلاف الذي بين أبي حنيفة والأئمة الباقين من أهل السنة اختلاف صوري، فإن كون الأعمال لازمة لأعمال القلب أو جزءًا من الإيمان مع الاتفاق على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان، بل هو في مشيئة اللّه، إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه، نزاع لفظي؛ لا يترتب عليه فساد اعتقاد»[2].

ويرى الشيخ الكشميري أنه قد ورد إطلاق الإيمان على العمل بما تواترت به الأحاديث بحيث لا يمكن إنكاره، فيحتمل أن يكون هذا من باب إطلاق الكل على الجزء كما فهمه المحدثون، أو يكون من باب إطلاق المبدأ على الأثر، فالمبدأ هو الإيمان، والأثر هو العمل كما فهمه غيرهم. والشيخ الكشميري نفسه ممن يرى هذا الرأي الأخير. فهو يقول:

«واعلم أن إطلاق الإيمان على الأعمال مما لا يمكن إنكاره، فقد تواتر به الحديث، لكنه لا ينحصر فيما قالوه، بل يجوز أن يكون من باب إطلاق الكل

---

(١) الإيمان، لابن تيمية، ص ٢٨١-٢٨٢، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٧/ ٢٩٧.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، ص ٣٣٣. المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة التاسعة ١٤٠٨هـ.

على الجزء كما فهموه، ويجوز أن يكون من باب إطلاق المبدأ على الأثر، كما فهمنا، فالمبدأ هو الإيمان، والعمل أثره»[١].

ويقول: «بالجملة لا خلاف بعد الإمعان إلا في التعبير»[٢].

ويرى الشيخ الكشميري أن الإيمان لو كان اسمًا للمجموع المركب من الأمور الثلاث لم تظهر له مزية على الأعمال، ويتوهم أن الأمور الثلاث متساوية، والأمر ليس كذلك، فإن الإيمان من أهم المقاصد وأبرّ الأعمال، وأساس لقبول جميع الأعمال؛ ولذلك جعلناه بسيطًا، لا مركبًا.

يقول هو:

«إن الإيمان إذا كان اسمًا للمجموع لم تتضح له مزية على الأعمال في التعبير، ويتوهم كون جميع أجزائه متساوية الأقدام، ولما كان الإيمان من أسنى المقاصد، وأبر الأعمال، شرطًا لسائرها ودعامتها - لا كما يتوهم مما قاله أحمد رحمه اللّه تعالى: إنه معاقدة. - جعلناه منفردًا من الأعمال، تامًا بنفسه، مختتمًا بذاته، غير منتظر إلى الأعمال، فلا يخفف أمره ولا تحط رتبته بجعله مركبًا مع غيره، فإن الأعلى لا يعد مع الأدنى، والأصل مع الفرع، والتابع مع المتبوع، فلابد أن تظهر حقيقته في نفسه أيضًا، ويرى مكانته ومنزلته، ولا يمكن إلا بجعله منفصلاً عن الأعمال. وإذا انفصل أصل الإيمان لعظمة أمره عن الأعمال، فلا يكون إلا بسيطًا، فما قاله السلف أيضًا نظر صحيح، وما قاله الإمام الهمام أيضًا نظر صحيح، إلا أن كلام السلف يبني على النظر الجملي، وعد متعلقات الشيء والفروع مع الأصل، وكلام إمامنا يكشف عن الحقيقة، ويعطي كل ذي حظ حظه، ويضع كل شيء مكانه، ولا خلاف في الحقيقة، كما مرّ مرارًا»[٣].

---

(١) فيض الباري ١/ ٥٧.

(٢) نفس المصدر ١/ ٥٨.

(٣) نفس المصدر ١/ ٦٥.

نسبة الأعمال إلى الإيمان

إذا ثبت أن نسبة الأعمال إلى الإيمان ليست كنسبة الجزء إلى الكل -على رأي الشيخ الكشميري- فكيف نسبتها إليه؟

يتضح مما بين أيدينا من نصوص الشيخ الكشميري أن نسبة العمل إلى الإيمان كنسبة الفرع إلى الأصل، فالإيمان هو المبدأ الأصيل، والعمل أثره وفرعه. فكما أن الشجرة تنبت من أصلها والثمرة من شجرتها، فكذلك الأعمال تظهر من الإيمان، أي: التصديق القلبي، وبقدر قوة وضعف هذا الأصل يقوي ويضعف هذا الفرع.

يقول الشيخ الكشميري:

«إذا لم تكن نسبة الأعمال إلى الإيمان كنسبة الأجزاء إلى الكل، ولا كنسبة الأوراق والعروق والغصون إلى الشجرة، فكيف نسبته إليها؟ فالجواب: أن النسبة بينهما -على نظر الحنفية- كنسبة الأصل إلى الشجرة، والشجرة إلى الثمرة، فكما أن الشجرة نابتة من أصلها، ثم الثمرة من تلك الشجرة، كذلك الأعمال تنبت من الإيمان، فهو المبدأ وهذه آثاره، وكما أن الثمار تبدو وتسقط، تجيء وتذهب كذلك حال الأعمال مع الإيمان، فتكون قد وقد، وقوله تعالى: ﴿**أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ**﴾[1]، فالأصل هو الإيمان، والفروع هي الأعمال. ولعل حديث شعب الإيمان أيضًا كنسبة المكمِّل -بكسر الميم الثاني- إلى المكمَّل - بفتح الميم الثاني-، ولا أجعله في التعبير مكملاً للإيمان، بل لا أحب أن أقول: إنها كنسبة الثمرة إلى الشجرة، فإن المقصود من الشجرة الثمار، فتكون الأعمال مقصودة والإيمان تابعًا مع أنه أصل، وهي فرع تنبت منها، فالتعبير الأوفى هو الأصلية والفرعية»[2].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٤.

(٢) فيض الباري ١/ ٥٨.

وإلى هذا أشار شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أن الطاعات ثمرات التصديق الباطن، قد يراد به ما ذهب إليه السلف وهو أنه متى وجد الإيمان الباطن وجدت هذه الطاعات، وقد يراد بهذا القول ما ذهب إليه المرجئة وهو أن الإيمان الباطن قد يكون سببًا، وقد يكون الإيمان الباطن كاملاً تامًا بدون الطاعات.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله:

«قول القائل: الطاعات ثمرات التصديق الباطن، يراد به شيئان: يراد به إنما لوازم له، فمتى وجد الإيمان الباطن وجدت، وهذا مذهب السلف وأهل السنة، ويراد به أن الإيمان الباطن قد يكون سببًا، وقد يكون الإيمان الباطن تامًا كاملاً وهي لم توجد، وهذا قول المرجئة من الجهمية»[1].

ولا يخفى أن الشيخ الكشميري أراد المعنى الأول، ولا يرى هو أن الإيمان الباطن يكون تامًا كاملاً بدون العمل.

---

(١) الإيمان، لابن تيمية، ص ٣٤٧، مجموع الفتاوى ٧/ ٣٦٣.

الإمام أبو حنيفة والإرجاء

قد رمت جماعة من العلماء الإمام أبا حنيفة بالإرجاء وعدوه من جملة المرجئة لتأخيره العمل عن ركنية الإيمان مع القول بوجوبه . والشيخ الكشميري قدم لنا مبررات لما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة رحمه الله - حيث يقول :

«السلف أرادوا الرد على المرجئة الآخذين في الإيمان التصديق فقط، والقائلين : بأنه لا تضر مع الإيمان معصية، فكأنهم حطوا الأعمال عن مرتبتها وعطلوها وجعلوها كالمطروح في البين، وهذا جهل عظيم، فرد السلف عليهم واهتموا بذكر الأعمال حتى أوهم بجزئيتها وانتفاء الإيمان بانتفائها، فقالوا : الإيمان يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، فله تعلق عظيم مع الأعمال حتى أن ازديادها مؤثر في زيادته ونقصانها في نقصانه، فأين هؤلاء مع الإيمان؟ ، فكأنهم أرادوا بهذا القول أن لا يتهاون الناس في أمر الأعمال، ولذا تواتروا بذلك القول، وتتابعوا عليه، حتى صار علمًا لأهل السنة والجماعة عندهم، ومن خالفهم في هذا القول رموه بالإرجاء وغيره؛ لأنهم ابتلوا بهم فمن خالفهم ولو في التعبير أدخلوه في زمرتهم وحزبهم، وزعموه معينًا ونصيراً لهم. ثم جاء إمامنا الأعظم -رحمه الله- ورأى في زمنه فتنة الاعتزال والخروج، وكانوا يقولون : إن مرتكب الكبيرة مخلد في النار، فأراد الرد على هؤلاء المتوغلين في أمر الإيمان والمعطين الأعمال ما ليس لها بحق، فلو قال في مقابلتهم أيضًا كما قال السلف لكان إعانة لهم فغير عنوانهم، فقال : إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، فالأعمال ليست كما قلتم، بل هي وإن كانت أهم في نفسها إلا أن أمر الإيمان أيضًا ليس بهيِّن، فهو أيضًا أمر مستقل، وليس بتابع بل أصل، وعليه يدور أمر النجاة، فلو لم يعمل أحد طول عمره، وكان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة، لا كما قلتم : إن الرجل لو آمن وصدق أي تصديق ثم صدرت عنه كبيرة لا تغفر له، فجعل الأعمال كالمطروح في العبارة فقط دون الحقيقة؛ ليظهر استقلال الإيمان وتماميته بدونها، فأراد أن يكشف عن

حقيقة الحال؛ لئلا يختدع أحد من عبارة السلف، فيجعل الأعمال داخلة في الإيمان مع أنها كانت دخيلة فينفي النجاة بترك الأعمال»[١] .

وفي هذا المجال يقول الشهرستاني مدافعًا عن أبي حنيفة :

«كان يقال لأبي حنيفة وأصحابه مرجئة السنة، وعده كثير من أصحاب المقالات من جملة المرجئة، ولعل السبب فيه أنه لما كان يقول : الإيمان هو التصديق بالقلب، وهو لا يزيد ولا ينقص، ظنوا أنه يؤخر العمل عن الإيمان، والرجل مع تخريجه في العمل كيف يفتي بترك العمل؟، وله سبب آخر وهو أنه كان يخالف القدرية والمعتزلة الذين ظهروا في الصدر الأول، والمعتزلة كانوا يلقبون كل من خالفهم في القدر مرجئًا، وكذلك الوعيدية من الخوارج، فلا يبعد أن اللقب إنما لزمه من فريقي المعتزلة والخوارج . والله أعلم»[٢] .

إن الإرجاء قد عرف بين الطوائف الإسلامية كلها بالذم، وهو صفة الذم، ولا ريب فيه، فإنه يعطي العصاة الرجاء والطمع في عفو الله، ويجعلهم في حل مما يفعلون ويقولون، ويؤدي أرباب الشهوات إلى إشباع شهواتهم وتحقيق رغباتهم بالمحظورات والمحرمات، وبانتهاك حدود الله تعالى بدون لومة لائم وخشية من عقاب الله؛ لأنهم في حل مما يفعلون فلا تثريب عليهم أبدًا، ولا يقول بهذا القول مؤمن متدين فضلاً عن إمام من الأئمة المجتهدين الذي أفنى عمره في سبيل بيان الواجب والمستحب والمباح والحرام والمكروه، كيف يفتي بترك العمل، فليس من اللائق أن نصف الإمام أبا حنيفة -رحمه الله- بوصف الإرجاء؛ لأن الإرجاء الذي يتبادر إلى الذهن هو ذلك الإرجاء الذي لا يقول به مسلم . ولقد أحسن الباحث الدكتور أحمد بن عطية الغامدي عند ما قال :

«إن أبا حنيفة قال بخلاف ما قال به السلف حيث جعلوا العمل ركنًا في الإيمان، أما أبو حنيفة فأخره عن الركنية، لكنه لم يهمله كما أهمله المرجئة،

---

(١) فيض الباري ١/ ٦٥-٦٦ .

(٢) الملل والنحل، للشهرستاني، ص ١٤١ .

فنحن نعلم جميعًا أنه -رحمه الله- إمام جليل، برع، وبرز في مجال التشريعات العلمية، ومذهبه في الفقه الإسلامي يعتبر أوسع المذاهب، فقد أفنى عمره في سبيل بيان الواجب والمحرم والمستحب والمباح».

ويقول بعد ذلك:

«وإطلاق اسم المرجئة عليه بالإطلاق غير لائق، إذ أن قوله يختلف عن قول المرجئة ومنهجه مغاير لمنهجهم الإباحي»[1].

---

(١) الإيمان بين السلف والمتكلمين، لأحمد بن عطية الغامدي، ص ٩١، رسالة ماجستير من جامعة أم القرى، عام ١٣٩٧هـ.

المبحث الثاني

زيادة الإيمان ونقصانه

من المسائل المتعلقة بالإيمان مسألة زيادته ونقصانه، وهذه المسألة ليست مستقلة بل هي متفرعة عن إدخال الأعمال في مسمى الإيمان وإخراجها عنه. وقد ثبتت الزيادة فيه بالنصوص القرآنية والنبوية وأقوال علماء الأمة - حيث لامجال لإنكارها.

وقد صرح القرآن الكريم بالزيادة في عدة مواضع، ولكن القرآن الكريم لايدل بمنطوقة إلا على الزيادة في الإيمان، أما نقصانه فلا يدل عليه إلا بطريق اللزوم، يقول في ذلك الشيخ الكشميري:

«ليعلم أن القرآن لا يدل بمنطوقه إلا على زيادة الإيمان، أما على نقصانه فلا، إلا أن يؤخذ عنه باللزوم، ويقال: إن الإيمان إذا ثبتت فيه الزيادة أمكن فيه النقصان أيضًا»(١).

ومن الآيات التي وردت فيها الزيادة في الإيمان:

قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(٢).

وقوله تعالى:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾(٣).

---

(١) فيض الباري ١/٦٦.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

وقوله تعالى:

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[1].

وقوله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾[2].

ووردت أقوال للصحابة -رضي الله عنهم- والتابعين -رحمهم الله- تدل على اعتقادهم بزيادة الإيمان.

يقول أبو الدرداء[3] -رضي الله عنه-:

«من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه، وما نقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد هو أم ينتقص»[4].

وكان عمر -رضي الله عنه- يقول لأصحابه:

«هلموا نزدد إيمانًا، فيذكرون الله عز وجل»[5].

وكان ابن مسعود[6] -رضي الله عنه- يقول في دعائه:

«اللّهم زدنا إيمانًا، ويقينًا، وفقهًا»[7].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٤.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٤.

(٣) أبو الدرداء: صحابي جليل، اسمه عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي، حكيم هذه الأمة، وسيد القراء بدمشق. وهو معدود فيمن جمع القرآن في حياة رسول الله ﷺ، وتصدر للإقراء بدمشق في خلافة عثمان رضي الله عنه. توفى سنة ٣٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٣٥.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة، برقم: (١٧١٠) ٣/ ١٠١٦.

(٥) المصدر نفسه والمجلد، برقم: (١٧٠٠) ٣/ ١٠١٢.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) المصدر نفسه والمجلد، ص ١٠١٣، برقم: (١٧٠٤)، كتاب السنة لابن أحمد بن حنبل ١/ ٣٦٩، برقم: (٧٩٧).

وكان معاذ بن جبل[(١)] وعبد الله بن رواحة[(٢)] -رضي الله عنهما- يقولان لرجل:

«اجلس بنا نؤمن ساعة»[(٣)].

وصح عن عمار بن ياسر[(٤)] - رضي الله عنهما- أنه قال:

«ثلاث من كن فيه فقد استكمل الإيمان: إنصاف من نفسه، والإنفاق من إقتار، وبذل السلام للعالم»[(٥)].

وقال مالك بن دينار[(٦)]:

«الإيمان يبدو في القلب ضعيفًا، ضئيلاً كالبقلة، فإن صاحبه تعاهده فسقاه بالعلوم النافعة والأعمال الصالحة، وأماط عنه الدغل[(٧)]، وما يضعفه

---

(١) معاذ بن جبل: صاحب رسول الله ﷺ. شهد بيعة العقبة شابًا، شهد بدرًا، وهو من الأربعة الذين قال رسول الله ﷺ: «خذوا القرآن من أربعة، بعثه رسول الله ﷺ قاضيًا وداعيًا إلى اليمن، وقدم من اليمن في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، توفي بالطاعون في الشام سنة ١٧هـ. انظر: الإصابة ٦/ ١٠٧، سير أعلام النبلاء ١/ ٤٤٣.

(٢) عبد الله بن رواحة: صحابي أنصاري، شاعر مشهور، وكان أحد النقباء ليلة العقبة، وشهد بدرًا وما بعدها إلى أن استشهد بمؤتة سنة ٨هـ. الإصابة ٤/ ٧٢.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٣/ ١٠١٤-١٠١٥، برقم: (١٧٠٧-١٧٠٨).

(٤) عمار بن ياسر: صحابي جليل، من السابقين الأولين هو وأبوه، وكانوا ممن يعذب في الله، فكان النبي ﷺ يمر عليهم ويقول: صبرًا آل ياسر، موعدكم الجنة. هاجر إلى المدينة، وشهد المشاهد كلها، ثم شهد اليمامة فقطعت أذنه بها، ثم استعمله عمر على الكوفة، استشهد في صفين سنة ٣٧هـ. انظر: الإصابة ٤/ ٤٧٣، سير أعلام النبلاء ١/ ٤٠٦.

(٥) رواه البخاري تعليقًا في صحيحه، كتاب الإيمان، باب السلام من الإسلام ١/ ١٢، وذكر ابن حجر في الفتح ١/ ١٠٤ أماكن وجوده، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه، الإيمان، رقم ١٣١، بإسناد صحيح عنه موقوفًا، وروي مرفوعًا أيضًا، والراجح الوقف، إلا أن في سنده من كان اختلط. انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٣/ ١٠١٦، برقم: (١٧١٣).

(٦) مالك بن دينار: علم العلماء الأبرار، معدود في ثقات التابعين، ومن أعيان كتبة المصاحف. ولد في أيام ابن عباس، وسمع من أنس بن مالك، وثقه النسائي وغيره، واستشهد به البخاري. توفى سنة ١٢٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٦٢.

(٧) الدغل: الشجر الكثير الملتف.

ويوهنه، أوشك أن ينمو ويزداد، ويصير له أصل وفروع، وثمرة وظل إلى ما لا يتناهى حتى يصير أمثال الجبل، وإن صاحبه أهمله ولم يتعاهده جاءه عنز فنتفتها، أو صبي فذهب بها، أو أكثر عليها الدغل، فأضعفها، أو أهلكها أو أيبسها، كذلك الإيمان»[١].

إن هذه النصوص تدل دلالة واضحة على زيادة الإيمان ونقصانه. وإن هذه المسألة -كما قلت-: ليست مستقلة، بل هي متفرعة عن كون الإيمان بسيطًا أو مركبًا، يقول الشيخ الكشميري:

«السلف إنما اختلفوا في نفس الإيمان، لا في جزء منه بعد التحليل، فمن قال: إنه قول وعمل ذهب إلى الزيادة والنقصان أيضًا؛ لأنه إذا أدخل العمل في الإيمان، فمن عمل عملاً صالحًا فقد تم إيمانه، ومن نقص فيه انتقص إيمانه لامحالة على تحقيقه، ومن لم يدخل الأعمال في الإيمان بل جعله عبارة عن التصديق لم يلزم عليه ذلك. فأصل النزاع في إدخال الأعمال في مسمى الإيمان وإخراجها عنه، وإن الإيمان أمر أو أمور . . . ولذا قيل: إن تلك المسألة ليست مستقلة بل هي من فروع الأولى»[٢].

والشيخ الكشميري قرر - كما سبق- أن الاختلاف في الإيمان بين علماء أهل السنة والجماعة اختلاف في اللفظ والتعبير دون الحقيقة، فإنه يقرر في هذه المسألة أيضًا أنه لا خلاف في الحقيقة، ومعنى الزيادة والنقصان: أن الطاعات تزيد في التصديق الباطني بهاءًا ونماءًا، كما تنقص المعاصي هذا التصديق، فإن تعاهده أحد بالأعمال الصالحة، فإنه ينمو ويزداد، وإن تركه ولم يعمل صالحًا، فإنه ينتقص، فليس المراد بالزيادة والنقصان هو تحقق الإيمان أو عدم تحققه، بل المراد هو الانشراح والانفساح والبهاء والنمو. وزيادة الأعمال مؤثر في زيادة الإيمان، ونقصانها مؤثر في نقصانه.

يقول الشيخ الكشميري وهو يشرح معنى قول السلف: الإيمان يزيد

---

(١) الإيمان، لابن تيمية، ص ٢١٣.

(٢) فيض الباري ١/ ٦٢.

بالطاعة وينقص بالمعصية :

«إنهم قالوا : الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية . فبان منه أنهم قائلون بالزيادة والنقصان في التصديق الباطني دون الإيمان المركب، فإن عبارتهم هذه تدل على أن الأعمال دخيلةفي ازدياد الإيمان ونقصانه وسبب له . لا أنها داخلة، وإن لها سراية ونماء في التصديق، لا أنها أجزاء فلم يكن الإخلال بالعمل كقطع الغصن من الشجرة، بل كعدم سقيها بالماء، فلابد أن تيبس»[١] .

ويقول أيضًا :

«الإيمان مركبًا كان أو بسيطًا يصلح محلاً لاختلاف الزيادة والنقصان بهذا المعنى، ثم الزيادة والنقصان بهذا المعنى لا ينكره الإمام (أبو حنيفة رحمه اللّه) أيضًا، فإن الانفساح والانشراح زائد وناقص قطعًا، وهو المبحوث عنها في القرآن»[٢] .

ويرى الشيخ الكشميري أن ما نقل عن الإمام أبي حنيفة -رحمه اللّه- القول بعدم الزيادة والنقصان في الإيمان، فإنما هو في جزء خاص ومرتبة خاصة من الإيمان، وهي التي يدور عليها أمر النجاة؛ وليس بعدها إلا الكفر، فإنه تعرض لأمر لم يتعرض له السلف. يقول الشيخ الكشميري :

«إن الإمام الأعظم - رحمه اللّه- تعرض إلى أمر لم يتعرض إليه السلف، فإنه تكلم في مرتبة محفوظة، وهي التي يدور عليها أمر النجاة؛ وليس بعدها إلا الكفر. فالتصديق وإن كان زائدًا أو ناقصًا باعتبار مراتب الكمال والانفساح والانشراح، إلا أن الإمام الهمام أفرز بالبحث حصة منه، وهو التصديق بمعنى انتفاء الشك. ولا تفاوت بين الانتفاء والانتفاء، وإنما التفاوت في الانشراح والاستيلاء»[٣] .

---

(١) فيض الباري ١/ ٦٢ .

(٢) المصدر نفسه والصفحة .

(٣) المصدر نفسه والصفحة .

وأخيراً يقرر الشيخ الكشميري أن ماورد من النفي عن الإمام أبي حنيفة هو على غير محل الإيجاب الذي ورد من السلف، بل قولهم: الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية يثبت عدم جزئية الأعمال للإيمان؛ لأنه لو كان الأمر كذلك لكان قولهم: الإيمان يتحقق بالطاعة، وينعدم بالمعصية، ومعنى قولهم هذا: أن الأعمال سبب في نمو الإيمان وبهائه.

يقول في ذلك الشيخ الكشميري:

«الحاصل: أنه نقل عن السلف إثبات الزيادة والنقصان مجملاً، فأوهم ثبوتهما باعتبار نفس الإيمان، ثم نقل عنهم إثباتهما من تلقاء الأعمال، فتحققت السراية، وإذا كانت الأعمال أسبابًا لم يبق الإيمان إلا عبارة عن التصديق، والزيادة فيه على طريق السلف لا تكون إلا في نمائه ونوره، فانكشف الأمر، وثلج به الصدر، وأن ما يزيد وينقص هو انبساط الإيمان، وللأعمال سراية فيه، وهو تصديق أيضًا إطلاقًا للشيء على مبدئه.

ولو أرادوا جزئية الأعمال لقالوا: الإيمان يتحقق بالطاعة وينعدم بعدمها. فلم يتوجهوا إلى جزئية الأعمال، بل أرادوا به سراية الأعمال وتأثيرها في الإيمان. والإمام لما لم يقل: إن الإيمان لا يزيد بالطاعة ولا ينقص بالمعصية. عُلم أنه لم يُرد بنفي الزيادة إلا الزيادة في مرتبة محفوظة، ولذا لم ينف الزيادة في الانبساط بالطاعات. وإنما نفاها عن أصل الإيمان الذي يحصل قبل الأعمال، وأبقى الزيادة في الخشية والتقوى . . . فلم يكن مورد النفي عين مورد الإيجاب. فمعنى قوله: لا يزيد ولا ينقص، أي: أصله. ومعنى قولهم: يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، أي: بهاؤه ونماؤه. فأين الخلاف؟»(١).

وإلى هذا المعنى ذهب الإمام الطحاوي -رحمه الله- حيث هو يقول:

«الإيمانُ واحد، وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالخشية والتقى،

---

(١) فيض الباري ١/ ٦٤.

ومخالفة الهوى، وملازمة الأولى»[١].

والذي نصل إليه من هذه النصوص أن الشيخ الكشميري حاول أن يقرر أن النفي والإيجاب في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه بين علماء أهل السنة والجماعة ليسا على محل واحد، وليس محل النفي هو عين محل الإيجاب، بل مورد النفي غير مورد الإيجاب. فالأعمال الصالحة والطاعات سبب وموجب لنمو الإيمان وبهائه، كما أن السيئات سبب لاضمحلال الإيمان وضعفه. ويؤيد قول مالك بن دينار موقف الشيخ الكشميري هذا، فهو يقول -كماسبق-:

«الإيمان يبدو في القلب ضعيفًا ضئيلاً كالبقلة، فإن صاحبه تعاهده فسقاه بالعلوم النافعة، والأعمال الصالحة، وأماط عنه الدغل، وما يضعفه ويوهنه، أوشك أن ينمو ويزداد، ويصير له أصل وفروع، وثمرة، وظل إلى ما لا يتناهى، حتى يصير أمثال الجبال. وإن صاحبه أهمله ولم يتعاهده جاء عنز فنتفتها، أو صبي فذهب بها، أو أكثر عليها الدغل فأضعفها أو أهلكها، أو أيبسها، كذلك الإيمان»[٢].

ويقول خيثمة بن عبد الرحمن[٣]:

«الإيمان يسمن في الخصب، ويهزل في الجدب، فخصبه العمل الصالح، وجدبه الذنوب والمعاصي»[٤].

---

(١) العقيدة الطحاوية مع الشرح، ص ٣٣١.

(٢) الإيمان، لابن تيمية، ص ٢١٣.

(٣) خيثمة بن عبد الرحمن: هو خيثمة بن عبد الرحمن بن سبرة الجعفي الكوفي، حدث عن أبيه وعن عائشة، وعبد الله بن عمرو، وغيرهم، وحدث عنه الأعمش. كان من العلماء العباد، وكان ثقة. مات سنة ٣٧هـ. انظر: تقريب التهذيب ١/ ٢٧٧، سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٢٠.

(٤) الإيمان، ص ٢١٣.

المبحث الثالث

الاستثناء في الإيمان

الاستثناء في الإيمان عبارة عن قول الرجل: أنا مؤمن إن شاء الله. وقد تعددت أقوال العلماء في هذه المسألة إلى ثلاثة. كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية وابن أبي العز الحنفي رحمهما الله.

الأول: تحريم الاستثناء.

الثاني: وجوب الاستثناء.

الثالث: جواز الاستثناء.

القول الأول: وهو القول بتحريم الاستثناء.

ذهب إليه المرجئة والجهمية، يقول في ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«الذين يحرمونه هم: المرجئة والجهمية ونحوهم ممن يجعل الإيمان شيئًا واحدًا، يعلمه الإنسان من نفسه، كالتصديق بالرب ونحو ذلك مما في قلبه، فيقول أحدهم: أنا أعلم أني مؤمن كما أعلم أني تكلمت بالشهادتين، وكما أعلم أني قرأت الفاتحة، وكما أعلم أني أحب رسول الله، وأني أبغض اليهود والنصارى. فقولي: أنا مؤمن كقولي: أنا مسلم، وكقولي: تكلمت بالشهادتين، وقرأت الفاتحة، وكقولي: أنا أبغض اليهود والنصارى، ونحو ذلك من الأمور الحاضرة التي أنا أعلمها وأقطع بها. وكما أنه لا يجوز أن يقال: أنا قرأت الفاتحة إن شاء الله، كذلك لا يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، لكن إذا كان يشك في ذلك فيقول: فعلته إن شاء الله. قالوا: فمن استثنى في إيمانه فهو شاك فيه، وسموهم الشكّاكة»(١).

---

(١) الإيمان، ص ٤١٠.

القول الثاني: وهو وجوب الاستثناء، وأنه يجب على المؤمن أن يستثنى ولا يجزم بأنه مؤمن. وهو قول الكلابية(١)، واستدلوا على هذا القول بأمور:

٢- إن الإيمان هو ما مات عليه الإنسان، والإنسان إنما يكون عند الله مؤمنًا وكافرًا باعتبار الموافاة، وما سبق في علم الله أنه يكون عليه، وما قبل ذلك لا عبرة به. قالوا: الإيمان الذي يتعقبه الكفر فيموت صاحبه كافرًا ليس بإيمان، كالصلاة التي يفسدها صاحبها قبل الكمال، وكالصيام الذي يفطر صاحبه قبل الغروب، وصاحب هذا هو عند الله كافر لعلمه بما يموت عليه. وكذا قالوا في الكفر، وهذا المأخذ مأخذ كثير من المتأخرين من الكلابية وغيرهم»(٢).

٢- الإيمان المطلق يتضمن فعل ما أمر الله به عبده كله، وترك المحرمات كلها، فإذا قال الرجل: أنا مؤمن بهذا الاعتبار، فقد شهد لنفسه بأنه من الأبرار المتقين القائمين بفعل جميع ما أمروا به، وترك كل ما نهوا عنه، فيكون من أولياء الله، وهذا من تزكية الإنسان لنفسه، وشهادته لنفسه بما لا يعلم، ولو كانت هذه الشهادة صحيحة لكان ينبغي له أن يشهد لنفسه بالجنة. فشهادته لنفسه بالإيمان كشهادته لنفسه بالجنة إذا مات على هذه الحال»(٣).

٣- الاستدلال بالنصوص التي ورد فيها الاستثناء في الأمور المحققة الثابتة.(٤)

قال الله تعالى:

﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَآءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾(٥).

---

(١) الكلابية: هم أصحاب أبي محمد عبد الله بن سعيد بن الكلاب، رأس المتكلمين في زمانه بالبصرة. انظر: سير أعلام النبلاء ١١/ ١٧٤.

(٢) الإيمان، ص ٤١٠-٤١١، فتاوى ٧/ ٤٢٩-٤٣٠.

(٣) الإيمان، ص ٤٣٦، فتاوى ٧/ ٦٦٨.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٥٢.

(٥) سورة الفتح، الآية: ٢٧.

وقال رسول اللّه ﷺ عند ما وقف على المقابر :

«وإنَّا إن شاء اللّه بكم لاحقون»[١] .

وقال ﷺ : «إني لأرجو أن أكون أخشاكم للّه»[٢] .

وبهذه الوجوه ذهب هؤلاء إلى وجوب الاستثناء في الإيمان .

القول الثالث: وهو القول بجواز الاستثناء دون الإيجاب، وهو قول السلف من أصحاب الحديث، وهذا أصح الأقوال في ذلك، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه :

«أما مذهب سلف أصحاب الحديث كابن مسعود[٣] وأصحابه، والثوري[٤]، وابن عيينة[٥]، وأكثر علماء الكوفة، ويحيى بن سعيد القطان[٦] فيما يرويه عن علماء أهل البصرة، وأحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عائشة رضي اللّه عنها في كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها. ١/ ٦٦٩.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصيام، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب. ٢/ ٧٨١.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) الثوري: هو سفيان بن سعيد الثوري، شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيد العلماء الربانيين في زمانه. قال شعبة: سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث، وقد ساد الناس بالورع، والعلم، وكان سفيان رأسًا في الزهد، والتأله، والخوف، رأسًا في الحفظ، رأسًا في معرفة الآثار، رأسًا في الفقه، لا يخاف في اللّه لومة لائم، من أئمة الدين. توفى سنة ١٦١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٢٩.

(٥) ابن عيينة: هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، الكوفي. ثقة، حافظ، فقيه، إمام، حجة. قال الإمام الشافعي: لولا مالك وسفيان بن عيينة لذهب علم الحجاز. مات في رجب سنة ١٩٨هـ. انظر: تقريب التهذيب ١/ ٣٨١، سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٥٤.

(٦) القطان: هو يحيى بن سعيد القطان، أمير المؤمنين في الحديث. ولد سنة ١٢٠هـ، وانتهت إليه إمامة الحديث في زمانه، وإمامة العلم، والعمل، ونقد الرجال. كان في الفروع على مذهب الإمام أبي حنيفة إذا لم يجد نصًا. مات سنة ١٩٨هـ. شذرات الذهب في أخبار من ذهب؛ لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ١/ ٣٥٥، سير أعلام النبلاء ٩/ ١٧٥.

فكانوا يستثنون في الإيمان، وهذا متواتر عنهم. لكن ليس في هؤلاء من قال: أستثني لأجل الموافاة. وإن الإيمان إنما هو اسم لما يوافي به العبد ربه، بل صرح أئمة هؤلاء بأن الاستثناء إنما هو؛ لأن الإيمان يتضمن فعل الواجبات، فلا يشهدون لأنفسهم بذلك. كما لا يشهدون لها بالبر والتقوى، فإن ذلك مما لايعلمونه، وهو تزكية لأنفسهم بلا علم»(١).

وهذا الاستثناء ليس لأجل الشك في أصل إيمانه، بل لأجل عدم الشهادة بالتزكية للنفس. قال اللّه تعالى:

﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾(٢).

والباحث يجد أن الشيخ الكشميري لم يذكر موقفه من الاستثناء في الإيمان، لكنه ذكر قولين: المنع والجواز، والذي اتضح لديه بعد التحقيق أن القول بالمنع بناء على التردد والشك في الإيمان، وهذا غير جائز لدى الجميع، والقول بالجواز بناءً على أن العبرة بالخواتيم. يقول الشيخ في ذلك:

«أما اختلافهم في جواز القول: أنا مؤمن إن شاء اللّه فلا يرجع بعد التحقيق إلى كثير طائل، فإن التردد في نفس إيمانه في الحالة الراهنة غير جائز عند الكل. والاستثناء باعتبار الخاتمة جائز عند الكل. فمن منعه فباعتبار الحالة الراهنة، ومن أجازه فبالنظر إلى الخاتمة، فإنه لا يعلم أحد على ماذا يختم له، على الإيمان، أو على الكفر والعياذ باللّه»(٣).

ولعلنا ندرك أن ماذكر الشيخ الكشميري هو نفسه موقف الأشاعرة من الاستثناء في الإيمان، فإنهم يحرمونه باعتبار الحال، ويجيزونه باعتبار المآل.

---

(١) الإيمان، ص ٤١٩، فتاوى ٧/ ٤٣٨، السنة، للخلال، تحقيق: د. عطية الزهراني ٣/ ٥٩٣، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ. الشريعة، للآجري ٢/ ٦٥٨.

(٢) سورة النجم، الآية: ٣٢.

(٣) فيض الباري ١/ ١٤٣-١٤٤.

يقول إمام الحرمين الجويني[١]:

«إن قيل: قد أُثر عن سلفكم ربط الإيمان بالمشيئة، وكان إذا سئل الواحد منهم عن إيمانه قال: إنه مؤمن إن شاء الله، فما محصول ذلك؟

قلنا: الإيمان ثابت في الحال قطعًا لاشك فيه، ولكن الإيمان الذي هو عَلَمُ الفوز وآية النجاة إيمان الموافاة فاعتنى السلف به، وقرنوه بالمشيئة، ولم يقصدوا التشكك في الإيمان الناجز»[٢].

فموقف الشيخ الكشميري من تعليل الاستثناء في الإيمان للجواز والمنع يوافق موقف الأشاعرة، ويختلف عن موقف السلف، كما اتضح من قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله. فالسلف لا يُجوّزون الاستثناء باعتبار الموافاة، بل يجوزون أن يستثنى الإنسان في إيمانه إذا سئل عنه قاصدًا تجنب تزكية نفسه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان مذهب السلف:

صرّح أئمة هؤلاء بأن الاستثناء إنما هو؛ لأن الإيمان يتضمن فعل الواجبات فلا يشهدون لأنفسهم بذلك، كما لا يشهدون لها بالبر والتقوىٰ، فإن ذلك مما لا يعلمونه، وهو تزكية لأنفسهم بلا علم . . . الى أن قال:

«أما الموافاة فما علمت أحدًا من السلف علل بها الاستثناء، لكن كثيرًا من المتأخرين يعلل بها من أصحاب الحديث من أصحاب أحمد ومالك والشافعي وغيرهم، كما يعلل بها نظارهم كأبي الحسن الأشعري وأكثر أصحابه، لكن

---

(١) إمام الحرمين الجويني: هو أبو المعالي شيخ الشافعية عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني. قال أبو سعد السمعاني: كان أبو المعالي إمام الأئمة على الإطلاق، مجمعًا على إمامته شرقًا وغربًا، لم تر العيون مثله، وحضر درسه الأكابر، والجمع العظيم من الطلبة، وتفقه به أئمة. توفى سنة ٤٧٨هـ. انظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٦٨.

(٢) كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لإمام الحرمين الجويني، تحقيق: د. محمد يوسف موسى، علي عبد المنعم عبد الحميد، ص ٤٠٠، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر.

ليس هذا قول سلف أصحاب الحديث»[1] .

ومنع الأشاعرة -والشيخ الكشميري منهم- الاستثناء باعتبار الحال؛ لأنه أمر ثابت مقطوع به، فلا معنى للاستثناء .

وأجابهم السلف بأنه قد ورد الاستثناء في ما هو مقطوع .

كقول اللّه تعالى :

﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَآءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[2] .

وبعد النظر في تعليل جواز الاستثناء في الإيمان عند أهل السنة والجماعة يبدو للباحث أن الاختلاف في هذه المسألة بين السلف والأشاعرة خلاف صوري، وما دام كلهم اتفقوا على أن الشكّ والتردد في الإيمان غير جائز، كما اتفقوا على أن العبرة في الإيمان والكفر بالموافاة، فلا معنى للاختلاف في تعليل الجواز، فالنتيجة واحدة، سواء قلنا بجواز الاستثناء تجنبًا عن تزكية النفس كما قال السلف، أو قلنا بالجواز باعتبار عدم العلم بالعاقبة كما قال الأشاعرة. واللّه أعلم .

---

(١) الإيمان، ص ٤١٩، فتاوى ٧/ ٤٣٩ .

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٧ .

المبحث الرابع

الصلة بين الإيمان والإسلام

الإيمان والإسلام بمعنى واحد أم أن بينهما فرقًا؟ هذه المسألة مما اختلف فيها السلف نظرًا لاختلاف فهمهم للنصوص التي وردت في هذا الموضوع.

واختلافهم يدور حول آراء ثلاثة:

الرأي الأول: الترادف.

لا فرق بين الإيمان والإسلام، وإنهما بمعنى واحد. وممن رآى هذا الرأي:

١- الإمام البخاري:

حيث بوّب في جامعه الصحيح، فقال: "باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة، وكان على الاستسلام أو الخوف لقوله تعالى: ﴿**قَالَتِ الأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَـكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا**﴾[١]. فإذا كان على الحقيقة، فهو على قوله -جل ذكره-: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلَـمُ**﴾[٢].

يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني[٣]:

«فحصل ما ذكره واستدل به أن الإسلام يطلق ويراد به الحقيقة الشرعية، وهو الذي يرادف الإيمان وينفع عند الله»[٤].

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة الخ. ١/ ١٢.

(٣) الحافظ ابن حجر: هو الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. ولد سنة ٧٧٣هـ، ولع بالأدب والشعر، ثم أقبل على الحديث، رحل إلى اليمن والحجاز لسماع الشيوخ، وعلت له شهرته وأصبح حافظ الإسلام في عصره، له تصانيف كثيرة جليلة، وأشهرها فتح الباري بشرح جامع البخاري. توفى سنة ٨٥٢هـ. انظر: الأعلام ١/ ١٧٣.

(٤) فتح الباري لابن حجر ١/ ٧٩.

٢- الإمام ابن مندة[١] :

حيث عقد لذلك بابًا في كتابه "الإيمان" ، فقال : «ذكر الأخبار الدالة والبيان الواضح من الكتاب أن الإيمان والإسلام اسمان لمعنى واحد، وأن الإيمان الذي دعا اللّه العباد إليه وافترضه عليهم هو الإسلام الذي جعله اللّه دينًا وارتضاه لعباده ودعاهم إليه، وهو ضد الكفر الذي سخطه ولم يرضه لعباده»[٢] .

٣- الحافظ ابن عبد البر[٣] **:** حيث قال :

«إن الذي عليه جماعة أهل الفقه والنظر أن الإيمان والإسلام سواء بدليل ما ذكرنا من كتاب اللّه عز وجل قوله : ﴿**فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾[٤] . وعلى القول بأن الإيمان هو الإسلام جمهور أصحابنا وغيرهم من الشافعين والمالكيين، وهو قول داود وأصحابه وأكثر أهل السنة والنظر المتبعين للسلف والأثر . . . إلى أن قال : والصحيح عندنا ما ذكرت لك»[٥] .

---

(١) الإمام ابن منده : هو أبو عبد اللّه محمد بن إسحاق ابن منده، إمام، حافظ، محدث، ولد سنة ٣١٣هـ، ورحل كثيرًا في طلب العلم، وله عدة مصنفات، توفى سنة ٣٩٥هـ. انظر : طبقات الحنابلة ٢/ ١٦٧، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٨ .

(٢) كتاب الإيمان، للحافظ محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده، تحقيق : د. علي بن محمد بن ناصر الفقهي ١/ ٣٢١، إحياء التراث الإسلامي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

(٣) ابن عبد البر : هو الإمام العلامة حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد اللّه بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي المالكي، صاحب التصانيف الفائقة، كان إمامًا دينًا، ثقة، متقنًا علامة، متبحرًا، صاحب سنة واتباع . مات سنة ٤٦٣هـ. انظر : سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٥٣ .

(٤) سورة الذاريات، الآية : ٣٥.

(٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، تحقيق : سعد أحمد أعراب، ٩/ ٢٥٠ .

الرأي الثاني: التفريق بين الإيمان والإسلام.

ومن رأى هذا الرأي:

١- الإمام الزهري[١]: حيث يرى "أن الإسلام الكلمة، والإيمان العمل"[٢].

٢- حماد بن زيد[٣]: كما روى عنه الإمام أحمد بن حنبل برواية منصور بن سلمة.[٤]

٣- الإمام أحمد بن حنبل: حيث قال عبد الملك الميموني: سألت أحمد بن حنبل أتفرق بين الإيمان والإسلام؟ فقال لي: نعم، قلت له: بأيّ شيء تحتج؟ فقال لي: قال الله عز وجل: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَـٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾[٥]»[٦].

الرأي الثالث: التلازم بين الإيمان والإسلام مع افتراق اسمهما:

وأن حالة اقتران الإسلام بالإيمان غير حالة إفراد أحدهما عن الآخر. فمثل الإسلام للإيمان كمثل الشهادتين إحداهما للأخرى، فشهادة الرسالة غير شهادة الوحدانية، فهما شيئان في الأعيان، ولكن إحداهما مرتبطة بالأخرى في المعنى والحكم كشيء واحد، كذلك الإيمان والإسلام، لا إيمان لمن لا إسلام له، ولا إسلام لمن لا إيمان له؛ إذ لا يخلو مؤمن من إسلام يتحقق به إيمانه،

---

(١) الزهري: هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري. أول من دون العلم (الحديث) وكتبه، وكان أعلم أهل المدينة، قال عمر بن عبد العزيز: ما ساق الحديث أحد مثل الزهري. توفى سنة ١٢٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٢٦.

(٢) كتاب الإيمان، لابن منده ١/ ٣١١.

(٣) حماد بن زيد: هو العلامة، الحافظ، الثبت حماد بن زيد بن درهم، من أئمة السلف، وأتقن الحفاظ وأعدلهم، وأعدمهم غلطًا على سعة ما روى. مات سنة ١٧٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٥٦.

(٤) كتاب الإيمان لابن منده ١/ ٣١١.

(٥) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

(٦) كتاب الإيمان لابن منده ١/ ٣١١.

ولا يخلو مسلم من إيمان يصح به إسلامه .

يقول ابن أبي العز :

«الحاصل أن حالة اقتران الإسلام بالإيمان غير حالة إفرادهما عن الآخر ، فمثل الإسلام من الإيمان كمثل الشهادتين، إحداهما من الأخرى، فشهادة الرسالة غير شهادة الوحدانية، فهما شيئان في الأعيان، إحداهما مرتبطة بالأخرى في المعنى والحكم كشيء واحد، كذلك الإسلام والإيمان، لا إيمان لمن لا إسلام له، ولا إسلام لمن لا إيمان له؛ إذ لا يخلو المؤمن من إسلام يتحقق به إيمانه، ولا يخلو المسلم من إيمان به يصح إسلامه»[١] .

والشيخ الكشميري يرى هذا التلازم بين الإيمان والإسلام مع الافتراق في مسماهما . فالإيمان محله القلب، والإسلام محله الجوارح، فإن رسخ الإيمان في القلب وظهرت آثاره على الجوارح بالأعمال الصالحة، فلا فرق حينئذ بينهما . يقول الشيخ الكشميري موضحًا رأيه :

«ما وضح لديَّ: أن الإيمان يتدرج من القلب إلى الجوارح على عكس الإسلام، فهما في مسافة واحدة ذهابًا وإيابًا، فإن ظهر الإيمان على الجوارح ورسخ الإسلام في القلب فهما واحد. وإن بقي الإيمان في القلب، واقتصر الإسلام على الجوارح فهما متغايران، وأعني باتحاد المسافة وسراية الإسلام إلى الباطن نسبة الإحسان، كما في حديث جبريل «أن تعبد اللّه كأنك تراه»[٢] .

فالعبادة التي هي من الجوارح إذا حصلت بحيث يجد العبد ربه بمرآى عينيه، فهذه أمارة على اتحاد المسافتين، فإن تلك الرؤية من صفات القلب، فإذا اجتمعت تلك الرؤية مع خشوع الجوارح، فقد اتحدت المسافتان، وحينئذ صار إيمانه عين إسلامه، وإسلامه عين إيمانه، لا فرق بينهما . وإلا فالإسلام

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٣٤٨ .

(٢) متفق عليه . رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان ١/ ١٨ .

على جـوارحـه والإيمان في قلبـه، لـم يسـر ذلك إلى باطنه، ولـم يَرْقَ هذا إلى ظاهره، والله تعالى أعلم بالصواب»[١].

ويذكر الشيخ الكشميري نفس هذه المسألة بعبارة أخرى، فهو يقول:

«إن الإيمان ينبسط من الباطن إلى الجوارح، والإسلام يدخل من الظاهر إلى الباطن. فإن التصديق إذا غلب واستعمل الأعضاء صار الإسلام والإيمان متحدين. وهو المراد باتحاد المسافتين، وإلى هذا المقام أشير في قوله -ﷺ-: «أن تعبد الله كأنك تراه». فإن العبادة التي تتعلق بالجوارح إذا صدرت عنها بذلك الخشوع والخضوع فقد خرج إيمانه إلى الأعضاء ودخل إسلامه في القلب. واتحدت المسافتان. وحينئذ فالإسلام والإيمان شيء واحد، بخلاف ما إذا بقي تصديقه في القلب، ولم يظهر إلى الأعضاء، واقتصر إسلامه على الأعضاء، ولم يحصل له الإحسان فبقي إسلامه على الأعضاء فقط، ولم يسر إلى القلب. فهذا الإسلام غير الإيمان، والإيمان غير الإسلام»[٢].

وهذا الرأي القائل بالافتراق مع التلازم الشديد بينهما هو الذي تجتمع عليه الأدلة بحيث إذا ذكر الإيمان منفرداً دخل فيه الإسلام لا محالة، كما في حديث وفد عبد القيس، جاء فيه قول الرسول -ﷺ- لهم: «آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس . . .»[٣].

وإذا ذكر الإسلام منفرداً دخل فيه الإيمان.

قال الله عزوجل:

---

(١) فيض الباري ١/ ٦٨، ٦٩.

(٢) فيض الباري ١/ ١٥٠-١٥١، ترجمان السنة ١/ ٤٩٩.

(٣) رواه البخاري عن ابن عباس في كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان، ١ ,١٩.

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[١] .

وقال تعالى :

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾[٢] .

فلا يمكن أن يكون هذا الإسلام المقبول إلا ملازمًا للإيمان . وإذا ذُكرا مجتمعين افترقا ، فيراد من أحدهما غير ما يراد من الآخر . كما جاء في حديث جبريل المشهور :

« . . . . قال : يا محمد أخبرني عن الإيمان . قال : أن تؤمن باللّه وملائكته وكتبه ورسله ، والقدر خيره وشره . قال : أخبرني عن الإسلام . فقال : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمدا رسول اللّه ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت . . . »[٣] .

والشيخ الكشميري وإن فرق بين الإيمان والإسلام ، وجعل هذا غير ذاك فجعل الإيمان يتعلق بالقلب والإسلام بالجوارح ، إلا أنه جعل بينهما تلازمًا في الوجود . إذ لا يمكن أن يوجد إيمان صحيح إلا ومعه الإسلام كنتيجة حتمية . كما أن الإسلام المعتبر المقبول عند اللّه لابد له من إيمان يصححه . وهذا الذي عبر عنه الشيخ الكشميري باتحاد المسافة .

وعلى هذا تجتمع النصوص كلها ، يقول ابن رجب[٤] في الجمع بين هذه

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٨٥ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٩ .

(٣) متفق عليه . رواه البخاري عن أبي هريرة في كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي ﷺ ١ / ١٨ ، برقم : (٥٠) . ورواه مسلم عن ابن عمر برقم : (١) .

(٤) ابن رجب : هو أبو الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ، الشهير بابن رجب . ولد في بغداد سنة ٧٣٦هـ ، ونشأ وتوفى في دمشق . يُعد ابن رجب من أقدر علماء عصره على التأليف ، فقد ألف في التفسير والحديث والفقه ، ومن كتبه : "جامع العلوم والحكم" ، في الحديث فتح الباري شرح صحيح البخاري . توفى سنة ٧٩٥هـ . انظر : شذرات الذهب ٦ / ٣٣٩ ، الأعلام ٤ / ٦٧ .

النصوص:

«وجه الجمع بين النصوص . . . يتضح بتقرير أصل، وهو أن من الأسماء ما يكون شاملاً لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه، فإذا قرن ذلك الإسم بغيره صار دالاً على بعض تلك المسميات، والاسم المقرون به دال على باقيها، وهذا كاسم الفقير والمسكين، فإذا أفرد أحدهما دخل فيه كل من هو محتاج، فإذا قرن أحدهما بالآخر دلَّ أحد الاسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات، والآخر على باقيها. فهكذا اسم الإيمان والإسلام إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده، فإذا قرن بينهما دلَّ أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده، ودل الآخر على الباقي»[(١)].

وهذا الرأي هو أقرب إلى الصواب -فيما يبدو للباحث- في هذه المسألة، وهو الذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.[(٢)]

---

(١) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، للإمام ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، ١/ ١٠٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السادسة ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

(٢) انظر: كتاب الإيمان، ص ١١، ١٥٣، ١٧٠.

الفصل السادس

التكفير

وتحته مبحثان:

المبحث الأول: الكفر وأنواعه.

المبحث الثاني: تكفير المتأولين.

المبحث الأول

الكفر وأنواعه

الكفر لغة:

الكفر معناه لغةً: تغطية الشيء وستره، وسُمِّي الفلاح كافرًا لتغطيته الحَبَّ بالتراب في الأرض، قال تعالى:

﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾(١).

وسمي الليل كافرًا لتغطيته كلَّ شيء. قال الشاعر الإسلامي لبيد بن ربيعة(٢):

حتى إذا ألقت يدًا في كافر وأجنَّ عورات الثغور ظلامُها.(٣)

والكفر: جحود النعمة، وهو نقيض الشكر، وكفّره تكفيرًا: نسبه إلى الكفر، أو قال له: كفرتَ بالله. وأكفره إكفارًا: حكم بكفره.(٤)

قال الجوهري نقلاً عن ابن السكيت:

«منه سمي الكافر؛ لأنه يستر نعم الله عليه»(٥).

ويوضح الشيخ الكشميري معنى الكفر لغةً قائلاً:

«الكفر لغةً: الستر وجحد النعمة وتناسيها... إلى أن قال: إن ضد الكفر الشكر»(٦).

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٠.

(٢) لبيد بن ربيعة: الشاعر المشهور، أدرك الإسلام، وهو صحابي جليل، كان فارسًا، شجاعًا، سخيًا. مات سنة ٤١هـ. انظر: الإصابة ٥/ ٦٧٥، البداية ٧/ ٢٢١.

(٣) لسان العرب ١٢/ ١٢١.

(٤) المصباح المنير للعلامة أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ٢/ ٥٣٥، لسان العرب ١٢/ ١٢١، الصحاح، للجوهري ٢/ ٨٠٨.

(٥) الصحاح، ٢/ ٨٠٨.

(٦) فيض الباري ١/ ٤٦.

الكفر اصطلاحًا:

عرف العلماء الكفر بتعريفات متعددة، وشيخ الإسلام ابن تيمية له عبارات متعددة عن تعريف الكفر الاصطلاحي، يقول:

«الكفر عدم الإيمان باتفاق المسلمين، سواء اعتقد نقيضه وتكلم به، أو لم يعتقد ولم يتكلم»(١).

ويقول أيضًا:

«الكفر عدم الإيمان بالله ورسله، سواء كان معه تكذيب، أو لم يكن معه تكذيب، بل شَكٌّ وريب أو إعراضٌ عن هذا كله حسدًا، أو كبرًا، أو اتباعًا لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة»(٢).

ويقول أيضًا:

«الكفر تارةً يكون بالنظر إلى عدم تصديق الرسول والإيمان به . . . وتارةً بالنظر إلى عدم الإقرار بما أخبر به»(٣).

ويقول أيضًا:

«كل من لم يقر بما جاء به الرسول فهو كافر، سواء اعتقد كذبه، أو استكبر عن الإيمان به، أو أعرض عنه اتباعًا لما يهواه، أو ارتاب فيما جاء به، فكل مُكَذِّب بما جاء به فهو كافر، وقد يكون كافرًا من لا يكذبه إذا لم يؤمن به»(٤).

وينقل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أقوال الفرق المختلفة في تعريف الكفر قائلاً:

«والناس لهم فيما يجعلونه كفرًا طرق متعددة، فمنهم من يقول: الكفر

---

(١) مجموع الفتاوي ٢٠/ ٨٦.

(٢) نفس المصدر ١٢/ ٣٣٥.

(٣) نفس المصدر ٧/ ٥٣٤.

(٤) نفس المصدر ٣/ ٣١٥.

تكذيب ما عُلم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ. ثم الناس متفاوتون في العلم الضروري بذلك. ومنهم من يقول: الكفر هو الجهل بالله تعالى، ثم قد يجعل الجهلَ بالصفة كالجهل بالموصوف، وقد لا يجعلها، وهم مختلفون في الصفات نفيًا وإثباتًا.

ومنهم من لا يحده بحد، بل كل ما تبين أنه تكذيب لما جاء به الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر جعله كفرًا ... إلى طرق أخرى»[(١)].

ويعرف العلامة ابن حزم الظاهري[(٢)] الكفر بتعريف جامع فهو يقول:

«هو في الدين صفة من جحد شيئًا مما افترض الله تعالى الإيمان به بعد قيام الحجة عليه ببلوغ الحق إليه بقلبه دون لسانه، أو بلسانه دون قلبه، أو بهما معًا أو عمل عملاً جاء النص بأنه مُخرِّج له بذلك عن اسم الإيمان»[(٣)].

ويقول في كتاب آخر:

«نقل الله تعالى اسم الكفر في الشريعة إلى جحد الربوبية، وجحد نبوة نبي من الأنبياء صَحَّت نبوته في القرآن، أو جحد شيء مما أتى به رسول الله ﷺ مما صح عند جاحده بنقل الكافة، أو عمل شيء قام البرهان بأن العمل به كفر»[(٤)].

---

(١) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لابن تيمية ٥/ ٢٥١، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٢) ابن حزم الظاهري: هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي، ولد سنة ٣٨٤هـ، نشأ في تنعم، ورفاهية، ورُزق ذكاء مفرطًا، وذهنًا سيالا، فصار متبحرًا عديم النظير، كان ينهض بعلوم جمة، ويجيد النقل، ويحسن النظم والنثر، ومصنفاته مفيدة، توفى سنة ٤٥٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٨٤.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ١/ ٤٩، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم ٣/ ٢٥٣، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

ويقول الشيخ الكشميري في تعريف الكفر:

«الكافر اسم لمن لا إيمان له»(١).

ويقول في مكان آخر:

«جحد شيء من ضروريات الدين، فمن جحد شيئًا واحدًا من الضروريات فقد آمن ببعض الكتاب وكفر ببعضه وهو من الكافرين»(٢).

وقد وضح الشيخ الكشميري المراد بالضروريات، فقال:

«والمراد بالضروريات على ما اشتهر في الكتب: ما علم كونه من دين محمد ﷺ بالضرورة بأن تواتر عنه واستفاض، وعلمته العامة كالوحدانية والنبوة، وختمها بخاتم الأنبياء، وانقطاعها بعده، . . . وكالبعث والجزاء، ووجوب الصلاة والزكاة، وحرمة الخمر، ونحوها.

سمي ضروريًا لأن كل أحد يعلم أن هذا الأمر مثلاً من دين النبي ﷺ، ولابد، فكونها من الدين ضروري وتدخل في الإيمان، لا يريدون أن الإتيان بها بالجوارح لابد منه كما يتوهم، فقد يكون استحباب شيء أو إباحته ضروريًا يكفر جاحده، ولا يجب الإتيان به، فالضرورة في الثبوت عن حضرة الرسالة، وفي كونه من الدين، لا من حيث العمل، ولا من حيث الحكم المتضمن، فقد يكون حديث متواترًا ويعلم ثبوته عنه ﷺ ضرورة، ولابد، ويكون الحكم فيه نظريًا من حيث العقل كحديث عذاب القبر، ثبوته عنه ﷺ مستفيض، وفهم كيفية العذاب مشكل»(٣).

ويقول في مكان آخر:

«المراد من الضرورة ما يعرف كونها من دين النبي ﷺ بلا دليل بأن تواتر

---

(١) إكفار الملحدين في ضروريات الدين، للكشميري، ص ٧١.

(٢) إكفار الملحدين، ص ٤.

(٣) إكفار الملحدين، ص ٢-٣، ملفوظات المحدث الكشميري، للسيد أحمد رضا بجنوي، ص٥٧.

عنه واستفاض حتى وصل إلى دائرة العوام، وعلمه الكوافُّ منهم، لا أن كلا منهم يعلمه وإن لم يرفع لتعليم الدين رأسًا، فإن جهله لعدم رغبته في الدين وعلمته العامة فهو ضروري كالوحدانية، والنبوة وختمها بخاتم الأنبياء، وانقطاعها بعده، والبعث والجزاء، وعذاب القبر»[١].

ويقول الشيخ الكشميري:

«الكافر اسم لمن لا إيمان له. فإن أظهر الإيمان فهو المنافق، وإن طرأ كفره بعد الإيمان فهو مرتد، وإن قال بإلهين أو أكثر فهو المشرك، وإن كان متدينًا ببعض الأديان والكتب المنسوخة فهو الكتابي، وإن قال بقدم الدهر وإسناد الحوادث إليه فهو الدهري، وإن كان لا يثبت الباري فهو المعطل، وإن كان مع اعترافه بنبوة النبي ﷺ يبطن عقائد هي كفر بالاتفاق فهو الزنديق»[٢].

ولا يخفى أن من الأفعال ما يقوم مقام الجحود والتكذيب كالعلائم المختصة بالكفر، والسجود للصنم، فمثل هذه الأفعال تُدخِل صاحبها في الكفر، وتخرجه عن دائرة الإيمان.

يقول الشيخ الكشميري عن مثل هذه الأفعال:

«إن بعض الأفعال تقوم مقام الجحود نحو العلائم المختصة بالكفر، وإنما يجب في الإيمان التبرؤ عن مثلها، كما يجب التبرؤ عن نفس الكفر؛ ولذا قال تعالى: ﴿لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾[٣] في جواب قولهم: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾[٤] لم يقل: إنما كذبتم في قولكم، بل أخبرهم بأنهم بهذا اللعب والخوض اللذَيْن من أخص علائم الكفر خلعوا ربقة الإسلام عن أعناقهم وخرجوا عن حماه إلى الكفر، فدلّ على أن مثل تلك الأفعال إذا

---

(١) فيض الباري ١/ ٦٩.

(٢) إكفار الملحدين، ٧١-٧٢.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٦٦.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٦٥.

توجد في رجل يحكم عليه بالكفر»[١].

ولدخول مثل هذه الأفعال في الكفر يقول الباجوري[٢] في تعريف الكفر:

«الكفر ضد الإيمان، فهو إنكار ما علم مجيء النبي ﷺ به من الدين بالضرورة أو ما يستلزمه»[٣].

ويقول الإيجي[٤]:

«المقصد الثالث في الكفر وهو خلاف الإيمان، فهو عندنا عدم تصديق الرسول في بعض ما علم مجيئه به ضرورة، فإن قيل: فشادّ الزُنَّار ولابس الغيار بالاختيار لا يكون كافراً، قلنا: جعلنا الشيء علامة للتكذيب فحكمنا عليه بذلك»[٥].

وما ذكره الشيخ الكشميري من أن تكذيب وجحد ما علم كونه من الدين بالضرورة كفر، هو مما أجمع عليه علماء أهل السنة والجماعة.

ويقول ابن حزم الظاهري[٦]:

«واتفقوا: أن من آمن بالله تعالى، وبرسوله ﷺ، وبكل ما أتى به عليه السلام، مما نقل عنه نقل الكافة، وشك في التوحيد، أو في النبوة، أو في محمد ﷺ أو في حرف مما أتى به عليه السلام، أو في شريعة أتى بها عليه السلام مما نقل عنه نقل الكافة، فإن من جحد شيئًا مما ذكرناه، أو شك في شيء

---

(١) فيض الباري ١/ ٥٠.

(٢) الباجوري: هو إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري شيخ الجامع الأزهر، من فقهاء الشافعية، تعلم في الأزهر، وكتب حواشي كثيرة، وتقلد مشيخة الأزهر ١٢٦٣هـ، واستمر إلى أن توفى ١٢٧٧هـ بالقاهرة. انظر: الأعلام ١/٦٦.

(٣) شرح جوهرة التوحيد، للباجوري، ص ٢٣٦.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) المواقف في علم الكلام للإيجي، ص ٣٨٨.

(٦) تقدمت ترجمته.

منه ومات على ذلك، فإنه كافر مشرك مخلد في النار أبدًا»[١].

يقول ابن عبد البر[٢]:

«وقد أجمعوا على أن مستحل خمر العنب المسكر كافر، راد على الله عز وجل خبره في كتابه، مرتد يستتاب، فإن تاب ورجع عن قوله وإلا استبيح دمه كسائر الكفار»[٣].

ويقول القاضي عياض[٤]:

«وكذلك أجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل، أو شرب الخمر، أو الزنا مما حرم الله - بعد علمه بتحريمه كأصحاب الإباحة من القرامطة وبعض غلاة الصوفية-. وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب، وأنكر قاعدة من قواعد الشرع، وما عرف يقينًا بالنقل المتواتر من فعل الرسول، ووقع الإجماع المتصل عليه، كمن أنكر وجوب الخمس الصلوات وعدد ركعاتها وسجداتها . . .»[٥].

ويقول ابن قدامة الحنبلي[٦]:

---

(١) مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، لابن حزم، ص ١٧٧، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) التمهيد ١/ ١٤٢-١٤٣.

(٤) القاضي عياض: هو القاضي أبو الفضل عياض بن موسى الأندلسي المالكي، من أهل العلم، والتفنن، والذكاء، والفهم، عالم بالحديث، والعلوم، والنحو واللغة، وكلام العرب، وأيامهم، وأنسابهم، سارت بتصانيفه الركبان، واشتهر اسمه في الآفاق، وأشهر كتبه: "الشفا بتعريف حقوق المصطفى". توفي سنة ٥٤٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢١٢.

(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي أبي الفضل عياض اليحصبي ٢/ ٢٨٧، دار الفكر، بيروت.

(٦) ابن قدامة: هو موفق الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي، كان إمامًا في التفسير وفي الحديث ومشكلاته، إمامًا في الفقه وأصوله، إمامًا في النحو والحساب. من كتبه: المغني عشر مجلدات، و"الكافي"، و"المقنع". توفي سنة ٦٢٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٦٥.

«ومن اعتقد حل شيء أجمع على تحريمه، وظهر حكمه بين المسلمين، وزالت الشبهة فيه للنصوص الواردة، كلحم الخنزير والزنا وأشباه هذا مما لاخلاف فيه كَفَرَ. وإن استحل قتل المعصومين وأخذ أموالهم بغير شبهة ولاتأويل فكذلك»[١].

وينقل شيخ الإسلام ابن تيمية إجماع الصحابة وأئمة الإسلام من بعدهم على هذا قائلاً:

«اتفق الصحابة على أن من استحل الخمر قتلوه . . . وهذا الذي اتفق عليه الصحابة، وهو متفق عليه بين أئمة الإسلام، لا يتنازعون في ذلك. ومن جحد وجوب بعض الواجبات الظاهرة المتواترة كالصلوات الخمس، وصيام شهر رمضان، وحج البيت العتيق، أو جحد تحريم بعض المحرمات الظاهرة المتواترة كالفواحش، والظلم، والخمر، والميسر، والزنا وغير ذلك، أو جحد حل بعض المباحات الظاهرة المتواترة كالخبز، واللحم، والنكاح، فهو كافر مرتد؛ يستتاب، فإن تاب وإلا قتل»[٢].

ويقول أيضًا:

«والإنسان متى حلل الحرام -المجمع عليه- أو حرم الحلال -المجمع عليه- أو بدل الشرع -المجمع عليه- كان كافرًا مرتدًا باتفاق الفقهاء»[٣].

ويقول ابن الوزير[٤]:

«واعلم أن أصل الكفر هو التكذيب المتعمد لشيء من كتب الله تعالى

---

(١) المغني لابن قدامة ٨/ ١٣١.

(٢) مجموع الفتاوى ١١/ ٤٠٤-٤٠٥.

(٣) مجموع الفتاوى ٣/ ٢٦٧.

(٤) ابن الوزير: هو محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى، مجتهد، باحث، من أعيان اليمن، تعلم بصنعاء وصعدة، ومكة. وأقبل في أواخر أيامه على العبادة. له كتب نفيسة، منها: "إيثار الحق على الخلق". مات بصنعاء سنة ٨٤٠هـ. انظر: البدر الطالع للشوكاني ٢/ ١٨١، الأعلام ٦/ ١٩١.

المعلومة، أو لأحد من رسله عليهم السلام، أو لشيء مما جاؤوا به إذا كان ذلك الأمر المكذب به معلومًا بالضرورة من الدين، ولا خلاف في أن هذا القدر كفر، ومن صدر عنه فهو كافر إذا كان مكلفًا مختارًا، غير مختل العقل، ولا مكره»[١].

وقد تكلم الشيخ الكشميري عن هذا الإجماع وأثبت أن إنكار الأمر المعلوم من الدين بالضرورة كفر.[٢] ووصل في النهاية إلى القول:

«لا نزاع في إكفار منكر شيء من ضروريات الدين»[٣].

وهذا هو ما ذهب إليه علماء أهل السنة والجماعة، كما ثبت بالنصوص الواردة.

---

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، لمحمد بن المرتضى اليماني، المشهور بابن الوزير، ص ٣٨٦، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٢) انظر: إكفار الملحدين، ص ٨١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٢.

أنواع الكفر

الكفر ضد الإيمان، فكما أن الإيمان له أصل وشعب، فكذلك الكفر له أصل وشعب.

الإيمان -كما سبق- أصله التصديق الإذعاني المستلزم للانقياد بالطاعات، والطاعات كلها من شعبه.

كذلك الكفر أصله الجحود والعناد المستلزم للاستكبار والعصيان، والمعاصي كلها من شعبه.

وقد سمى في النصوص كثير من المعاصي كفرًا، كما سمى كثير من الطاعات إيمانًا.

والكفر له نوعان:

أحدهما: الكفر الأكبر يخرج صاحبه من الإيمان بالكلية، وهو الكفر الاعتقادي المنافي لقول القلب وعمله أو لأحدهما.

ثانيهما: الكفر الأصغر ينافي كمال الإيمان، ولا ينافي مطلق الإيمان، وهو الكفر العملي الذي لا يناقض قول القلب، ولا عمله، ولا يستلزم ذلك.

والكفر الأكبر المخرج من الدين يتنوع أنواعًا عدة:

منها كفر الإنكار، وكفر الجحود، وكفر العناد، وكفر الشك، وكفر الإعراض، وكفر النفاق. وفيما يلي تعريف كل نوع من هذه الأنواع: -

١- **كفر الإنكار**: هو أن ينكر بقلبه ولسانه بأن لا يعرف الله أصلاً، ولا يعترف به.

٢- **كفر الجحود**: وهو أن يعرف الله بقلبه، ولا يقر به، ولا يعترف بلسانه. مثل: كفر اليهود، حيث إنهم جحدوا نبوة محمد ﷺ، وكتموا أمره، ووجود وصفه في كتابهم التوراة، قال الله تعالى فيهم:

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾[١] .

٣- كفر العناد : وهو أن يعرف اللّه بقلبه ويعترف ويقر بلسانه، ولكنه يأبى أن يقبل الإيمان استكباراً أو حميةً، ككفر إبليس، فإنه لم يجحد أمر اللّه ولا قابله بالإنكار، وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار .

قال اللّه تعالى :

﴿ إِلا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَـٰفِرِينَ﴾[٢] .

وككفر أبي طالب، فإنه صدق الرسول ﷺ ولكنه أخذته الحمية أن يرغب عن دين آبائه، حتى قال :

ولقد علمت بأن دين محمد　　　من خير أديان البرية دينًا
لولا الملامة أو حذار مسبة　　　لوجدتني سمحًا بذاك مبينًا

٤- كفر الشك : وهو أن لا يجزم بصدق الرسول، ولا يكذبه، بل يشك في أمره .

٥- كفر الإعراض : وهو أن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول ﷺ ، لا يصدقه ولا يكذبه، ولا يواليه، ولا يعاديه .

٦- كفر النفاق : وهو أن يظهر بلسانه الإيمان، وينطوي بقلبه على التكذيب ككفر عبد اللّه بن أبي سلول .[٣]

---

(١) سورة البقرة، الآية : ٨٩.

(٢) سورة البقرة، الآية : ٣٤.

(٣) انظر : ١- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية ١/ ٣٣٧-٣٣٨، تحقيق : محمد حامد الفقي .

٢- أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، ص ١٤٨-١٤٩، مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

٣- مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، لعثمان جمعة ضميرية، ص ٣٣٥، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، مكتبة السوادي للتوزيع، جدة .

وقد ذكر الشيخ الكشميري بعض أنواع الكفر، فقال:

«وهو كفر إنكار، وجحود، ومعاندة، ونفاق، فمن لقيه (اللّه عزوجل) بشيء من ذلك لم يغفر له.

أما كفر الإنكار: فهو أن يكفر بقلبه ولسانه، ولا يعتقد بالحق، ولا يقر به.

وأما كفر الجحود: فهو أن يعرف الحق بقلبه، ولا يقر بلسانه ككفر إبليس، وهو كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾[(١)]. يعني كفر الجحود.

وأما كفر المعاندة: فهو أن يعرف بقلبه، ويقر بلسانه، ولا يقبل، ولايتدين به، ككفر أبي طالب.

وأما كفر النفاق: فبأن يقر بلسانه ويكفر بقلبه»[(٢)].

ويقول في مكان آخر نقلاً عن الشيخ الشاه عبد العزيز الدهلوي[(٣)]:

«والكفر عدم الإيمان عما من شأنه ذلك التصديق، فمفهوم الكفر هو عدم تصديق النبي ﷺ فيما علم به مجيئه به ضرورة وهو بعينه ما ذكرنا من أن من أنكر واحداً من ضروريات الدين اتصف بالكفر، نعم عدم التصديق له أربع مراتب، فيحصل للكفر أيضًا أربعة أقسام:

الأول: كفر الجهل: وهو تكذيب النبي ﷺ صريحًا فيما علم مجيئه به مع

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٩.

(٢) فيض الباري ١/ ٧١.

(٣) الشاه عبد العزيز الدهلوي: هو المحدث العلامة عبد العزيز بن ولي اللّه بن عبد الرحيم الدهلوي، الملقب بسراج الهند، أو حجة اللّه. ولد سنة ١١٥٩هـ. كان فريداً في فضله، وآدابه، وعلمه، وذكائه، وفهمه، وسرعة حفظه، اشتغل بالتدريس والإفادة وسنه لم يتجاوز خمس عشرة سنة، قرأ عليه العلماء والفضلاء، وله مصنفات نالت إقبال وإعجاب الناس، منها: "فتح العزيز" في التفسير، و"تحفة اثنا عشرية" في الرد على الشيعة، و"بستان المحدثين" في التعريف بكتب الحديث وأصحابه، و"العجالة النافعة"، في أصول الحديث. توفي رحمه اللّه سنة ١٢٣٩هـ. انظر: نزهة الخواطر ٧/ ٢٦٨.

العلم -أي في زعمه الباطل- بكونه عليه السلام كاذبًا في دعواه، وهذا هو كفر أبي جهل وأضرابه.

والثاني: كفر الجحود والعناد: وهو تكذيبه مع العلم بكونه صادقًا في دعواه، وهو كفر أهل الكتاب لقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ الْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾[١]. وقوله: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[٢]. وكفر إبليس من هذا القبيل.

والثالث: كفر الشك: كما كان لأكثر المنافقين.

والرابع: كفر التأويل: وهو أن يحمل كلام النبي ﷺ على غير محمله أو على التقية ومراعاة المصالح ونحو ذلك»[٣].

وما ذكر الشيخ الكشميري من أنواع الكفر الأربعة هو موافق لما ذكره ابن الأثير[٤]، [٥] كذلك هو موافق لما ذكره الإمام البغوي[٦]، وأبو المظفر

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٦.

(٢) سورة النمل، الآية: ١٤.

(٣) إكفار الملحدين، ص ١٢٤.

(٤) ابن الأثير: هو مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري. ولد في جزيرة ابن عمر في سنة ٥١٤هـ، ونشأ بها، ثم تحول إلى الموصل. قال الإمام أبو شامة: قرأ الحديث، والعلم، والأدب، وكان رئيسًا مشاورًا، صنف "جامع الأصول" و"النهاية" و"شرحاً لمسند الشافعي"، وحدّث، وانتفع به الناس. وكان ورعًا، عاقلاً، بهيًا، ذا برّ وإحسان. توفي سنة ٦٠٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٨٨.

(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٤/ ١٨٦، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

(٦) البغوي: هو محي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، كان سيدًا إمامًا، عالمًا علامةً، زاهدًا قانعًا باليسير، له القدم الراسخ في التفسير، والباع المديد في الفقه، صاحب التصانيف كـ "شرح السنة" و"معالم التنزيل" و"الجمع بين الصحيحين". توفي سنة ٥١٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٣٩.

السمعاني[١]، يقول الإمام البغوي:

«والكفر على أربعة أنحاء: كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر عناد، وكفر نفاق. فكفر الإنكار: أن لا يعرف اللّه أصلاً ولا يعترف به.

وكفر الجحود: هو أن يعرف اللّه بقلبه ولا يقر بلسانه، ككفر إبليس، وكفر اليهود، قال اللّه تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾[٢].

وكفر العناد: هو أن يعرف اللّه بقلبه، ويعترف بلسانه، ولا يدين به، ككفر أبي طالب حيث يقول:

ولقد علمت بأن دين محمد   من خير أديان البرية دينًا
لولا الملامة أو حذار مسبة   لوجدتني سمحًا بذاك مبينًا

وأما كفر النفاق: فهو أن يقر بلسانه ولا يعتقد بالقلب. وجميع هذه الأنواع سواء في أن من لقي اللّه تعالى بواحد منها لا يغفر له»[٣]. وذكرمثله السمعاني.[٤]

---

(١) السمعاني: هو أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي، السمعاني، المروزي. ولد سنة ٤٢٦هـ، كان وحيد عصره في وقته، نشأ في بيئة العلم والزهد، تفقه بأبيه وصار من فحول أهل النظر، كان حافظًا، وبحرًا في الوعظ، من تصانيفه: كتاب "الاصطلام" وكتاب "البرهان". توفي سنة ٤٨٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٩/ ١١٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٨٩.

(٣) معالم التنزيل للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ١/ ٦٤، -تحقيق: محمد عبد اللّه النمر، عثمان جمعة ضميرية، سلمان مسلم الحرش-، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٤) تفسير القرآن للإمام منصور بن محمد بن عبد الجبار، أبو المظفر السمعاني ١/ ٤٥-٤٦ -تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، وأبي بلال غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

المبحث الثاني

تكفير المتأولين

التأويل يطلق على عدة معانٍ:

١- التفسير والبيان: ومن هذا الباب قول المفسرين في تفسير الآية: القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا...

٢- الحقيقة والعاقبة: ومن هذا قول الله تعالى: **﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾**(١). فالتأويل هنا هو فعلهم، وهو الرد إلى الكتاب والسنة.

٣- صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر يحتمله اللفظ لدليل يقترن به مع قرينة مانعة من المعنى الحقيقي(٢)، وهذا هو المراد في عرف المتأخرين من المتكلمين.

قضية التكفير بالتأويل من أهم المسائل الاعتقادية، ولقد ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن التأويل عذر مقبول إذا كان سائغًا، فلم يكفروا كل متأول بتأويله ولم يتركوا كل متأول يؤول حسب هواه، ويلعب بالنصوص الصحيحة.

يقول ابن حجر العسقلاني:

«قال العلماء: كل متأول معذور بتأويله، ليس بأثم، إذا كان تأويله سائغًا في لسان العرب»(٣).

والمراد بالتأويل في هذه القضية: هو التلبس والوقوع في الكفر بدون

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) انظر: رسالة الإكليل في المتشابه والتأويل، لابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٣/ ٢٧٠-٣١٣، كتاب التعريفات للجرجاني، ص ٣٨، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١/ ١٨٠.

(٣) فتح الباري ١٢/ ٣٠٤.

قصد وإرادة، وسببه هو القصور في فهم النصوص والأدلة الشرعية دون تعمد للمخالفة، بل قد يعتقد أنه على الحق والصواب.

ويقول العلامة ابن حزم الظاهري:

«ومن بلغه الأمر عن رسول اللّه ﷺ من طريق ثابتة وهو مسلم فتأول في خلافه إياه أو ردّ ما بلغه بنص آخر، فما لم تقم عليه الحجة في خطئه في ترك ماترك، وفي الأخذ بما أخذ فهو مأجور معذور لقصده إلى الحق وجهله به، وإن قامت عليه الحجة في ذلك فعاند، فلا تأويل بعد قيام الحجة»[(١)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه اللّه-:

«التكفير وهو من الوعيد، فإنه وإن كان القول تكذيبًا لما قاله الرسول ﷺ لكن قد يكون الرجل حديث عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة، وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص أو سمعها ولم تثبت عنده أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها وإن كان مخطئاً»[(٢)].

يقول الباحث عبد اللّه بن محمد القرني في رسالته:

«المقصود بالتأويل هنا التلبس والوقوع في الكفر من غير قصد لذلك، وسببه القصور في فهم الأدلة الشرعية دون تعمد للمخالفة، بل قد يعتقد أنه على حق»[(٣)].

وأحيانًا يكون الشخص حديث عهد بالإسلام أو نشأ ببادية فلم تبلغه النصوص، فلا يكفر مثله بتأويله حتى تقام عليه الحجة.

---

(١) الفصل في النحل والملل والأهواء لابن حزم ٣/ ٢٩٦-٢٩٧، كتاب الدرة فيما يجب اعتقاده لابن حزم، ص ٤١٤، تحقيق: د. أحمد بن ناصر بن محمد الحمد، د. سعيد بن عبد الرحمن ابن عبد الرحمن بن موسى القزفي، مكتبة التراث، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ٢٣١، ٢٨٣.

(٣) ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة لعبد اللّه بن محمد القرني، ص ٣٢٨، رسالة ماجستير.

وإذا ثبت أن التأويل عذر مقبول، فهذا لا يعني أن كل من ادعى التأويل فهو معذور على الإطلاق فهناك شروط لابد من مراعاتها، فيشترط أن لا يكون هذا التأويل في أصل من أصول الدين، وفي ما علم من الدين بالضرورة، فليس كل التأويل يعتبر تأويلاً سائغًا أو عذرًا مقبولا، فهناك من التأويل ما يعتبر سائغًا، ومنه ما ليس كذلك فلابد من مراعاة ذلك وعدم الخلط بينهما. وقد صرح بذلك علماء الإسلام.

يقول الغزالي[1]:

«ولابد من التنبيه على قاعدة أخرى: وهي أن المخالف قد يخالف نصًا متواترًا ويزعم أنه مؤول ولكن ذكر تأويله لا انقداح له أصلاً في اللسان، لاعلى بعد ولا على قرب، فذلك كفر، وصاحبه مكذب، وإن كان يزعم أنه مؤول. مثاله: ما رأيت في كلام بعض الباطنية إن اللّه تعالى واحد بمعنى أنه يعطي الوحدة ويخلقها، وعالم بمعنى أنه يعطي العلم لغيره ويخلقه، وموجود بمعنى أنه يوجد غيره، وأما أن يكون واحدًا في نفسه وموجودًا وعالمًا على معنى اتصافه، فلا. وهذا كفر صراح؛ لأن حمل الواحد على إيجاد الوحدة ليس من التأويل شيء، ولا تحتمله لغة العرب أصلاً. ولو كان خالق الوحدة يسمى خالقًا لخلقه الوحدة لسمى ثلاثًا وأربعًا؛ لأنه خلق الأعداد أيضًا، فأمثلة هذه المقالات تكذيبات عبر عنها بالتأويلات»[2].

كما يورد ابن الوزير[3] أمثلة للتأويل المردود مما لا يمكن أن يكون عذرًا لمن تلبس به، فيقول:

---

(١) زين الدين أبو حامد الغزالي، صاحب التصانيف الكثيرة والذكاء المفرط، له نحو مائتي كتاب، فيلسوف متصوف، ولد سنة ٤٥٠هـ، ومات سنة ٥٠٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٢٢، الأعلام للزركلي ٧/ ٢٢.

(٢) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، لأبي حامد الغزالي، ص ١٩٨، تحقيق: د. سليمان دينا، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.

(٣) ابن الوزير: تقدمت ترجمته.

«لا خلاف في كفر من جحد ذلك المعلوم بالضرورة، وتستر باسم التأويل فيما لا يمكن تأويله، كالملاحدة في تأويل جميع الأسماء الحسنى، بل جميع القرآن والشرائع والمعاد الأخروي من البعث والقيامة والجنة والنار»[١].

والشيخ الكشميري أيضًا سلك نفس هذا المسلك، فلم يقبل كل تأويل كما لم يترك كل تأويل، فكل تأويل لم يخالف قاطعًا من الكتاب والسنة والمعلوم بالضرورة من الدين، فهو مقبول عنده، وصاحبه معذور. وكل تأويل يخالف ويصادم قاطعًا أو المعلوم بالضرورة من الدين، فهو مردود، وصاحبه يكفر. ولقد أثبت الشيخ الكشميري موقفه هذا بالنقول من العلماء الأعلام في كتابه "إكفار الملحدين في ضروريات الدين"، يقول:

«ثم التأويل تأويلان: تأويل لا يخالف قاطعًا من الكتاب والسنة واتفاق الأمة، وتأويل يصادم ما ثبت بالقاطع، فذلك الزندقة، فكل من أنكر رؤية الله تعالى يوم القيامة، أو أنكر عذاب القبر، أو سؤال المنكر والنكير، أو أنكر الصراط والحساب، سواء قال: لا أثق بهؤلاء الرواة، أو قال: أثق بهم لكن الحديث مؤول، ثم ذكر تأويلاً فاسدًا لم يسمع من قبله، فهو الزنديق»[٢].

ويقول:

«والحق أن من أنكر متواترًا كفر، ومن لا فلا»[٣].

ويقول:

«أما المتواتر المكشوف المراد فصرفه عن ظاهره كفر، ولابد، وفي التنزيل: ﴿فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـكِنَّ الظَّـلِمِينَ بِئَايَـتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[٤]. »[٥]

---

(١) إيثار الحق، لابن الوزير، ص ٣٧٧.

(٢) إكفار الملحدين، ص ٤٤ - ٤٥.

(٣) نفس المصدر، ص ٣٥.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٣٣.

(٥) إكفار الملحدين، ص ١٢٠.

ويقول نقلاً عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري[١] تلميذ الحافظ ابن حجر العسقلاني:

«لا خلاف أن المتأول معذور بتأويله إن كان تأويلُه سائغًا، لا مطلق التأويل، فإنه لا يدفع القتل ولا يدفع الكفر أيضًا»[٢].

ويقول:

«إن إنكار القطعي كفر، ولا يشترط أن يعلم ذلك المنكر قطعيته ثم ينكر فيكون بذلك كافرًا - على ما يتوهمه الخائلون، بل يشترط قَطعيته في الواقع، فإذا جحد شخص ذلك القطعي استُتيب، فإن تاب وإلا قتل على الكفر، وليس وراء الاستتابة مذهب»[٣].

ويقول:

«التأويل في ضروريات الدين لا يدفع الكفر، وغاية ما يوسع فيه هو الإنذار والاستتابة، فإن تاب وإلا قتل كفرًا»[٤].

ويقول:

«إكفار المتأولين والملحدين أهم من إكفار المعاندين، فإن التأويل يتخذ دينًا بخلاف التعمد»[٥].

---

(١) زكريا الأنصاري: هو شيخ الإسلام أبو يحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري المصري الشافعي، من حفاظ الحديث. ولد سنة ٨٢٣هـ، وكُفَّ بصره سنة ٩٠٦هـ، نشأ فقيرًا معدمًا. قيل: كان يجوع في الجامع فيخرج بالليل يلتقط قشور البطيخ فيغسلها ويأكلها. ولما ظهر فضله تتابعت إليه الهدايا، تولى منصب القضاء، ثم عزل عنه، فعاد إلى اشتغاله بالعلم إلى أن توفى سنة ٩٢٦هـ. له تصانيف كثيرة، منها: "فتح الرحمن" في التفسير، و"تحفة الباري على صحيح البخاري". انظر: الأعلام ٣/ ٨٠.

(٢) إكفار الملحدين، ص ٣٣.

(٣) المصدر نفسه والصفحة.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٦.

(٥) المصدر نفسه والصفحة.

ويقول:

«مما ينبغي أن يعلم أن التأويل إنما يقبل في غير ضروريات الدين، أما في ضروريات الدين فلا يسمع»(١).

يتضح بهذه النصوص أن الشيخ العلامة الكشميري ينطلق في قضية التكفير بالتأويل منطلق أهل السنة والجماعة.

ويذكر الشيخ الكشميري سبب عدم قبول التأويل الباطل حيث إنه يقول:

«تأويل المتواتر ما لم يقم دليل قاطع عليه تجهيل للشارع، وإصلاح لخلل وقع منه، وهذا الاعتقاد لا يحتاج في التكفير به إلى وسط آخر، وهو بنفسه كفر»(٢).

وقد استدل الشيخ الكشميري على عدم قبول التأويل الباطل بأقوال وأفعال الرسول ﷺ حيث ما لم يعذر الصحابة رضي الله عنهم عند تأويلهم في غير محله. فعند ما استعمل رسول الله ﷺ عبد الله بن حذافة -رضي الله عنه- أميرًا على سرية وأمر المسلمين بأن يطيعوه، فأغضبوه في شيء فقال: اجمعوا لي حطبًا، فجمعوه، وأمرهم فأوقدوه، ثم قال: ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لي وتطيعوا؟ قالوا: بلى. قال: فادخلوها، فنظر بعضهم إلى بعض، وقالوا: إنما فررنا إلى رسول الله ﷺ من النار، فسكن غضبه، وطفئت النار، فلما قدموا على رسول الله ﷺ ذكروا له ذلك، فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها، إنما الطاعة في المعروف»(٣).

وعند ما شُجّ رأس أحد من الصحابة وأصابته الجنابة فأمروه بالغسل،

---

(١) فيض الباري ٤/ ٤٧٥.

(٢) إكفار الملحدين، ص ١٢٠.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية ٨/ ١٠٦، وصحيح مسلم، كتاب الأمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية ٢/ ١٤٦٩.

فاغتسل فمات، فلما أخبر الرسول ﷺ بذلك فقال: «قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذا لم يعلموا، فإنما شفاء العيّ السؤال»[١].

وعند ما بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد -رضي الله عنه- إلى بني جذيمة[٢] ليدعوهم إلى الإسلام، فلما ذهب إليهم ودعاهم إلى الإسلام لم يحسنوا أن يقولوا: "أسلمنا"، فجعلوا يقولون: "صبأنا"، فجعل خالد -رضي الله عنه- يقتل منهم ويأسر، ودفع كل رجل من السرية أسيره، ثم أمرهم ذات يوم أن يقتل كل رجل منهم أسيره، فأبى جماعة منهم ذلك، فيهم عبد الله بن عمر. حيث قال: «والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره». وعندما قدموا على رسول الله ﷺ وأخبروه بما حدث، رفع يديه وقال: «اللّهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد»، مرتين[٣]، وبعث رسول الله ﷺ عليًا فَوَدَى لهم قتلاهم، وزادهم فيها تطييبًا لنفوسهم وبراءة من دمائهم.[٤]

وعندما قتل أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- من قال: لا إله إلا الله، ظنًا منه أنه قالها متعوذًا، فقال رسول الله ﷺ: «أ قتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله. وما يزال يكررها حتى تمنى أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن لم يكن أسلم قبل ذلك اليوم.[٥]

ففي مثل هذه المواقع لم يعذر الرسول ﷺ بالتأويل؛ لأنه كان في

---

(١) انظر: سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب في المجروح يتيمم ١/ ٢٣٩، سنن ابن ماجه، كتاب الطهارة، باب في المجروح تصيبه الجنابة فيخاف على نفسه إن اغتسل ١/ ١٨٩.

(٢) كانوا بأسفل مكة من ناحية يلملم. فتح الباري ٨/ ٥٧.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة. ٥/ ١٠٧.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ١٤٨، دار صادر، بيروت.

(٥) انظر: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله. ١/ ٩٧.

غير محله. يقول الشيخ الكشميري:

«والشارع لم يعذر قط في تأويل باطل، فقال في أمر عبد اللّه بن حذافة أمير السرية من تحته بدخول النار: «لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة، إنما الطاعة في المعروف». وقال -ﷺ- في المشجوج رأسه حيث أمروه بالغسل فمات: «قتلوه قتلهم اللّه». وفي قتل خالد -بن الوليد- من قال: صبأنا، صبأنا، ولم يحسنوا أن يقولوا: "أسلمنا"، وفي قتل أسامة من قال: "لا إله إلا اللّه" فزعمها درءًا لنفسه . . . وغير ذلك من الوقائع . . . مما كان التأويل فيها في غير محله. [(١)]

---

(١) إكفار الملحدين، ص ١٢.

الفصل السابع

النبوات

تحته تمهيد، وخمسة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم النبوة والرسالة.

المبحث الثاني: الإيمان بنبوة محمد ﷺ.

المبحث الثالث: النبوة موهبة إلهية.

المبحث الرابع: الرد على منكري ختم النبوة

المبحث الخامس: موقف الشيخ الكشميري من القاديانية.

النبوات

تمهيد

الإيمان بنبوة الأنبياء، ورسالة الرسل، من أركان الإيمان، لا يتم الإيمان إلا بالإيمان بنبوة جميع الأنبياء، وتصديقهم كلهم في ما جاؤوا به، فمن آمن ببعض دون البعض فلا إيمان له، وقد وصف الله المؤمنين بهذا الوصف، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَـٰئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾[١].

ومعنى الإيمان بالرسل هو التصديق الجازم بأن لله عباداً اصطفاهم واجتباهم لإرشاد الخلق في معاشهم ومعادهم، منهم من سَمَّاهم الله، ومنهم من لم يسمهم. فيجب الإيمان على التفصيل بمن ذكرهم الله ورسوله، وعلى الجملة بمن لم يذكرهم الله ولا رسوله، قال تعالى:

﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾[٢].

والإيمان بنبوة محمد ﷺ هو الشطر الثاني من شهادة الإسلام، لا يصح الإيمان إلا به.

وإنما كان للإيمان بالنبوات هذه المنزلة والمرتبة؛ لأن معرفة الله على وجهها الصحيح، وفهم ما يريد الله من عباده، ويطالب منهم إنما يكون عن طريقهم وحدهم. والعقل البشري لا يستقل بإدراك هذه الأمور، ومن اعتمد على عقله فقط في مثل هذه الأمور فقد ضَلَّ وغوى.

يقول الداعية الإسلامي أبو الحسن علي الحسني الندوي:

«يلح القرآن على أن الأنبياء هم الأدلاء على ذات الله وصفاته الحقيقية، وهم الوسيلة الوحيدة لمعرفة الله تعالى المعرفة الصحيحة التي لا يشوبها جهل

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

ولا ضلال، ولا سوء فهم، ولا سوء تعبير. ولا سبيل إلى معرفة الله الصحيحة إلا ما كان عن طريقهم، لا يستقل بها العقل، ولا يغني فيها الذكاء، ولا تكفي سلامة الفطرة وحدة الذهن والإغراق في القياس والغنى في التجارب»[١].

فيجب علينا الإيمان بنبوة جميع الأنبياء كما يجب الإيمان بنبوة محمد ﷺ. يقول الشيخ الكشميري:

«والإيمان يجب علينا أيضًا بالأنبياء السابقين، لا نفرق بين أحد منهم»[٢].

ولقد صرف الشيخ الكشميري في آخر حياته اهتمامه البالغ بنبوة محمد ﷺ وختم النبوات بنبوته، والرد على من أنكرها، وبخاصة المتنبي مرزا غلام أحمد القادياني[٣] وأتباعه. وكان إثبات هذه العقيدة قلمًا ولسانًا وفكرًا هو الشغل الشاغل والهدف النبيل الذي كان يجري الشيخ الكشميري وراءه، ولا عجب في ذلك، فإن فتنة القاديانية كانت موضوع الساعة في حياته، وإثبات نبوة محمد ﷺ وختمها بنبوته إثبات لنبوة جميع الأنبياء من قبله، وصحة جميع الأمور التي وردت على ألسنتهم، وبذلك فقد أثبت الشيخ الكشميري نبوة جميع الأنبياء.

---

(١) النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، للندوي، ص ٢٦، دار القلم، دمشق، بيروت.

(٢) مشكلات القرآن، ص ١٠٤.

(٣) سيأتي الحديث عنه وعن القاديانية.

المبحث الأول

تعريف النبي والرسول

النبي والرسول لغةً:

النبوة لغةً لها ثلاثة اشتقاقات :

١- إما أن تكون مأخوذة من "النبأ" بمعنى الإخبار.[١] قال تعالى : ﴿ولَقَدْ جاءَكَ مِن نَّبَأ الْمُرْسَلِينَ﴾[٢].

٢- وإما أن تكون مأخوذة من "النبَاوة أو النَبْوة -بسكون الباء" بمعنى الرفعة والعلو.[٣]

٣- إما أن تكون مأخوذة من "النبي" بمعنى الطريق الواضح.[٤]

ولاخفاء أن النبوة الشرعية الاصطلاحية تشتمل على هذه المعاني اللغوية كلها، فنبي الله هو المنبئ عن الله تعالى والمخبر عنه، والنبي هو الرفيع المنزلة، والعالي القدر عند الله وعند المؤمنين، كما يصح أيضًا أن يكون النبي طريقًا إلى معرفة الله وطاعته. إلا أن أولى هذه المعاني وأقربها بلفظ النبوة الاصطلاحية هو اشتقاقها من لفظ "النبأ"؛ لأن النبي مُنْبَأ من الله، وهو كذلك ينبئ الناس عن الله، وتتحقق نبوته بمجرد ذلك، وبهذا التحقق تثبت له أوصاف العلو والرفعة، وكونه طريقًا إلى معرفة الله تعالى أيضًا.

ونرى مصداق ذلك ما يتردد في القرآن الكريم من إطلاق النبأ على الخبر. قال الله تعالى :

---

(١) لسان العرب ١٤/ ٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٤.

(٣) لسان العرب ١٤/ ٣٠، الصحاح ٦/ ٢٥٠٠.

(٤) لسان العرب ١٤/ ٣٠.

﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[١].

وقال عز وجل:

﴿قَالَتْ نَبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾[٢].

ولعل هذا يؤكد قرب اشتقاق النبوة من النبأ.

وإذا كان لفظ النبوة مشتقًا من "النبأ" فالنبي على زنة "فعيل" بمعنى اسم الفاعل أو اسم المفعول، كلا الاحتمالين وارد وصحيح، قال بالأول الإمام الآلوسي، كما ذهب إلى الثاني شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله.

يقول الإمام الآلوسي[٣] في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ﴾[سورة الأعراف، الآية: ١٥٧]:

«الذي أرسله الله لتبليغ الأحكام، (النبي) الذي أنبأ الخلق عن الله، فالأول تعتبر فيه الإضافة إلى الله، والثاني تعتبر فيه الإضافة إلى الخلق»[٤].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«فكذلك نبي الله، هو بمعنى مفعول، أي: مُنْبَأ الله الذي نَبَّأه الله، وهو أجود من أن يقال: إنه بمعنى فاعل، أي: مُنبِئ، فإنه إذا أنبأه الله فهو نبي الله، سواء أنبأ بذلك غيره أم لم ينبئه»[٥].

ولعل الراجح هو ما ذهب إليه شيخ الإسلام من أنه بمعنى اسم المفعول،

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٤٩.

(٢) سورة التحريم، الآية: ٣.

(٣) الآلوسي: هو محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، مفسر، محدث، أديب، من أهل بغداد، كان مجتهدًا، تقلد الإفتاء ببلده، ثم عزل وانقطع للعلم، من كتبه: "روح المعاني" في التفسير. توفي سنة ١٢٧٠هـ. انظر: الأعلام ٨/٥٣.

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي ٩/٧٨-٧٩، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت - لبنان.

(٥) النبوات، لابن تيمية، ص ٢٤٥، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

وذلك :

أولا : لأن النبي في اصطلاح الشرع يلاحظ فيه كونه مُنْبَأً عن اللّه، كما في تعريفه : "إنسان أوحي إليه . . . الخ ، فلأجل التنسيق بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي ينبغي أن يكون لفظ النبي فعيلاً بمعنى اسم المفعول .

ثانيًا : لأن النبي تظهر ميزته عن سائر البشر بكونه مُنْبَأً -بفتح الباء- عن اللّه تعالى، لا بكونه مُنبأ - بكسر الباء- الناس، فرجال الدعوة إلى اللّه من غير الأنبياء أيضًا ينبئون النَاس بدين اللّه، ولكنهم لم يكونوا منبَئين -بفتح الباء- عن اللّه .

الرسـول لغـةً:

الرسـول بمعنى المرسَل -بفتح السين- مأخوذ من الإرسال، بمعنى التوجيه .

جاء في لسان العرب : « . . . والإرسال : التوجيه، وقد أرسل إليه، والاسم الرِّسَالَةَ، الرَّسَالة، . . . والرسول بمعنى الرِّسالة يؤنث ويذكر، والرسول : المُرسَل» . [١]

يقول ابن الأنباري :

«إن الرسول معناه في اللغة الذي يتابع أخبار الذي بعثه أخذًا من قولهم : جاءت الإبل رَسَلاً ، أي : متتابعة»[٢] .

ويقول الراغب الأصفهاني[٣] :

«إن الرسول معناه المنبعث، وهو مأخوذ من الرسل، أي : الانبعاث على

(١) لسان العرب، مادة : (رسل) ١١/ ٢٨٣ .

(٢) المصدر نفسه ١١/ ٢٨٤ .

(٣) الأصفهاني : هو أبو القاسم حسين بن محمد بن المفضل، المعروف بالراغب، أديب، من الحكماء العلماء . من أهل أصبهان، سكن بغداد واشتهر . من كتبه : "المفردات في غريب القرآن" ، توفي سنة ٥٠٢هـ. انظر : الأعلام ٢/ ٢٧٩ .

التؤدة»[١].

ولا مانع عن كون هذه المعاني كلها - التوجيه، ومتابعة الأخبار، والانبعاث- ملحوظة في رسول الله، فهو قد بعثه الله ووجهه إلى عباده ليدعوهم إلى الله، وهو الذي يتابع الأخبار وسردها عن الله. وفي القرآن الكريم ما يشهد بذلك، قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام:

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَـٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٢].

وقال تعالى:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُو اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّـٰغُوتَ﴾[٣].

النبي والرسول اصطلاحًا:

لقد اختلف العلماء في تحديد معنى النبي والرسول شرعًا، هل هما بمعنى واحد، أم بينهما فرق؟ فمنهم من قال بعدم الفرق بينهما. فالنبي هو الرسول، والرسول هو النبي. ومنهم من يفرق بينهما.

وممن قال بعدم الفرق بينهما القاضي عبد الجبار من المعتزلة، وسعد الدين التفتازاني في أحد قوليه.

يقول القاضي عبد الجبار:

«إنه لا فرق في الاصطلاح بين الرسول والنبي»[٤].

ويقول التفتازاني:

---

(١) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص ١٩٥، تحقيق محمد سيد كيلاني، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٩.

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٤) شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار، ص ٥٦٧، تحقيق: د. عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة.

«النبي إنسان بعثه اللّه لتبليغ ما أوحي إليه، كذا الرسول»[١].

يتضح بهذه النصوص بأنه لا فرق بين الرسول والنبي.

وقال آخرون: إن هناك فرقًا.

يقول شارح الطحاوية:

«وقد ذكروا فروقًا بين النبي والرسول، وأحسنها: أن من نبأه اللّه بخبر السماء إن أمره أن يبلغ غيره فهو نبي ورسول، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره فهو نبي، ليس برسول، فالرسول أخص من النبي، ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها، فالنبوة جزء من الرسالة؛ إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها بخلاف الرسل، فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم. بل الأمر بالعكس، فالرسالة أعم من جهة نفسها وأخص من جهة أهلها»[٢].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه:

«النبي هو الذي ينبئه اللّه، وهو ينبئ بما أنبأه اللّه به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر اللّه ليبلغه رسالة من اللّه إليه، فهو رسول، وأما إذا كان يعمل بالشريعة قبله، ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن اللّه رسالة فهو نبي، وليس برسول»[٣].

ويقول السفاريني[٤] صاحب الأنوار البهية عن النبي والرسول:

«هو إنسان أوحي إليه بشرع، وإن لم يؤمر بتبليغه، فإن أمر بتبليغه فهو رسول أيضًا على المشهور، فبين النبي والرسول عموم وخصوص مطلق، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً»[٥].

---

(١) مقاصد الطالبين ٢/ ١٢٨.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ص ١٥٨.

(٣) النبوات، لابن تيمية، ص ٢٨١، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، للسفاريني ١/ ٤٩، ٢/ ٢٥٨.

ويقول العلامة الباجوري :

«عرفوا النبي بأنه إنسان، ذكر، حر، سليم عن منفر طبعًا، أوحي إليه بشرع يعمل به، وإن لم يؤمر بتبليغه، والرسول يعرف بهذا إلا أننا نقول : وأوحي إليه بشرع يعمل به وأمر بتبليغه»(١) .

يبدو من التعريفات السابق ذكرها أن الفارق بين النبي والرسول هو الأمر بالبلاغ، إن أمر بالتبليغ فهو رسول، وإلا فهو نبي . وهذا الفرق بعيد؛ لأن ترك البلاغ في الحقيقة هو كتمان لوحي اللّه تعالى، وهذا لا يتصور في نبي من أنبياء اللّه تعالى الذين هم صفوة خلق اللّه .

ولعل التعريف المختار في النبي والرسول أن يقال :

الرسول من أوحي إليه بشرع جديد، والنبي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله . (٢)

ولقد أحسن الدكتور أحمد بن ناصر في بيان الفرق بينهما، فهو يقول :

«إن من أتى بشرع جديد فهو نبي ورسول، ومن أتى بشرع قديم فينظر إلى حال قومه، فإن كانوا على ذلك الشرع ولم ينكروه ولا شيئًا منه فهذا المبعوث فيهم نبي فقط ؛ لأن من تبلّغ لا يبلغ، وإنما يدعى، وإن كانوا قد نسوه أو شيئًا منه، أوغيروا فيه، أو هو أتى بنسخ بعض أحكامه، أو كان الشرع قديمًا لكنه بالنسبة إليهم جديد فهو نبي ورسول، فالرسول مبلغ داعية، والنبي داعية فقط، حيث لا مجهول فيما أتى به قومه، وإنما كان منهم التقصير في العمل»(٣) .

ويبدو للباحث بأن القول بالفرق بين النبي والرسول هو أقرب إلى

---

(١) شرح جوهرة التوحيد، للعلامة الشيخ الباجوري، ص ١٧ ، مكتبة الغزالي، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

(٢) تفسير روح المعاني، للآلوسي ١٧/ ١٧٣ .

(٣) النبي والرسول للدكتور أحمد بن ناصر بن محمد الحمد، ص ١٤٨ ، مكتبة القدس - الزلفي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

الصواب، وذلك لأمور:

١- **دلالة العطف على التغاير:**

قال اللّه تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَـٰنُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾[١].

فعطف النبي على الرسول في هذه الآية الكريمة، والعطف يدل على التغاير في المعنى غالبًا، وهو من باب عطف العام على الخاص.

٢- **ومجيء هذين اللفظين صفتين لشخص واحد.**

قال تعالى:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَـٰبِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا﴾[٢].

وقال تعالى:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا﴾[٣].

ففي هاتين الآيتين جاء النبي والرسول صفتين لشخص واحد، وهذا يدل على اختلاف معناهما، وإلا لكان تكرارًا.

٣- اختلاف الأسماء يدل -في الغالب- على اختلاف المسميات.

٤- ما رواه الحاكم عن أبي ذر -رضي اللّه عنه- في حديث طويل، وفيه:

«قلت: يا رسول اللّه! كم النبيون؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي، قلت: كم المرسلون منهم؟ قال: ثلاث مائة وثلاثة عشر»[٤].

---

(١) سورة الحج، الآية: ٥٢.

(٢) سورة مريم، الآية: ٥١.

(٣) سورة مريم، الآية: ٥٤.

(٤) المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري ٢/ ٦٥٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٩/ ٤، وفي شعب الإيمان ١/ ١٤٩، وأبو داود الطيالسي في مسنده ص٤٧٨، والإمام أحمد في مسنده ٥/ ١٧٨، وقال الذهبي: الحديث من سائر طرقه فيه ضعف.

ينص هذا الحديث على الاختلاف في عدد الأنبياء والمرسلين، وهذا الحديث صريح في التفريق بين النبوة والرسالة.

والشيخ الكشميري أيضًا تعرض لهذه المسألة ونقل أقوال العلماء في ذلك، هو يقول:

«يرى البعض أن الرسول والنبي لفظان مترادفان كما ذهب إليه جمهور المعتزلة»(١).

ثم يذكر قول جمهور أهل السنة والجماعة فيقول:

«الرسول من أوتي كتابًا وشريعة جديدة، أو أرسل إلى قوم جديد بشريعة قديمة، والنبي من أوحي إليه، سواء كان صاحب شريعة أو لا.(٢)

يتضح بذلك أن الشيخ الكشميري أيضًا ممن يرى الفرق بين الرسول والنبي. وهذا هو الرأي الراجح - كما سبق بيانه.

---

(١) خاتم النبيين للكشميري، ص ٧

(٢) نفس المصدر، ص ٨.

المبحث الثاني

الإيمان بنبوة ورسالة محمد ﷺ

الإيمان بنبوة محمد ﷺ، وبأن اللّه أرسله إلى كافة الناس بشيراً ونذيراً أصل عظيم من أصول الإيمان، ولا يتم إيمان العبد حتى يؤمن بنبوة ورسالة محمد ﷺ.

والشهادة برسالة محمد ﷺ أحد فرعي أركان الإسلام، فقد صح عن ابن عمر -رضي اللّه عنهما- قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا اللّه، وأن محمداً رسول اللّه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»(١).

ويقرر الشيخ الكشميري هذه العقيدة بكل وضوح، فهو يقول:

«من الاعتقاد الواجب اللازم الإيمان بنبوة ورسالة محمد ﷺ بعد توحيد اللّه تعالى»(٢).

والإيمان بالرسول -ﷺ- من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، وتقرير هذه العقيدة مستفيض عند عامة الأمة فضلاً عن علمائها وفضلائها وأئمتها.

وقد قرر الشيخ الكشميري رحمه اللّه تعالى كون عقيدة النبوة من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، فقد عَرّف الشيخ الكشميري ضروريات الدين وأورد لها أمثلة متعددة من بينها: التوحيد والنبوة.

يقول الشيخ الكشميري:

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: بني الإسلام على خمس. ١/٨. ورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب أركان الإسلام ودعائمه. ١/٤٥.

(٢) ملفوظات الشيخ الكشميري، ص ٣٩٦، نقش دوام، ص ٣٦٦.

«المراد بالضروريات على ما اشتهر في الكتب ما علم كونه من دين محمد ﷺ بالضرورة، بأن تواتر عنه، واستفاض، وعلمته العامة، كالوحدانية، والنبوة، وختمها بخاتم الأنبياء، وهذا مما شهد الله به في كتابه، وشهدت به الكتب السابقة، وشهد به نبينا ﷺ، وشهد به الأموات أيضًا، كزيد بن خارجة الذي تكلم بعد الموت، فقال: محمد رسول الله النبي الأمي، خاتم النبيين، لانبي بعده، كان ذلك في الكتاب الأول، ثم قال: صدق صدق»(١).

يتضح من هذا النص أنه يجب الإيمان بالنبوة كما يجب الإيمان بالتوحيد، وأنهما متلازمان، لا ينفع الإيمان بتوحيد الله بدون الإيمان بنبوة محمد ﷺ، كما لا ينفع الإيمان بالنبوة بدون الإيمان بالتوحيد.

وهذا التلازم يوضحه شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول:

«لقد بين القرآن أن الرسل أمروا بعبادة الله وحده لا شريك له، ونهوا عن عبادة شيء من المخلوقات سواه، وأن أهل السعادة هم أهل التوحيد، وأن المشركين هم أهل الشقاوة، وبين أن الذين لم يؤمنوا بالرسل مشركون. فعلم

---

(١) إكفار الملحدين، ص ٢.

زيد بن خارجة صحابي جليل، وقد اشتهر عنه أنه تكلم بعد الموت. انظر: أسد الغابة، لابن الأثير ٢/ ١٦٢، الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني ٢/ ٤٩٨، الاستيعاب، لابن عبد البر مع الإصابة ١/ ١٣٢، يقول ابن عبد البر:

«وهو الذي تكلم بعد الموت، لا يختلفون في ذلك، وذلك أنه غشي عليه قبل موته وأسرى بروحه، فسجي عليه بثوبه، ثم راجعته نفسه، فتكلم بكلام حفظ عنه في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ثم مات من حينه». الاستيعاب ١/ ٥٤١، ومثله ذكر ابن الأثير. انظر: أسد الغابة ٢/ ١٦٢.

وانظر: حياة الصحابة للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي، تحقيق: الشيخ نايف العباس ومحمد علي دولة ٣/ ٥٨٨، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

وانظر: كتاب من عاش بعد الموت، تأليف: أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد، المعروف بابن أبي الدنيا، ص ١٦، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

أن التوحيد والإيمان بالرسل متلازمان، وكذلك الإيمان باليوم الآخر، فالثلاثة متلازمة، ولهذا يجمع بينهما في مثل قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُون بالآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُون**﴾[(١)]»[(٢)]

يتضح من هذا النص أن توحيد اللّه والإيمان برسله وباليوم الآخر أمور متلازمة؛ لا يتحقق واحد منهما بدون غيرهما.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٠.

(٢) مجموع الفتاوى ١٨/ ٥٥-٥٦.

المبحث الثالث

النبوة منحة إلهية.

إن النبوة والرسالة اصطفاء ونعمة ورحمة من اللّه، يمن اللّه بها على من يشاء من عباده، وليست هي صفة راجعة إلى نفس النبي، ولا هي درجة يمكن أن يبلغها أحد بعلمه، أو كسبه، أو مجاهداته، أو رياضاته النفسية والروحية.

يقول الشهرستاني(١) معبراً عن رأي علماء العقيدة في النبوة:

«النبوة ليست صفة راجعة إلى نفس النبي، ولا درجة يبلغ إليها أحد بعلمه وكسبه، ولا استعداد نفسه يستحق به اتصالا بالروحانيات، بل رحمة من اللّه، ونعمة يمن بها على من يشاء من عباده»(٢).

ويقول الآمدي(٣):

«ليست النبوة هي معنى يعود إلى ذات من ذاتيات النبي، ولا إلى عرض من أعراضه، استحقها بكسبه وعلمه، ولا إلى العلم بربه، فإنه ذلك مما يثبت قبل النبوة، ولا إلى علمه بنبوته، إذ العلم بالشيء غير الشيء، ولكن اللّه يمن على من يشاء من عباده. فليست إلا موهبة من اللّه تعالى، ونعمة منه على عبده، وهو قوله لمن اصطفاه واجتباه: إنك رسول ونبي»(٤).

ويعبر عن هذه العقيدة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه فيقول:

«والقول الرابع: وهو الذي عليه جمهور سلف الأمة وأئمتها وكثير من النظار إن اللّه يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس، واللّه أعلم حيث يجعل رسالاته، فالنبي يختص بصفات ميزه اللّه بها على غيره، وفي عقله، وفي

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) نهاية الإقدام في علم الكلام، للشهرستاني، ص ٤٦٢.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) غاية المرام، للآمدي، ص ٣١٧.

دينه، واستعد بها؛ لأن يخص الله بفضله ورحمته، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(٢).

وقال تعالى لما ذكر الأنبياء بقوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٣). فأخبر أنه اجتباهم وهداهم»(٤).

فعلماء أهل السنة والجماعة جميعًا يذهبون إلى أن النبوة موهوبة إلهية يمن الله بها على من يشاء من عباده، وهو أعلم حيث يجعل رسالته، وليست النبوة من أمور مكتسبة يكتسبها أحد بعلمه، وورعه، وزهده، وتعمقه في الروحانيات.

والشيخ الكشميري يذهب نفس هذا المذهب في النبوة، حيث يذهب إلى أنها ليست مكتسبة، ومن قال بأنها مكتسبة فهو زنديق، يقول:

«من قال: إن النبوة مكتسبة فهو زنديق»(٥).

ثم ينقل أقوال العلماء في هذه المسألة تأييدًا لما ذهب إليه، فيذكر قول

---

(١) سورة الزخرف، الآيتان: ٣١-٣٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٥.

(٣) سورة الأنعام، الآيات: ٨٤-٨٧.

(٤) منهاج السنة ٢/ ٤١٦-٤١٧، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٥) إكفار الملحدين، ص ١١٥.

ابن حبان فيقول :

«قال ابن حبان : من ذهب إلى أن النبوة مكتسبة لا تنقطع ، أو إلى أن الولي أفضل من النبي ، فهو زنديق يجب قتله لتكذيب القرآن وخاتم النبيين»[١] .

ثم يذكر قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيقول :

«قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وهؤلاء (الفلاسفة) عندهم النبوة مكتسبة ، وكان جماعة من زنادقة الإسلام يطلبون أن يصيروا أنبياء . والحاصل أن النبوة فضل من الله ، وموهبة ، ونعمة ، يمن بها سبحانه ، ويعطيها - لمن يشاء- أن يكرمه بالنبوة ، فلا يبلغها أحد بعلمه ، ولا يستحقها بكسبه ، ولا ينالها عن استعداد ولايته ، بل يخص بها من يشاء -من خلقه- . ومن زعم أنها مكتسبة فهو زنديق يجب قتله ؛ لأنه يقتضي كلامه واعتقاده أن لا تنقطع ، وهو مخالف للنص القرآني والأحاديث المتواترة بأن نبينا خاتم النبيين ، ولهذا قال : - إلى الأجل- يعني أن النبوة فضل من الله ونعمة يمن بها الرب الحكيم والعليم الكريم على من يشاء ، ويريد إكرامه بها . وكان ذلك ممتدًا إلى عهد الأب الأول الصفي آدم عليه الصلاة والسلام إلى أن بعث الخاتم النبي الحبيب محمدًا ﷺ»[٢] .

وأثبت الشيخ الكشميري أيضًا عدم كون النبوة مكتسبة بما فعله السلطان صلاح الدين من قتله الشاعر اليمني عمارة عند ما أنشد بيتًا قال فيه :

وكان مبدأ هذا الدين من رجل   سعى فأصبح يدعى سيد الأمم[٣]

---

(١) إكفار الملحدين، ص ١١٥ .

(٢) إكفار الملحدين، ص ١١٥-١١٦ ، انظر : لوامع الأنوار البهية للسفاريني. ٢/ ٢٦٨ .

(٣) انظر : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي . ١٣/ ٣٠٥ ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٩٤ ، البداية والنهاية ١٢/ ٢٧٦ .

فإنه جعل النبوة مكتسبة»[١] .

فالشيخ الكشميري يقرر بأن النبوة ليست مكتسبة، بل هي فضل ونعمة واصطفاء من اللّه، وهذا هو تقرير لما ذهب إليه علماء أهل السنة والجماعة .

بينما يذهب الفلاسفة إلى أن النبوة صفة نفسية فطرية، أو عرض طارئ، كما أنها يمكن أن تكتسب .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه :

«كان من أصلهم -الفلاسفة- أن النبوة مكتسبة»[٢] .

وينقل الإمام الغزالي عن الفلاسفة ما يدل على صحة ذلك، يقول :

«يقول الفلاسفة : إن النبوة لا ينالها إلا من بلغت نفسه الناطقة وروحه المجردة وقواها المختلفة مستوى خاصًا من القوة والصفاء، سواء كانت تلك القوة وذلك الصفاء ذاتيًا حاصلاً لها بأصل الفطرة والتكوين، أو كان ذلك ثمرة لمزاولته أنواعًا من الرياضات والمجاهدات»[٣] .

وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم وجدنا أن القول بأن النبوة ليست مكتسبة، وإنما هي اصطفاء وتفضل من اللّه تعالى، ومنحة منه -كما ذهب إليه الشيخ الكشميري- هو الحق .

قال اللّه تعالى :

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَـٰئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[٤] .

وقال تعالى مخاطبًا لموسى عليه الصلاة والسلام :

﴿قَالَ يَـٰمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِي وَبِكَلَـٰمِي فَخُذْ مَآ

---

(١) انظر : إكفار الملحدين، ص ١١٦، ونقش دوام، ص ١٩٥ .

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية ٤/ ٣٤ .

(٣) تهافت الفلاسفة للغزالي، ص ٢٢٦ .

(٤) سورة الحج، الآية : ٧٥ .

ءَاتَيْتُكَ وكُن مِّنَ الشَّـٰكِرِينَ﴾(١) .

وقال تعالى :

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَآءُ مِنْ عِـبَـاده وَمَـا كَـانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَـٰنٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَـتَـوكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾(٢) .

هذه الآيات تبين لنا بوضوح أن النبوة اصطفاء من اللّه، وتفضل، ومنحة منه على من يشاء من عباده؛ وليست مكتسبة. وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، وإليه ذهب الشيخ الكشميري رحمه اللّه.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٤.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ١١.

المبحث الرابع

ختم النبوة والرد على من أنكره

إن عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية -على صاحبها الصلاة والسلام- إحدى العقائد الإسلامية التي لا يتم إيمان المسلم بدون الإيمان بها.

يقول الشيخ الكشميري:

«ثم إن الأمة أجمعت على أن لا نبوة بعده -ﷺ- ولا رسالة إجماعًا قطعيًا. وتواترت به الأحاديث نحو مائتي حديث، فتأويله بحيث ينتفي به الختم الزماني كفر بلا شبهة»[١].

وهي السياج المنيع للأمة الإسلامية من كل وارد غريب أو متسلل مريب يريد أن يمزق وحدة الأمة، أو يصرفها عن دينها الصحيح.

وذلك لأن هذه العقيدة تعني استمرارية الإسلام والمسلمين وقيام الأمة الإسلامية برسالتها إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها. وهذه حقيقة إسلامية يجب على كل مسلم أن يعيها جيدًا، وقد اتخذ القرآن الكريم أساليب وطرقًا عدة لتقرير هذه الحقيقة وغرس هذه العقيدة في النفوس المسلمة.

وقد تعرضت هذه العقيدة لهجوم ماكر من أعداء الإسلام الذين أرادوا أن ينفذوا إلى تلك العقيدة ويفتحوا باب النبوة متخذين في ذلك شتى الأساليب قديمًا وحديثًا، وفي مطلع القرن العشرين الميلادي تعرضت هذه العقيدة -عقيدة ختم النبوة- لفتنة عمياء ظهرت في أرض "قاديان"[٢] بالهند، فقد قام المرزا غلام أحمد القادياني - بحماية من الاستعمار البريطاني الإنجليزي- بإثارة البلبلة والفوضى في هذه العقيدة القطعية الحتمية، وتطور في ادعاءاته المختلفة حتى انتهى به دوره إلى ادعاء النبوة وفتح باب النبوة على مصراعيه.

---

(١) عقيدة الإسلام في حياة عيسى، ص ٣٨٢.

(٢) اسم لبلدة في الهند.

وللشيخ الكشميري -رحمه اللّه تعالى- مع غيره من العلماء دور بارز وجهود مشكورة طيبة في مواجهة هذه الفتنة.

وقبل البدء بالحديث عن موقف الشيخ الكشميري عن هذه الفرقة أرى أن أتقدم بعرض نبذة موجزة عن هذه الفتنة ومؤسسها.

القاديانية ومؤسسها

ولادته ونسبه:

تنتمي "القاديانية" (١) إلى مؤسسها مرزا غلام أحمد القادياني، ولد القادياني سنة ١٨٣٩م أو ١٨٤٠م في قرية "قاديان" من مديرية "گُرداسپور" بالهند.

ويقول أبو الحسن علي الندوي:

«ينتمي المرزا غلام أحمد القادياني إلى السلالة المغولية، وإلى فرع من فروعها يسمى "برلاس" وظهر له متأخراً أنه من النسل الفارسي»(٢).

ثقافته:

تلقى المرزا مبادئ العلم وقرأ الكتب المتوسطة في المنطق والحكمة والعلوم الدينية والأدبية في داره على الأساتذة: فضل إلهي، وفضل أحمد، وگُل علي شاه، وعُرِف أيام الطلب بالعكوف على المطالعة والانقطاع إليها وإجهاد النفس حتى حملَ ذلك والدَه على الإشفاق على صحته. (٣)

وظيفته:

وفي عام ١٨٦٤م توظف المرزا في محكمة حاكم المديرية في مدينة

---

(١) انظر:

١- القادياني والقاديانية دراسة وتحليل، لأبي الحسن علي الحسني الندوي، الدار السعودية للنشر جدة.

٢- القاديانية والاستعمار الإنجليزي، للدكتور عبد الله سلوم السامرائي، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية.

٣- القاديانية دراسات وتحليل، لإحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور.

٤- نزهة الخواطر، لعبد الحي بن فخرين الدين الحسني، مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد.

(٢) القادياني والقاديانية، للندوي، ص ٢٢.

(٣) نفس المصدر، ص ٢٤ نقلا عن كتاب البرية، ص ١٤٩ - ١٥٠.

سيالكوث براتب يساوي ١٥ روبية هندية، واستمر على هذه الوظيفة أربع سنوات إلى عام ١٨٦٨م. قرأ خلال ذلك كتابين في الإنجليزية، ودخل في اختبار للحقوق وأخفق فيه.[١] واستقال من هذه الوظيفة عام ١٨٦٨م[٢]، وبعد أن استقال شارك والدَه في المحاكمات والقضايا التي كان مشغولا بها. وكان يتفرغ رغمًا عن ذلك لمطالعة كتب التفسير والحديث والتدبر في القرآن، كما يقول هو.[٣]

ويقول أبو الحسن علي الندوي:

«ونقل عنه الاشتغال بالعبادات والمجاهدات ومواصلة الصيام شهوراً، وجلس في خلوة "أربعين" في هوشيار بور سنة ١٨٨٦م، ومكث فيها عشرين يومًا أيضًا، ومنعه انحراف صحته وضعفه عن مواصلة هذه المجاهدات»[٤].

معيشته:

قد بدأ المرزا حياته في تقشف، وزهادة، فلما تبوأ الزعامة الدينية اتسع له العيش، وأقبلت عليه الدنيا، وأُغدقت عليه الأموال، وأصبح يعيش هو وأهله في نعيم وبذخ، وتصرف في الأموال تصرفًا مطلقًا.[٥]

زواجه:

تزوج المرزا زواجه الأول عام ١٨٥٢م أو عام ١٨٥٣م من أسرته، ورزق منها بولدين: أحدهما المرزا سلطان أحمد، والآخر المرزا فضل أحمد. وقد طلق هذه الزوجة عام ١٨٩١م. وتزوج زوجة ثانية، والقاديانيون يلقبون هذه الزوجة الثانية أم المؤمنين، وقد ولدت له سائر أولاده، منهم: خليفته

---

(١) سيرة المهدي لمرزا بشير أحمد ١/ ١٥٥-١٥٦، الطبعة الثانية سنة ١٩٣٥م.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣) كتاب البرية، لمرزا غلام أحمد، ص ١٥٥.

(٤) القادياني والقاديانية، للندوي ص ٢٦.

(٥) نزهة الخواطر للحسني ٨/ ٣٤٥.

المرزا بشير الدين محمود، والمرزا بشير أحمد، والمرزا شريف أحمد.

ولم يكتف بهذا الزواج، وإنما أخذ يفتش عن ثالثة وراح يستخدم تنبؤاته في الوصول إلى غايته هذه، فأعلن في عام ١٨٨٨م متنبئًا بأنه سيتزوج الفتاة "محمدي بيغم" وهي من أسرته، وقد أخبر أنه أمر قد قُضي في السماء، ونبَّأه اللّه مرارًا وتكرارًا، وتحدى عليه العالم، ولكن لم تتحق أمنيته، وتزوجت هذه الفتاة بشاب آخر وعاشا بعد وفاته مدة طويلة»(١).

وفاته:

وفي شهر مايو عام ١٩٠٨م أصيب المرزا بالهيضة الوبائية وهو في لاهور، وأعيا الداء الأطباء، ومات في الساعة العاشرة ونصف صباحًا، وكان ذلك في اليوم السادس والعشرين من مايو سنة ١٩٠٨م، ونقلت جثته إلى قاديان حيث دفن في المقبرة التي سماها بمقبرة الجنة (بهشتي مقبرة).(٢)

صلته بالانجليز:

بعد النظرة العابرة على حياة القادياني أرى أن أقدم صلته بالإنكليز التي كان لها أثر كبير في تكوين شخصيته.

منذ دخول الإنكليز الهند، وسقوط الهند تحت الاستعمار الإنجليزي فلم يكن الإنجليز يَقرّ لهم قرار لما يواجهون من ثورات وحركات داخلية تطالب بجلائهم عن الهند، وكان في مقدمة هذه الحركات التحررية المسلمون، مما أفزع الإنجليز، وأقضَّ مضاجعهم، وجعلهم يبحثون عن طريق يقاومون به هذه الحركات الجهادية التي تثار ضدهم من قبل المسلمين. فوجدوا في القادياني بغيتهم.

وكانت أسرة القادياني على ولاء تام للإنجليز وأعوانهم، ولها دور كبير في القضاء على تلك الثورات التي كانت تقاد من قبل المسلمين ضد الإنجليز،

---

(١) القادياني والقاديانية، للندوي ص ٢٨، نقلاً عن سيرة المهدي لمرزا بشير أحمد ١/ ٥٣.

(٢) القادياني والقاديانية، للندوي ص ٢٨-٢٩.

يقول آغا شورش كشميري:

«انضم المرزا غلام قادر (أخو المتنبي) إلى الجيش الإنجليزي الذي كان تحت إمرة الجنرال نكلسون، وكان مسؤولاً عن قمع الثوار المسلمين في الانتفاضة التحريرية الكبرى عام ١٨٥٧م.»[١].

وكان موقف المرزا غلام مرتضى والد مؤسس القاديانية «أنه قدم فرقة مؤلفة من خمسين فارسًا لمساعدة الحكومة الإنجليزية في ثورة عام ١٨٥٧م، وتلقى على ذلك رسائل شكر وتقدير من رجال الحكومة، وكان غلام قادر بجوار الإنجليز على جبهة من جبهات حرب الثورة»[٢].

وكون المرزا وأتباعه أداةً للاستعمار البريطاني أمر بيّن، بحيث لا يعترف به المرزا فحسب بل يصرح به بكل فخر ومباهاة في كتاباته وتأليفاته، ويقرر أنه غرس الإنجليز، وأن الحكومة البريطانية ولية النعمة، ورحمة إلهية.

يقول المرزا:

«لقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية ونصرتها، وقد ألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولي الأمر (الإنجليز) من الكتب والإعلانات والنشرات ما لو جمع بعضها إلى بعض لملأ خمسين خزانة، وقد نشرت جميع هذه الكتب في البلاد العربية ومصر والشام وتركيا، وكان هدفي دائمًا أن يصبح المسلمون مخلصين لهذه الحكومة، وتمحى من قلوبهم قصص المهدي السفاك والمسيح السفاح والأحكام التي تبعث فيهم عاطفة الجهاد وتفسد قلوب الحمقى»[٣].

ويقول في محل آخر:

«ولا يخفى على هذه الدولة المباركة أنا من خدامها ونصحائها، ودواعي

---

(١) القاديانية والاستعمار الإنجليز، لعبد الله سلوم السامرائي، ص ٢١، نقلاً عن خونة الإسلام لآغا شوش كشميري، ص ٣.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣) ترياق القلوب، للمرزا، ص ١٥.

خيرها من قديم، وجئناها في كل وقت بقلب صميم، وكان لأبي عندها زلفى وخطاب التحسين، ولنا لدى هذه الدولة أيدي الخدمة»[١].

تطور القادياني في دعاويه:

ظهر المرزا القادياني - في أول أمره مدافعًا ومحامياً عن الإسلام، ومظهراً لفضله وشرعه وراداًّ على الديانات السائدة في الهند كالمسيحية[٢]، والآرية[٣]، والبرهمية[٤]، وألف كتابًا سماه "براهين أحمدية" وتكفل أن يجمع فيه دلائل على صدق الإسلام، وادعى فيه لأول مرة أنه مأمور من اللّه لإقامة حجة الإسلام، قد صرح فيه قائلا:

«لقد كلفني اللّه إصلاح الخلق بمسكنة وتواضع، وفقر وتذلل، على طريقة النبي الناصري الإسرائيلي (المسيح). وقد ألفت لهذا الغرض كتاب "براهين أحمدية" التي ظهرت منه ٣٧ مَلْزَمةً[٥]. وأنا مرسل نسخة من هذا الكتاب، وقد بَشَّرني اللّه أن كل من يقرأ هذه الرسالة الموجهة إليه ثم لا يقر بالحق يكتب له الهزيمة والخذلان»[٦].

لما ظهر هذا الكتاب إلى ساحة الوجود فتوسم بعض العلماء الربانيين أن مؤلف هذا الكتاب سيدعي النبوة وأنكروا ما اشتمل عليه الكتاب من إلهامات وكشوف. [٧]

وفي سنة ١٨٨٦م ألف المرزا كتابًا ثانيًا في الرد على الديانة الآرية، وكان موضوع الكتاب معجزة شق القمر وثبوتها عقلاً ونقلاً، وقد دافع عن هذه

---

(١) نور الحق، للمرزا، ص ٢٧-٢٨.

(٢) ديانة نصرانية أنزلت على عيسى عليه السلام مكملة لرسالة موسى عليه السلام.

(٣) منظمة هندوسية متعصبة منسوبة إلى زعيمها "ديانند سرسوتي".

(٤) ديانة وضعية هندوسية منسوبة إلى برهما.

(٥) مَلْزَمة -بفتح الميم- بمعنى جزء من الكتاب.

(٦) براهين أحمدية، للمرزا ١/ ٨٢-٨٣.

(٧) القادياني والقاديانية، للندوي، ص ٤٨.

المعجزة وعن غيرها من المعجزات دفاعًا قويًا، وأثبت ثبوتها عقلاً.

وبهذين الكتابين - اللذين كان لهما صدى في الأوساط الإسلامية وغير الإسلامية- جلب المرزا أنظار الناس إليه، وتهيأ له الجو، وتمهد له الطريق، وانتشر ذكره في الآفاق، فادعى عام ١٨٩١م أنه مثل المسيح، ثم انتقل إلى أنه المهدي والمسيح الموعود، يقول المرزا بعبارة صريحة:

«إن المسلمين والنصارى يعتقدون باختلاف يسير أن المسيح بن مريم قد رفع إلى السماء بجسده العنصري، وأنه سينزل من السماء في عصر من العصور، وقد أثبتُّ في كتابي يعني: "فتح الإسلام" أنها عقيدة خاطئة، وقد شرحت أنه ليس المراد من النزول هو نزول المسيح، بل هو إعلام على طريق الاستعارة بقدوم مثيل المسيح، وأن هذا العاجز هو مصداق هذا الخبر حسب الإعلام والإلهام»(١).

وجعل الأحاديث والآثار الواردة في نزول المسيح -عليه السلام- يؤولها ويطبقها على نفسه.

وأخيرًا ادعى المرزا النبوة ولكن خوفًا من غضب وسخط المسلمين عليه فقد مشى في الدرب للنبوة خطوة خطوة ومرحلة مرحلة، يوضح الأستاذ الندوي مشيته هذه قائلا:

«وكان يمشي خطوة خطوة، وينتقل من مرحلة إلى مرحلة، فتراه يتكلم عن الإلهام والعلم الباطني، والعلم اليقيني كمنزلة طبعية يصل إليها الإنسان بلزوم متابعة النبي ﷺ والاضمحلال فيه. ويتكلم عن صفات النبوة وخصائصها -من غير أن يصرح بكلمة "النبوة" و"النبي" الذي يجمع هذه الخصائص والصفات- وحصول ذلك لأفراد الأمة على طريق التبعية والوساطة»(٢).

---

(١) توضيح المرام، للمرزا، ص ٢.

(٢) القادياني والقاديانية، ص ٦٧.

وفي عام ١٩٠٠م لقد حدث الحادث المرتقب فجاء الإعلان والتصريح بنبوة المرزا غلام أحمد. ويشرح المرزا بشير الدين محمود(١) انتقال أبيه من المسيحية إلى النبوة قائلاً:

«وبالجملة كان سيدنا المسيح الموعود يعتقد في بداية الأمر أن كلمة النبي تطلق على رجل يأتي بشريعة جديدة أو ينسخ بعض الأحكام، أو يكون نبيًا بلا واسطة، لذلك كان -رغم أن جميع الشروط التي تشترط للنبي كانت موفورة فيه- يأبى أن يتسمّى بالنبي، ومع أنه كان يدعي جميع الخصال التي يتصف بها الإنسان بالنبوة، ولكنه لاعتقاده أنها شروط المحدث، لا شروط النبي كان يسمى نفسه بالمحدث، ولم يكن يشعر أنه يصف نفسه بصفات لا توجد في غير الأنبياء ثم ينكر النبوة، لكن لما فطن أن وصفه لنفسه وكيفية دعواه لا تنطبق على المحدثية، إنما تنطبق على النبوة أعلن نبوّته في صراحة»(٢).

لقد وقع تصريح المرزا بالنبوة لأول الأمر بشكل غير مباشر حتى يسهل عليه التراجع عنها.

يحدثنا الشيخ الندوي عن طرح هذه النبوة قائلا:

«في عام ١٩٠٠م ألقى الشيخ عبد الكريم(٣) خطبة الجمعة ذكر فيها أن المرزا غلام أحمد مرسل من الله، والإيمان به واجب، والذي يؤمن بالأنبياء ولا يؤمن به يفرق بين الرسل، ويخالف قوله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿**لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ**﴾(٤).

إن هذه الخطبة قد أثارت ضجة وبلبة بين المسلمين، فأعاد الشيخ

---

(١) هو: نجل المرزا الأكبر.

(٢) حقيقة النبوّة، للمرزا بشير الدين محمود، ص ١٢٤، طبعة ١٩١٥م.

(٣) الشيخ عبد الكريم من كبار القاديانية، وكان هو ونور الدين جناحان للمرزا يطير بهما كما يقول هو، كان خطيب الجمعة وإمام الصلوات، وكاتب السر. كان شديد الحب للمرزا. مات في مرض السرطان في حياة المرزا.

(٤) القادياني والقاديانية، ص ٦٨.

عبدالكريم هذه القضية في خطبة الجمعة التالية، وجلس ينتظر الانتهاء من الصلاة لكي يسأل المرزا القادياني ويأخذ عنه الجواب الفصل فخاطبه قائلاً:

«أنا أعتقد أنك نبي ورسول، فإن كنتُ مخطئًا نبهني على ذلك، ولما انتهوا من الصلاة وهمّ المرزا بالانصراف أمسك المولوي بذيله وطلب منه الحكم، فأقبل إليه المرزا وقال: هذا الذي أدين به وأدعيه»[١].

وعند ما ارتفع الصوت لدى المناقشة في هذا الموضوع بين الشيخ عبدالكريم ومخالفيه خرج المرزا من بيته وقال: يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي»[٢].

إن استعمال المرزا لهذه الآية كان تصريحًا كاملاً لنبوته.

ونتيجة لادعائه النبوة طالب الآخرين الإيمان بنبوته، ومن لا يؤمن به حكم عليه بالكفر والعصيان، فقال:

«كل من بلغته دعوتي فلم يحكمني، ولم يؤمن بأني المسيح الموعود، ولم يؤمن بأن الوحي ينزل عليّ من اللّه هو مسؤول ومحاسب من السماء وإن كان مسلمًا؛ لأنه قد رفض الأمر الذي وجب عليه قبوله»[٣].

ولم يقتصر المرزا على التنبؤ بل جاء في كلامه ما يدل على تفوقه على أكثر الأنبياء، وجمعه لما تفرق في أنبياء كثيرين. يقول في كتابه الشهير "براهين أحمدية":

«لقد أعطيت نصيبًا من جميع الحوادث والصفات التي كانت لجميع الأنبياء، سواء كانوا من بني إسرائيل أو من بني إسماعيل، وما من نبي إلا أوتيت قسطًا من أحواله أو حوادثه»[٤].

---

(١) القادياني والقاديانية ص ٦٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٩.

(٣) تحفة الندوة، للمرز، ص ٤، مطبع ضياء الإسلام، قاديان، ١٩٠٢م.

(٤) براهين أحمدية ٥/ ٨٩.

ويقول:

«لقد أراد الله أن يتمثل جميع الأنبياء والمرسلين في رجل واحد، وإنني ذلك الرجل»[١].

ولم يقف المرزا عند هذا الحد، بل جاء بكلام يشعر بأفضليته على محمد ﷺ، يقول:

«وآتاني ما لم يؤت أحدًا من العالمين»[٢].

ويقول:

«إني فضلت على العالمين، قل إني أرسلت إليكم جميعًا»[٣].

وينشد متفاخراً ومتطاولاً على نبينا محمد ﷺ:

له خسف القمر المنير وإن لي　　　غسا القمران المشرقان أ تنكر؟

وكان كلام معجز آية لـــــه　　　كذلك لي قول على الكل يبهر[٤]

هذه دعاوي المرزا أحمد القادياني المضطربة أو نقول: إنها بعض ترّهاته تدل دلالة قوية على اختلال وهوس في قواه العقلية.

وإن مما يدل على صلته القوية بالإنجليز وعدائه للمسلمين إلغاؤه الجهاد الإسلامي، فإن أهم شيء كان يفزع الإنجليز هو الجهاد الذي يعلنه المسلمون لحربهم، وقد أعلن القادياني إلغاءه، وأنه لم يعد الوقت وقت جهاد بالسيف، بل جهاد اللسان فقط مع التركيز على عدم جواز قتال الإنجليز، وإطاعتهم والولاء لهم. يقول في كتابه "الأربعين":

---

(١) نفس المصدر، ص ٩٠.

(٢) ملحق حقيقة الوحي، للمرزا، ص ٨٧.

(٣) تذكرة وحي مقدس، للمرزا غلام أحمد، ص ١٢٩، الشركة الإسلامية بربوة - باكستان.

(٤) عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية، للدكتور أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، نقلاً عن در ثمين للمرزا، ص ٢٦٦، مطبعة وزير هند، أمر تسر.

«لقد ألغى الجهاد في عصر المسيح الموعود إلغاءً باتًا»[١].

ويقول أيضًا:

«لقد آن أن تفتح أبواب السماء، وقد عطل الجهاد في الأرض، كما جاء في الأحاديث أن الجهاد للدين يحرم في عصر المسيح، فيحرم الجهاد من هذا اليوم، وكل من يرفع السيف للدين ويقتل الكفار باسم الغزو والجهاد يكون عاصيًا للّه ولرسوله»[٢].

ويقول:

«إن الفرقة الإسلامية التي قلدني اللّه إمامتها وسيادتها تمتاز بأنها لا ترى الجهاد بالسيف ولا تنتظره، بل إن الفرقة المباركة لا تستحل سرًا كان أو علانية، ويحرمه تحريمًا باتًا»[٣].

إن هذه النصوص واضحة في دلالتها على إلغاء الجهاد الإسلامي الذي هو ذروة سنام الإسلام، وهو ماض إلى يوم القيامة.

ويرى الباحث -استكمالا للتعريف بالقادياني- أن يذكر جملة مما قاله الشيخ الكشميري فيه. يقول الشيخ:

«إن الشقي غلام أحمد القادياني الذي ينتهي شعبه إلى مغول التتر، وعلى قوله إلى يأجوج ومأجوج، -لعنه اللّه وأخزاه- كان سوّى ونوى من أول أمره ما يدّعيه ويفتريه آخرًا، ولكن الشقي تدرّج وتلوَّن في دعواه تلون الحرباء، وسلك في تمشية مرامه وتعمية كلامه طريق الزنادقة والباطنية، واتَّبع البابية والبهائية سواء بسواء، فادّعى أولاً أنه مجدد، ومثيل المسيح، ثم انتقل إلى أنه المهدي الموعود، والمسيح المعهود، ومن الجانب الآخر أوَّله أنه نبي لغوي أو ظلي أو بروزي، على معاني اخترعها الزنديق، ثم تحول إلى أنه نبي غير

---

(١) القادياني والقاديانية، ١٠١.

(٢) الخطبة الإلهامية، للمرزا، ص ٦٧.

(٣) ترياق القلوب، للمرزا، ص ٣٣٢.

تشريعي، ورسول كذلك، ثم إلى أنه نبي تشريعي ورسول كذلك. باح به في "أربعينه"[(١)] وتحدى بالآيات، وجعل وحيه كالقرآن - كما في "نزول المسيح"[(٢)] ص ٩٩ وغيره.

وجعل يحاكي معجزات سائر الأنبياء ومعجزات خاتم الأنبياء أيضًا، وجعل قريته مكة المسيح، وجعل "لاهور"[(٣)] مدينته، وجعل لمسجده منارة سماها "منارة المسيح"، فحمل كل ما يتعلق بعيسى -عليه السلام- على التأويل، إلا المنارة، فإنها كانت تتهيأ ببذل المال، وقد جمعه من أتباعه، وجعل مقبرة سماها "مقبرة الجنة" من دفن بها فهو من أهل الجنة، وسمى أزواجه "أمهات المؤمنين"، وأتباعه "أمته".

ومن أكبر ما ادَّعاه من معجزاته نكاح المسماة بـ"محمدي بيغم" من فوق السماء، وجعله وحيًا أوحي به، واستمر على لعنته تلك نحو عشرين سنة، فإنه أول ما شهره هو في سنة ١٨٨٨م في اشتهاره، وقد وصل إلى أمه الهاوية في سنة ١٩٠٨م، فأصرّ عليه نحو ثلث عمره، وقال فيه: إن اللّه يرفع كل مانع من هذا النكاح وتدخل في نكاحه، وأنه تقدير مبرم، وأوحي إليه شيطانه فيه كما ذكره «كذبوا بآياتي وكانوا بها يستهزؤون، فسيكفيكهم اللّه، ويردها إليك، أمر من لدنا، إنا كنا فاعلين، زوجناكها» وهكذا يتلقف كلمات القرآن، ويحكيها في افترائه، وأشاع في "إزالة أوهام"[(٤)] في ذلك "الحق من ربك فلا تكونن من الممترين"، وجعل كل ذلك وحيًا سماوياً يقطع به كالقرآن، وجعل نبأه ذلك معيار صدقه وكذبه عند كافة الخليقة من المسلمين، والنصارى، واليهود. وأطمع والد المسماة المذكورة بأموال، ودار، وعقار، ودلاه بكل مكر وحيلة، ففضحه اللّه -تعالى شأنه- على رؤوس الأشهاد وعلى أعين

---

(١) اسم كتاب للقادياني.

(٢) اسم كتاب للقادياني.

(٣) اسم مدينة بباكستان.

(٤) اسم كتاب للقادياني.

الناس، ولم يرزق ذلك النكاح، وقد نكحها "سلطان أحمد" وأولدها أولادًا، والحمد للّه على ذلك.

وكان إعلان إلهامه فيه أنه إن لم يتم له ذلك النكاح فهو أخبث من كل خبيث، فكان كذلك أخبث من كل خبيث، والحمد للّه أولاً وآخراً. وكان كل غرضه جمع الأموال، ونيل اللذات والشهوات، فسقط في الهاوية، وأبقى داهية دهياء للإسلام والمسلمين.

وكفر كل من لم يؤمن به، كما في جريدة "الحكم" اكتوبر سنة ١٨٩٩م، وفي "حقيقة الوحي" ص ١٧٩، وفي مكتوبه المندرج في "الذكر الحكيم".

وأهان عيسى بن مريم -عليه السلام- بما تنشق منه الأكباد، يَعْتَلُّ في ذلك بإلزام النصارى، فقضى وطره من إبراز كفره المكنون بهذه العلة، والحال أنه يجعله عند ما يسترسل في قعاقعه[١] حقًا واقعًا -والعياذ باللّه- واستمر على ديدنه إلى أن قال في آخر سنة من حياته في جريدة "البدر" «إني مدع أني رسول ونبي».

وفي مكتوب له إلى مدير جريدة "أخبار عام" إني على حكم اللّه نبي»، وكذا في "حقيقة الوحي" ص ١٤٩.

إلى أن أخذه اللّه -تعالى- بعد ما أرسل مكتوبه إلى مدير "أخبار عام" بخمسة أيام أخذ عزيز مقتدر، ورماه قضاء اللّه وقدره بالهيضة (CHOLERA)، وسقط على وجهه في حشه[٢]، واستقر دار البوار.[٣]

---

(١) مفردها قعقعة: تتابع أصوات الرعد في شدة.

(٢) موضع قضاء الحاجة.

(٣) عقيدة الإسلام، للشيخ الكشميري، ص ٣٤ - ٣٧.

المبحث الخامس

موقف الشيخ الكشميرى من القاديانية

لقد قام علماء الهند لمحاربة الفتنة القاديانية بأقلامهم، وألسنتهم، وعلومهم، وكان ذلك أقصى ما يمكن في عهد الدولة الإنجليزية، وكان في مقدمة هؤلاء العلماء المجاهدين الشيخ العلامة محمد أنور شاه الكشميري، الذي أقلقته هذه الفتنة وشغلت خاطره وتفكيره واستولت على مشاعره.

لقد قام الشيخ الكشميري بمقاومة هذه الفتنة بنفسه وأعدّ جماعة من تلاميذه لمقاومتها.

يقول الشيخ الكشميري:

«عقيدة ختم النبوة من العقائد الإسلامية الأساسية تدل عليها آيات من القرآن الكريم والأحاديث المتواترة»[١].

إن عقيدة ختم النبوة تبتني على قول الله تعالى:

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّـنَ﴾[٢].

هذه الآية دليل صريح على هذه العقيدة؛ لا تقبل أي تأويل خلافها.

شرح الشيخ الكشميري هذه الآية الكريمة، بما لا يدع مجالاً للتأويل أو للشك في هذه المسألة. يقول:

«إن بعثة محمد -ﷺ- وإرساله إلى العالمين ليس لبداية النبوة، بل لإنهاء سلسلة النبوة، فنبوته باقية دائمة إلى يوم القيامة بلا فصل. وبما أن النبوة موهوبة من الله، لا مكتسبة، فلا يمكن لأحد -كائنًا من كان- أن يكون بعده نبيًا»[٣].

---

(١) الشيخ الكشميري ومآثره العلمية، ص ١٤٦.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

(٣) خاتم النبيين، للشيخ الكشميري (باللغة الفارسية)، ص ٦، ٧.

ثم فسر الشيخ الآية المذكورة من الناحية اللغوية أولا . وبالأحاديث ثانيًا ، وبأقوال الصحابة والتابعين -رضي الله عنهم أجمعين- ثالثًا ، وبأقوال المفسرين رابعًا .

تكلم الشيخ حول كلمة النبي والرسول ومعناهما اصطلاحًا ، واختلاف أهل السنة والجماعة والمعتزلة في ترادفهما واختلافهما -كما سبق ذكره- وذكر اختلاف القُرَّاء في قراءة "خاتم" بالكسر أو الفتح . يقول :

«قرئ "خاتم" بفتح التاء وكسره ، قرأ حسن وعاصم بالفتح ، وقرأ غيرهما بالكسر[١] ، ولكن هذا الفرق في القراءة لا يؤثر على المعنى . والمراد من القراءتين أنه آخر الأنبياء ، ولا نبي بعده ، كما يتضح من قول صاحب روح المعاني : " والخاتَم اسم آلة يختم به كالطابع لما يطبع ، فمعنى خاتم النبيين الذي ختم النبوة به ، ومآله آخر النبيين "[٢] .

ويتضح من هذا أن الاختلاف في القراءة لا يؤثر على المعنى . ويؤيد ذلك ما قاله البيضاوي في تفسيره»[٣] .[٤]

ثم يذكر الشيخ الكشميري أقوال أصحاب اللغة تأييدًا لقوله ، يقول :

قال الإمام الراغب :

«وخاتم النبيين ؛ لأنه ختم ، أي : تمَّمَهَا بمجيئه»[٥] .

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ١٠/ ١٣ ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان .

(٢) روح المعاني للآلوسي ٢٢/ ٣٤ .

(٣) انظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، المعروف بتفسير البيضاوي ، لأبي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ، ٤/ ١٦٤ ، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع ، بيروت .

(٤) خاتم النبيين ، للكشميري ، ص ٢٥ .

(٥) مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني ، تحقيق : صفوان عدنان داودي ، ص ٢٧٥ .

وقال صاحب مجمع البحار :

«خاتم النبوة بكسر التاء، أي : فاعل الختم وهو الإتمام، وبفتحها بمعنى الطابع، أي : شيء يدل على أنه لا نبي بعده»(١) .

وقال أبو البقاء صاحب الكليات :

«تسمية نبينا خاتم النبيين؛ لأن الخاتم آخر القوم. قال اللّه تعالى : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّـنَ﴾(٢)»(٣) .

وبعد ذكر أقوال علماء اللغة في كسر وفتح كلمة "الخاتم" يقول الشيخ الكشميري :

«ولعل الخاتم بالفتح أبلغ، فإنه يدل على أن النبوات مجموعة فيها ترتيب وتأليف وتناسب، وعليه يدل حديث قصر النبوة وآخر لبنة، لا كيف ما اتفق كالمجموع الاعتباري، وأنه ﷺ وقع خاتمها بالفتح، وأن نبوته لنبوة الأنبياء كالخاتم الحسي»(٤) .

إن محمداً ﷺ خاتم جميع الأنبياء لا بعضهم، وهذا ثابت بنفس هذه الآية، وإذا كان هو خاتمًا لجميع الأنبياء فلجميع الرسل من باب الأولى لدخول الخاص تحت العام. يقول الشيخ الكشميري :

«النبيون جمع، مفرده نبي، يستعمل لجماعة الأنبياء، و "أل" الداخلة

---

(١) مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، للشيخ محمد طاهر الصديقي الفتني الهندي ٢/ ١٥، حرف الخاء مع التاء، مكتبة دار الإيمان، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠ .

(٣) الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، ص ٤٣١، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

(٤) عقيدة الإسلام، ص ٣٧٧.

على "النبيين" للتعريف، يأتي لأربعة معان: للجنس، وللاستغراق، وللعهد الذهني، وللعهد الخارجي.

لكن علماء اللغة: أجمعوا على أنه إذا دخل "أل" على الجمع فلا يراد به الجنس، بل يراد به العهد إذا كان معهوداً، وإلا لكان "أل" للاستغراق. كما يتضح ذلك من كلام العلامة النسفي، يقول:

«وإن دخلت على الجمع فللعهد إن كان، وإلا للعموم»[(١)].

وكلام أبي البقاء في هذه المسألة أكثر وضوحًا، حيث يقول:

«وقال عامة أهل الأصول والعربية: لام التعريف سواء دخلت على الفرد أو الجمع تفيد الاستغراق إلا إذا كان معهوداً»[(٢)].

فالحاصل أن "ال" الداخلة على النبيين للاستغراق، ويراد أن محمداً ﷺ خاتم جميع الأنبياء، لا نبي بعده.[(٣)]

وذكر الشيخ الكشميري أحاديث نبوية لإثبات هذه العقيدة، وقبل ذكر الأحاديث يقول:

«يبدو من النظر في الأحاديث أن النبي ﷺ كان يعرف أنه سيوجد بعده في أمته كثير ممن يدعي النبوة، ولذلك وردت في هذا الباب أحاديث كثيرة إثباتًا لهذه العقيدة، ورداً على المتنبئين»[(٤)].

ثم ذكر الشيخ الكشميري ثلاثة أحاديث واضحة صريحة تثبت عقيدة ختم النبوة.

---

(١) كشف الأسرار شرح المصنف على المنار، للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي ١/ ١٩٢، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

(٢) الكليات، لأبي البقاء الكفوي، ص ٧٧٩.

(٣) ختم النبوة للمفتي محمد شفيع، ص ٥٦.

(٤) خاتم النبيين، ص ٦٤.

١- قال رسول الله ﷺ: «أنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم»[١].

ففي هذا الحديث صراحة بأنه آخر الأنبياء، كما أن هذه الأمة آخر الأمم، فلن يكون أحد بعده نبيًا له أمة.

٢- روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبيٌّ وأنه لا نبي بعدي . . . الحديث»[٢]. [٣]

٣- قال رسول الله -ﷺ- لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه:

«أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»[٤].

يقول الشيخ الكشميري بعد ذكر هذا الحديث:

«لقد دفع رسول الله -ﷺ- شبهة نبوة علي بقوله: «لا نبي بعدي» فهارون عليه السلام كان نبيًا، وعلي -رضي الله عنه- ليس بنبي، فعلم من ذلك أن الأخوة والأبوة لا تستلزم النبوة، فلا وراثة في النبوة»[٥].

وإذا كان بعض القاديانيين يزعم أن صاحبهم المرزا ادعى النبوة غير

---

(١) روى ابن ماجه في سننه ٢/ ١٣٥٩، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ خطبة حدثناه عن الدجال، فكان من قوله: «إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال، وإن الله لم يبعث نبيًا إلا حذر أمته الدجال، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم».

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٤/ ١٤٤، صحيح مسلم، كتاب الأمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول ٢/ ٩٥٨. بلفظ: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم أنبياؤهم كلما ذهب نبي خلفه نبي، وأنه ليس كائن بعدي نبي فيكم». ومسند أحمد ٢/ ٢٩٧، بلفظ: «كلما هلك نبي خلف نبي، وأنه لا نبي بعدي».

(٣) خاتم النبيين ص ٦٨.

(٤) انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: عبدالله محمد الدرويش، ٩/ ١٣٨، برقم: (١٤٦٤٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. ورواه أحمد في مسنده ٣/ ٣٢. وفي سنده عطية العوفي وثقه ابن معين، وضعفه أحمد وجماعة. انظر: الجرح والتعديل للرازي ٦/ ٣٨٢، تهذيب التهذيب لابن حجر ٤/ ١٣٨.

(٥) خاتم النبيين، ص ١٠.

التشريعية، والنبوة غير التشريعية لا تنافي عقيدة ختم النبوة، فإن الشيخ الكشميري يرد على هذه الفكرة، فيقول:

«إن المراد من خاتم النبيين أنه -ﷺ- آخر الأنبياء وخاتم سلسلة جميع الأنبياء، وليس هناك فرق بين التشريعي وغير التشريعي، بل المراد الواضح الصريح أنه لا نبي بعده مطلقًا، وانتهت سلسلة النبوة كلها، تشريعية كانت أو غير تشريعية»[١].

ويقول الشيخ الكشميري أيضًا:

«إن الأمة أجمعت على أن لا نبوة بعده -ﷺ-، ولا رسالة إجماعًا قطعيًا، وتواترت به الأحاديث نحو مائتي حديث، فتأويله بحيث ينتفي به الختم الزماني كفر بلا شبهة»[٢].

لقد أجمع الصحابة -رضي الله عنهم- على هذه العقيدة، وورد عنهم وعن التابعين في تأكيدها أقوال ليس من شأن البحث حصرها. ذكر الشيخ الكشميري بعضًا منها. يقول:

١- «روى أبو جعفر ابن جرير الطبري في تفسيره عن قتادة قوله في تفسير "خاتم النبيين": «عن قتادة ولكن رسول الله وخاتم النبيين، أي: آخرهم»[٣].

٢- وقد روى جلال الدين السيوطي في تفسيره "الدر المنثور" هذا القول عن عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.[٤]

٣- وجاء قول عائشة -رضي الله عنها- في مصنف ابن أبي شيبة: «قولوا خاتم النبيين، ولا تقولوا لا نبي بعده»[٥].

---

(١) خاتم النبيين، ص ٩.

(٢) عقيدة الإسلام، للكشميري، ص ٣٨٢.

(٣) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن، لابن جرير الطبري ٢١/ ١٣.

(٤) انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام جلال الدين السيوطي ٥/ ٢٠٤، دار المعرفة للطباعة، بيروت.

(٥) الدر المنثور في المتفسير بالمأثور ٥/ ٢٠٤.

يقول الشيخ الكشميري بعد ذكر قول عائشة -رضي اللّه عنها- :

«لقد أحسنت عائشة -رضي اللّه عنها- بقولها : "ولا تقولوا : لا نبي بعده" ؛ لأن قولهم هذا يوهم نفي نزول عيسى بن مريم -عليه السلام- فيؤدي إلى رد الأحاديث الواردة في نزوله في آخر الزمن، فإنه نبي ينزل ويكون في أمة محمد ﷺ، وليس بنبي جديد، فلا تقولوا لمحمد ﷺ إلا خاتم النبيين»(١) .

وبعد أن أثبت الشيخ الكشميري هذه العقيدة في ضوء النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، وكذلك من أقوال الصحابة والتابعين -رضي اللّه عنهم- ذكر أقوال أئمة التفاسير تأييدًا لذلك .

يقول الشيخ الكشميري :

«لقد جمع أصحاب التفاسير أقوالاً ونقولاً في تفسير خاتم النبيين يصعب استيعابها، أذكر بعضًا منها لكي ندرك مراد هؤلاء المفسرين الذي قصروا حياتهم في هذا المجال»(٢) .

ثم ذكر الشيخ الكشميري هذه الأقوال :

١ - ذكر ابن جرير الطبري عن علي بن الحسين :

« . . . . بكسر التاء من خاتِم النبيين، بمعنى : أنه ختم النبيين . . . إلى قوله : وقرئ ذلك فيما يذكر الحسن وعاصم، وخاتَم النبيين بفتح التاء، بمعنى : أنه آخر النبيين»(٣) .

يقول الشيخ الكشميري بعد نقل هذا القول :

«يتضح من هذا القول أن الاختلاف في القراءة لا يؤثر إلا في اللفظ والصيغة، أما المراد : فهو واحد على الاحتمالين»(٤) .

---

(١) خاتم النبيين، ص ١١ .

(٢) نفس المصدر، ص ٢٥ .

(٣) انظر : جامع البيان في تفسير القرآن، لابن جرير الطبري ٢١/ ١٣ .

(٤) خاتم النبيين، ص ٢٥ .

٢- يقول الزمخشري في تفسيره الشهير:

«خاتَم بفتح التاء بمعنى الطابع، وبكسرها بمعنى الطابع وفاعل الختم، وتقويه قراءة عبد الله بن مسعود، ولكن نبينا ختم النبيين، فإن قلت: كيف كان آخر الأنبياء وعيسى ينزل في آخر الزمان؟ قلت: معنى كونه آخر الأنبياء أنه لا ينبأ أحد بعده، وعيسى ممن نبئ قبله»(١).

يقول الشيخ الكشميري بعد ذكر العبارة السابقة:

«فالزمخشري الذي هو إمام في اللغة لم يفهم من خاتم النبيين، إلا أنه لا يكون أحد نبيًا بعده من جديد»(٢).

لقد أجمع المحدثون -رحمهم الله- على هذه العقيدة، ورووا في هذا الباب روايات عديدة كلها دالة على أن المراد بخاتم النبيين أنه لا نبي بعده.

يقول الشيخ الكشميري:

«لقد أثر عن المحدثين في هذا الباب أقوال كثيرة توضح المراد بخاتم النبيين وقد روى ثمان وخمسون محدثًا روايات مرفوعة في هذا الباب»(٣).

ثم ذكر الشيخ الكشميري قول الإمام الطحاوي والحافظ ابن كثير.

يقول الإمام الطحاوي:

«وكل دعوى النبوة بعده فغي وهوى، وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى»(٤).

ويقول الحافظ ابن كثير تحت قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾(٥):

---

(١) انظر: الكشاف، لمحمود بن عمر الزمخشري ٣/ ٢٦٥، مشكلات القرآن للشيخ الكشميري، ص٣٦٦.

(٢) خاتم النبيين، ص ٢٥.

(٣) خاتم النبيين، ص ٦٨، عقيدة الإسلام، ص ٣٨٢.

(٤) العقيدة الطحاوية مع شرحها، ص ١٦٦.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٣.

«هذه أكبر نعم الله عز وجل على هذه الأمة، حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا جعله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن»(١).

وبعد ذكر هذين القولين يقول الشيخ الكشميري:

«وأورد أبو نعيم في مسنده، والحافظ ابن تيمية في كتابه "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح"، والمحدث الشاه ولي الله الدهلوي في كتابه "الاعتقاد الصحيح" روايات تدل على ختم النبوة بكل صراحة ووضوح».

ثم يذكر الشيخ الكشميري أقوال الفقهاء، قائلاً:

«جاء في كتاب السير والردة من الأشباه والنظائر:

إذا لم يعرف أن محمداً -ﷺ- آخر الأنبياء فليس بمسلم؛ لأنه من الضروريات»(٢).

ويقول ابن نجيم في البحر الرائق:

«ويكفر بقوله: إن كان ما قال الأنبياء حقًا أو صدقًا، وبقوله: أنا رسول الله»(٣).

وفي الفتاوى الهندية:

«إذا لم يعرف الرجل أن محمداً -ﷺ- آخر الأنبياء فليس بمسلم، ولو قال: أنا رسول الله، أو قال بالفارسية: "من پيغمبر أم" (أنا نبي) يريد به "من پيغام من برم" (أنا آتي بالرسالة) يكفر»(٤).

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٢٦. خاتم النبيين ص ١٧.

(٢) الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة، للشيخ زين الدين بن إبراهيم بن نجيم، ص ١٩٢، كتاب السير، باب الردة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٣) البحر الرائق شرح كنز الدقائق للعلامة زين الدين بن إبراهيم بن نجيم ٥/ ١٣٠، دار المعرفة، لبنان، الطبعة الثانية.

(٤) الفتاوى الهندية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، لجماعة من علماء الهند الأعلام، ٢/ ٢٦٣، المكتبة الإسلامية، تركيا، الطبعة الثالثة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

يقول ابن حزم الأندلسي :

«فوجب الإقرار بهذه الجملة وصح أن وجود النبوة بعده عليه السلام باطل ؛ لا يكون البتة»[١] .

وبعد ذكر هذه الأقوال ينقل الشيخ الكشميري أقوال المتكلمين فيقول :

ويقول الإمام عبد السلام بن إبراهيم المالكي :

«أي ختم ربنا بنبوة جميع الأنبياء، قال تعالى : ﴿**وخاتم النبيين**﴾ ويلزم منه ختم المرسلين أيضًا ؛ لأن ختم الأعم ختم للأخص، فلا تبتدئ نبوة ولا شريعة بعده ﷺ»[٢] .

إن هذه الأقوال السابق ذكرها تصرح بإثبات هذا المبدأ، وإنه من ضروريات الدين، ولكن هناك بعض الشبهات يثيرها القاديانيون، لابد من الرد عليها . والشيخ الكشميري لم يقتصر على إثبات هذا المبدأ في ضوء تصريحات، وأقوال العلماء، بل تناول بذكر بعض الشبهات، ورد عليها . يقول الشيخ بعد أن ذكر هذه الأقوال :

«إن الأقوال والشواهد السابق ذكرها لا تدع مجالاً لشبهة في هذه المسألة، ولكن مع ذلك يقوم المخالفون بإثارة بعض الشبهات حول هذه الآية آية الختم»[٣] .

ثم يذكر الشيخ الكشميري ثلاثًا من هذه الشبهات، فيقول :

١ - إذا كان محمد -ﷺ- خاتم الأنبياء، فكيف ينزل عيسى بن مريم قرب الساعة؟ إن نزول عيسى بن مريم قرب الساعة يقتضي أن يكون هو خاتمًا للأنبياء .

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ١/ ١٤٤، تحقيق : د. محمد إبراهيم نصبر، ود. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

(٢) شرح جوهرة التوحيد، المسمى "إتحاف المريد بجوهر التوحيد"، لعبد السلام بن إبراهيم اللقاني المالكي، ص ١٩١، الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م، المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

(٣) خاتم النبيين .

٢- الخاتَم -بفتح التاء- يأتي في اللغة العربية بمعنى حليّ الإصبع، فيكون معنى خاتم النبيين أن النبي ﷺ زينة للنبيين، فلا علاقة للآية بختم النبوة.

٣- وقد قال بعض أتباع ذلك الشقي (القادياني): إن آية ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّـنَ**﴾ هي كقول الناس: فلان خاتم المحققين، فلان خاتم المحدثين، فلان خاتم الحفاظ، ونحو ذلك.

يرد الشيخ الكشميري على الشبهة الأولى بقوله:

«إن عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية عقيدة ثابتة قطعية؛ لأن النبي -ﷺ- لقد صرح بقوله: «لا نبي بعدي»[(١)]. وهي لا تتعارض مع عقيدة نزول عيسى -عليه السلام-، فإنه ينزل على نبوته السابقة، لا بنبوة جديدة مستقلة. ويكون كواحد من أمة محمد -ﷺ-.[(٢)]

ويرد الشيخ على الشبهة الثانية قائلاً:

«أما الشبهة الثانية فهي افتراء على القرآن لوجوه:

١- المجاز لا يراد إلا إذا تعذرت الحقيقة ولا تعذر هنا.

٢- الأحاديث المتواترة تخالف وتنفي ذلك.

٣- فيه مخالفة إجماع الأمة وآثار السلف.

٤- أقوال علماء التفسير لا تؤيد ذلك.[(٣)]

ويرد الشيخ الكشميري على الشبهة الثالثة قائلا:

«هذا خذلان لحقه -ﷺ- ولم يفهم محل ذلك ومحل الآية، وهو الإلحاد أي: ترك المحكمات وأخذ المتشابهات، وهذا الذي أخزى كل ملحد في

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «. . . وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي». رواه أبو داود في سننه ٤/ ٩٨. والترمذي في سننه ٩/ ٦٣، وقال: حديث حسن. وصححه ابن حبان.

(٢) خاتم النبيين، ص ٦٩، ٨٣، عقيدة الإسلام في حياة عيسى ٣٨٢.

(٣) خاتم النبيين، ص . . . . ملخصًا.

الدنيا، فلا تراهم إلا وهم يتعلقون بشيء في غير محله، وقد أدركه الجهل والخزي من وجوه:

الأول: إن قول الناس هذا محاورة عامية يستعملونها في المقامات الخطابية، وفي مقام المدح والمبالغة، والمساهلة والمسامحة، وعن علم جزئي قاصر ينشأ عن الإحسان بأمر وقتي مع الإغماض عن رعاية الجوانب والوجوه، ولا يكون مبناها ومحطها التحقيق والعقيدة، بخلاف قوله -تعالى-، فإنه لا يتعداه التحقيق، ولا يتخطى حقيقة الأمر بمقدار حرف، وسيما في مقام بيان العقائد. ومن وجوه الإعجاز أنه لا يمكن وضع كلمة مكان كلمة؛ لأنه لا يعرف حق المقام وحقيقة الأمر وحق اللفظ غيره.

الثاني : إن قائل المقولة العامية لا يريد التحقيق بنفسه، وإنما يريد سانح وقته، فإنه لا يحيط علمه بالغيب، ولا يعلم ما في كتم المستقبل حتى ينطق برعاية الدوام، بخلاف البارئ -تعالى- فكلامه عن علم كلي محيط.

الثالث: إن هذه المقولة العامية يقولها كل واحد بحسب ظنه من حيث السياق، فإنه كان على هذا أن يقال: مقدام الأنبياء لا خاتمهم.

الرابع : إنه على هذا لا يبقى للقبه -ﷺ- خاتم الأنبياء مزيد اختصاص بدورة الأمة المرحومة، والسياق أنه وضع بدل أبوته لهم اختصاص لقبه بهم، أعني بالاختصاص أن نبيهم خاتم الأنبياء، يعني أنه ليس له معكم علاقة الأبوة، بل له معكم علاقة النبوة بل ختمها، بل لعل عدم بقاء أولاد الذكور إشارة إلى انقطاع سلسلة النبوة بعده -ﷺ- كما ذكره بعض الصحابة.

الخامس: إنه يجوز على هذا أن يأتي بعده -ﷺ- نبي تشريعي أيضًا، وهذا الملحد تفوه كثيراً بأنه لا يمكن، وإن ناقض نفسه في بعض المواضع فادعى الشريعة لنفسه أيضًا.

السادس: إن الأمة أجمعت على الختم الزماني والخاتمية الحقيقة، ومثل

هذا الإجماع يكفر مخالفه»[١].

وبذلك انتهى الشيخ الكشميري في الرد على بعض الشبهات المثارة من قبل أتباع المرزا غلام أحمد القادياني، وأثبت مبدأ ختم النبوة بمحمد ﷺ.

---

(١) عقيدة الإسلام، للكشميري، ص ٣٦٩ - ٣٧٢.

خاتم النبيين، ص ٣٦-٣٧.

الأدلة العقلية على ختم النبوة

لم يقتصر الشيخ الكشميري في تقرير عقيدة ختم النبوة على الدلائل النقلية وسرد أقوال علماء الأمة في هذا الباب، بل جاء بالأدلة العقلية أيضًا.

يقول الشيخ الكشميري ما حاصله:

١- لقد بعث الله رسوله محمدًا ﷺ رحمة للعالمين، وقد دل رسول الله ﷺ أمته على كل ما ينفعهم وحذرهم عما يضرهم، ما ترك شيئًا كان فيه نفع إلا أمرهم به، وما ترك شيئًا كان فيه ضر إلا حذرهم ونهاهم عنه، وقال ﷺ: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه»(١) فلو كان أحد بعده نبيًا لكان عليه أن يأمر أمته بإطاعته، وإلا لكان من أعجب العجاب أن يأمر بإطاعة عبد حبشي كأن رأسه زبيبة(٢) إذا كان حاكمًا ولا يأمر بإطاعة نبي بعده، بل يحذر أمته من المتنبئين، وفي هذا لدلالة واضحة أنه آخر الأنبياء، لانبي بعده.

٢- إنما كان يأتي نبي بعد نبي في السابق؛ لأن النبوات السابقة كانت تختص بأمة دون أمة، وبزمان دون زمان، فكانت هناك حاجة إلى بعثة نبي جديد إلى أمة أخرى وبعد مُضي ذلك الزمن، ولكن لما كانت نبوة محمد -ﷺ- عامة شاملة لجميع الأمم، وباقية إلى يوم القيامة، فلا حاجة إلى نبوة جديدة بعده، كما لم تكن في عهده ﷺ، فإن نبوته باقية ومستمرة إلى يوم القيامة، وبقاء نبوته تستلزم ختم النبوة.

٣- لو سلمت نبوة نبي بعده، فهل هو يأتي بشريعة جديدة وينسخ الشريعة

---

(١) رواه الإمام مالك في موطاه في كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر ٢/ ٨٩٩، رقم الحديث: ٣.

(٢) يشير الشيخ الكشميري إلى الحديث الذي رواه البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة». فتح الباري ١٣/ ١٣٠، رقم الحديث ٧١٤٢.

الإسلامية أو يأتي لشرح الكتاب والسنة؟ وعلى الوجه الأول لا حاجة إلى نسخ الشريعة الإسلامية وحلول الشريعة الجديدة محلها؛ لأن الشريعة الإسلامية عامة وشاملة لجميع الأمم والأزمان؛ لا حاجة إلى التغيير والتبديل لمن كان له عقل سليم وفهم صحيح.

وعلى الوجه الثاني لا حاجة لشرح الكتاب والسنة إلى نبي جديد، فإن علماء هذه الأمة تكفلوا بذلك، ولو كانوا عاجزين عن ذلك لكانت الحاجة إلى نبي جديد في كل زمان بعد زمن رسول الله ﷺ، وهذا خلاف الواقع»[١].

بعد ذكر الأدلة العقلية على ختم النبوة يقول الشيخ الكشميري:

«إن الآية القرآنية: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّـنَ﴾[٢]. فيها دلالة واضحة لثبوت ختم النبوة بنبوة محمد ﷺ، وأن نبوته تستمر إلى يوم القيامة بلا فصل، وتتقرر هذه العقيدة بذلك التمثيل والتشبيه الذي جاء ذكره في الحديث[٣]. فشبه النبي ﷺ ببيت، لبناته هم أنبياء الله عز وجل الذين اختارهم الله قبل نبينا محمد عليهم الصلاة والسلام، وإن البيت قد بنى وكمل وجمل. ولم يبق فيه إلا موضع لبنة واحدة، لا يزال البيت بدونها ناقصًا فجاء رسول الله ﷺ، فكمل ذلك البناء وسدّ ذلك المكان، ولم يبق ثمة موضع لبنة تجيء بعد، وبذلك يكون قد تمّ وكمل بعد مجيء رسول الله ﷺ الذي ختم به ذلك البناء، فكان بذلك آخر الأنبياء»[٤].

---

(١) خاتم النبيين، ص ٧-٩. ملخصًا.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

(٣) يشير الشيخ الكشميري إلى الحديث الذي رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «إن مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويتعجبون له، ويقولون هلا وضعت اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين». رواه البخاري ٤/ ٢٢٦، ومسلم ٤/ ١٧٩٠. واللفظ للبخاري.

(٤) خاتم النبيين، ص ٩. ملخصًا.

وفي ضمن تفسير هذه الآية في ضوء القرآن والسنة وأقوال علماء الأمة وصل الشيخ الكشميري إلى تقرير هذا المبدأ الإسلامي الذي أجمع عليه أهل السنة والجماعة قاطبة من أولهم إلى آخرهم.

«السفر لزيارة قبر النبي ﷺ»

اختلف في السفر لزيارة قبر النبي ﷺ على قولين :

الأول : المنع . وإليه ذهب الأئمة الأربعة وهو قول ابن بطة[(١)] وابن عقيل[(٢)]، وأبي محمد الجويني[(٣)]، والقاضي عياض، وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمهم الله . [(٤)]

الثاني : الجواز . وإليه ذهب بعض متأخري الشافعية والحنابلة، كأبي حامد الغزالي، وأبي محمد بن قدامة المقدسي، والنووي، والحافظ ابن حجر العسقلاني رحمهم الله . [(٥)]

استدل المانعون بعدة أدلة :

١- بما جاء في الصحيحين عن النبي ﷺ قال : «لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصى»[(٦)] .

---

(١) ابن بطة : هو أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي، صاحب كتاب "الإبانة الصغرى"، ولد سنة ٣٠٤هـ، وتوفي سنة ٣٨٧هـ. سير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٢٩ .

(٢) ابن عقيل : هو أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد البغدادي، شيخ الحنابلة، ولد سنة ٤٣١هـ، المتكلم، صاحب التصانيف، توفي سنة ٥١٣هـ. سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٤٣ .

(٣) الجويني : هو أبو محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله الطائي الجويني، والد إمام الحرمين، شيخ الشافعية، كان مدققًا محققًا نحويًا مفسرًا، توفي سنة ٤٣٨هـ. سير أعلام النبلاء ١٧/ ٦١٧ .

(٤) انظر : شرح النووي مع مسلم ٩/ ١٠٦، مجموع الفتاوي ٢٧/ ٢١٥، جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للآلوسي ص ٥١٣ .

(٥) انظر : شرح النووي مع مسلم ٩/ ١٠٦، مجموع الفتاوى ٢٧/ ٢٧، ٢٢٦، جلاء العينين ص٥١٧، فتح الباري ٣/ ٨٠ .

(٦) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ٢/ ٥٦، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ١/ ١٠١٤، ولفظه : «ومسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى» .

٢- اتفاق الأئمة الأربعة على أنه لا يشرع السفر إلى قباء من بلد بعيد؛ لأنه ليس من الثلاثة مع أن زيارته مشروعة ومستحبة لمن كان بالمدينة؛ لما صح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما «أن رسول الله ﷺ كان يزور قباء راكبًا وماشيًا»(١).

٣- عدم ثبوت السفر لزيارة قبر الأنبياء والصالحين عن أحد من الصحابة والتابعين.(٢)

٤- كره الإمام مالك -وهو أعلم الناس بهذه المسألة- أن يقول أحد: زرت قبر النبي ﷺ، ولو كان هذا اللفظ مشروعًا أو مأثورًا لم يكرهه الإمام مالك.(٣)

الأحاديث المستفيضة في النهي لاتخاذ قبور الأنبياء عيدًا.

قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا عليّ؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنت»(٤).

واحتج المجيزون أيضًا بعدة أدلة:

١- بعموم قوله ﷺ: «فزوروا القبور فإنها تذكر الموت»(٥).

٢- بالأحاديث المروية في زيارة قبر النبي ﷺ خاصة مثل:

---

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الحج، باب فضل مسجد قباء، وفضل الصلاة فيه وزيارته ١/ ١٠١٦.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٧/ ٢٢٠.

(٣) المصدر نفسه ٢٧/ ٣٥، ٢٢١-٢٢٢.

(٤) رواه أبو داود في سننه، في كتاب المناسك، باب زيارة القبور ٢/ ٥٣٤، رقم الحديث ٢٠٤٢.

(٥) رواه مسلم في صحيحه كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه عزوجل في زيارة قبر أمه ١/ ٦٧١، ورواه أبو داود في سننه، كتاب الجنائز، باب في زيارة القبور ٣/ ٥٥٧، رقم الحديث ٣٢٣٤، والنسائي في سننه، باب زيارة قبر المشرك ٤/ ٩٠، وابن ماجه في سننه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة قبر المشركين ١/ ٥٠١.

«من زار قبري وجبت له شفاعتي»(١).

«من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي»(٢).

٣- عدم دلالة حديث شد الرحال على منع السفر لزيارة قبر النبي ﷺ، فإن المستثنى منه هو المساجد فقط؛ لأن الظاهر المتبادر إلى الأذهان أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه؛ لأنه ليس من المعقول أن يقدر أولاً المستثنى منه عامًا، ثم يخص منه شد الرحال للتجارة، ولطلب العلم، وللغزو، ولزيارة الإخوان، فمن المعلوم قطعًا والثابت محققًا إباحة السفر أو ندبه لتلك الأغراض إلى مواضعها.(٣)

٤- حمل هذا الحديث على نفي الاستحباب.

ويجاب على هذه الأدلة بما يلي:

١- الحديث العام حديث صحيح، ولكنه محمول على الزيارة التي لا سفر فيها.

٢- الأحاديث المروية في خصوص زيارة قبر النبي ﷺ كلها ضعيفة أو موضوعة لا يصح الاحتجاج بها.(٤)

٣- إذا كان النهي عن السفر لزيارة المسجد غير المساجد الثلاثة فغير المساجد أولى بالنهي.

٤- أ- إن هذا تسليم منه أن هذا السفر ليس بعمل صالح، ولا قربة

---

(١) رواه الدار قطني من طريق موسى بن هلال العبدي، عن عبد الله أو عبيد الله العمري ٢/ ٢٧٨، وهذا الحديث ضعيف لضعف موسى بن هلال وجهالته واضطرابه، فمرة يرويه عن عبيد الله، سواء هذا أو ذاك، فهو منكر الحديث لا يحتج به.

(٢) أخرجه الدار قطني والبيهقي وغيرهما من طريق حفص بن سليمان، عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد، عن ابن عمر مرفوعًا. وهذا الحديث ضعيف لتفرد حفص بن سليمان به، وهو متروك الحديث، وشيخه ليث بن أبي سليم ضعيف لاختلاطه. الدار قطني ٢/ ٢٧٨.

(٣) انظر: فتح الباري ٣/ ٨٠.

٤) فتاوى ٢٧/ ٢٢١.

ولاطاعة، ومن اعتقد في السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين أنه قربة وطاعة، فقد خالف الإجماع فصار التحريم من جهة اتخاذه قربة، ومعلوم أن أحداً لا يسافر إليها إلا لذلك. وأما إذا قدر أن شد الرحال إليها لغرض مباح، فهذا جائز من هذا اللباب.

ب - إن النفي يقتضي النهي، والنهي يقتضي التحريم.[١]

بعد مااستعرضنا أقوال الفريقين ودلائلهم نأتي إلى رأي الشيخ الكشميري في هذه المسألة رأي الشيخ الكشميري الجواز في السفر لزيارة قبر النبي ﷺ فعند شرحه لحديث شد الرحال ذكر الكشميري رأي شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ ابن قيم الجوزية ثم ذكر رأيه قائلا:

«قال الشيخ ابن الهمام[٢] رحمه الله تعالى: إن زيارة قبره ﷺ مستحبة وقريب من الواجب . . . إلى أن قال: وهو الحق عندي»[٣].

وأجاب عن حديث شد الرحال بقوله:

«أحسن الأجوبة عندي أن الحديث لم يرد في مسألة القبور، لما في المسند لأحمد رحمه الله «لا تشد الرحال إلى مسجد ليصلي فيه إلا إلى ثلاثة مساجد» فدل على أن نهي شد الرحال يقتصر على المساجد فقط، ولا تعلق له بمسألة زيارة القبور، فجرّه إلى المقابر مع كونه في المساجد ليس بسديد»[٤].

واستدل أيضاً بتعامل الناس، فقال:

«فإن آلاف الألوف من السلف كانوا يشدون رحالهم لزيارة النبي ﷺ ويزعمونها من أعظم القربات، وتجريد نياتهم أنها كانت للمسجد دون الروضة

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٢٧/ ٢٢١.

(٢) المراد به: كمال الدين محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام، صاحب شرح فتح القدير. انظر: شرح فتح القدير ٣/ ١٧٩.

(٣) فيض الباري ٢/ ٤٣٣.

(٤) المصدر نفسه ٢/ ٤٣٣، ٤٣٤.

المباركة باطل . بل كانوا ينوون زيارة قبر النبي ﷺ قطعًا»[١] .

إن هذه النصوص تدل على رأي الكشميري من جواز السفر لزيارة قبر النبي ﷺ . وقد سبق الإجابة عن حديث شد الرحال .

أما الجواب عن سفر السلف فنقول عنه : أنهم كانوا ينوون السفر لزيارة المسجد النبوي ، وهذا لا يقول أحد بخلافه .

ويبدو للباحث أن ينبغي لمن أراد السفر أن ينوي زيارة المسجد النبوي فيدخل المسجد ويصلي ركعتين ، ثم يزور القبر الشريف ويسلم على صاحبه ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وذلك خروجًا من الخلاف . والله أعلم .

---

(١) فيض الباري ٢/ ٤٣٣ .

الفصل الثامن

أشراط الساعة

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نزول عيسى بن مريم عليه السلام

المبحث الثاني: خروج الدجال.

المبحث الثالث: خروج يأجوج ومأجوج.

أشراط الساعة

تمهيد

معنى الشرط:

أشراط جمع شرَط -بالتحريك-، وهو العلامة، أشراط الشيء: أوائله، ومنه شُرَط السلطان وهم نخبة أصحابه الذين يقدمهم على غيرهم من جنده.[١]

معنى الساعة:

الساعة لغةً: جزء من أجزاء الليل والنهار.

وفي الاصطلاح: الوقت الذي تقوم فيه القيامة، وسميت بذلك لسرعة الحساب فيها، أو لأنها تفجأ الناس في ساعة فيموت الخلق كلهم بصيحة واحدة.[٢]

فأشراط الساعة: هي علامات القيامة التي تسبقها، وتدل على قربها.
وقيل: أشراط الساعة: ما ينكره الناس من صغار أمورها قبل أن تقوم الساعة.
وقيل: هي أسبابها التي هي دون معظمها وقيامها.[٣]

وتنقسم أشراط الساعة إلى قسمين:

١- أشراط صغرى.

٢- أشراط كبرى.

أما الأشراط الصغرى: فهي التي تتقدم الساعة بأزمان متطاولة، وتكون من نوع المعتاد. كقبض العلم، وظهور الجهل، وشرب الخمر، والتطاول في

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٢/ ٤٦٠، لسان العرب، لابن منظور ٧/ ٣٢٩-٣٣٠.

(٢) النهاية، لابن الأثير ٢/ ٤٢٢، لسان العرب ٨/ ١٦٩.

(٣) النهاية، لابن الأثير ٢/ ٤٦٠، لسان العرب ٧/ ٣٢٩-٣٣٠.

البنيان .

وأما الأشراط الكبرى : فهي الأمور العظام التي تظهر قرب قيام الساعة ، وتكون غير معتادة الوقوع . كظهور الدجال ، ونزول عيسى بن مريم ، وخروج يأجوج ومأجوج . (١)

تناول الشيخ الكشميري بعض أشراط الساعة الكبرى بالذكر ، كنزول عيسى ابن مريم ، وظهور الدجال ، وخروج يأجوج ومأجوج . ولا يعنى بذلك أنه لا يقول بغيرها من أشراط الساعة الثابتة بالنصوص الصحيحة ، فإنه لم يقصد الحصر في بيان ذلك . وسيكون البحث مقصوراً على الأشراط التي ذكرها الشيخ الكشميري .

---

(١) انظر : التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر فرح الأنصاري القرطبي ، ص ٧٠٩ ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

إكمال إكمال المعلم شرح صحيح مسلم ، للإمام أبي عبد الله محمد بن خلفة الوشتاني الأبي المالكي ١/ ٧٠ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .

مقدمة كتاب "التصريح بما تواتر في نزول المسيح" ، للشيخ الكشميري .

المبحث الأول

نزول عيسى بن مريم عليه السلام

إن عروج عيسى بن مريم إلى السماء بحياته، ثم نزوله من السماء قرب القيامة من العقائد المسلمة الثابتة، وإن نزوله يعد واحداً من الأشراط الكبرى، تدل عليه نصوص من الكتاب والسنة، بحيث لا سبيل لأحد إلى إنكارها.

قال الله تعالى:

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ وَقَالُوا ءَ آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ إِنْ هُوَ إِلا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَـهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَآءِيلَ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَـئِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾(١).

يقول الشيخ الكشميري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾:

«المراد بذلك نزوله (عيسى بن مريم) قبل يوم القيامة، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَـبِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أي: قبل موت عيسى -عليه السلام- ﴿وَيَوْمَ الْقِيَـمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾(٢). ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى "وإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِّلسَّاعَةِ" (بالفتح)، أي: أمارة ودليل على وقوع الساعة»(٣).

ثم ينقل الشيخ الكشميري تأييداً لقوله قول مجاهد حيث يقول:

«قال مجاهد: وإنه لعلم للساعة، أي: آية للساعة خروج عيسى بن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة»(٤).

---

(١) سورة الزخرف، الآيات: ٥٧-٦١.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٥٩.

(٣) عقيدة الإسلام، للشيخ الكشميري، ص ٤٥.

(٤) انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٦/ ٢٠، جامع البيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر محمد ابن جرير الطبري ١١/ ٥٤، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م. عقيدة الإسلام ص ٤٥-٤٦.

وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بنزول عيسى عليه السلام.

يقول الشيخ الكشميري:

«وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى -عليه السلام- قبل يوم القيامة إمامًا عادلاً، وحكمًا مقسطًا»(١).

وقد جمع الشيخ الكشميري من بطون كتب الحديث سبعين حديثًا صريحًا في كتاب(٢) لإثبات هذه العقيدة. ومنها:

١- عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال، حتى لايقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها». ثم يقول أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم ﴿**وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَـٰبِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً**﴾(٣).

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؟»(٤).

٣- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة -قال-: فينزل عيسى بن مريم عليه السلام، فيقول أميرهم: تعال فصلّ،

---

(١) عقيدة الإسلام، للشيخ الكشميري، ص ٤٦.

(٢) نشر هذا الكتاب باسم "التصريح بما تواتر في نزول المسيح"، تحقيق: الشيخ عبد الفتاح أبوغدة من مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.

(٣) رواه البخاري في كتاب الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام ٤/ ١٤٣، ورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ. ١/ ١٣٥.
انظر: التصريح بما تواتر في نزول المسيح، ص ٩١-٩٣.

(٤) رواه البخاري في كتاب الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم ٤/ ١٤٣، ورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم ١/ ١٣٥.

فيقول: لا. إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة»[١].

وبالإضافة إلى النصوص الواردة في نزول عيسى بن مريم، فقد أجمعت الأمة عليه، ولم يخالف إلا الملاحدة والمتفلسفة. وقد نقل هذا الإجماع ابن حزم والأُبي شارح مسلم والسفاريني.[٢]

يقول الشيخ الكشميري:

«واعلم أنه كما تواتر النقل بالنزول، كذلك انعقد الإجماع عليه من الأمة وما نسب إلى المعتزلة من الخلاف، فلا أصل له عندهم، وإنما خالفه الملاحدة والمتفلسفة، كما في عقيدة السفاريني[٣]، وما نقله في مجمع البحار عن مالك ثم أوله، فقد قصر فيه النقل، وقد نقل الأُبي وغيره في شرح مسلم عن مالك في العتبية[٤] نصه بما يوافق التواتر والإجماع. وكذا من نسبه إلى ابن حزم[٥]، فإنه مصرح بتواتر النزول في كتابه "الملل"»[٦].

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم. انظر: التصريح بما تواتر في نزول المسيح، ص ٩٧-١٠٠.

(٢) انظر: إكمال إكمال المعلم، لأبي عبد الله محمد بن خلفة الوشتاني المالكي، المعروف بالأبي ١/ ٢٦٥.

(٣) انظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، لمحمد بن أحمد السفاريني ٢/ ٩٤.

(٤) انظر: البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، لابن رشد القرطبي، وضمنه المستخرجة من الأسمعة، المعروفة بالعتبية، لمحمد العتبي، تحقيق: محمد حجي ١٨/ ٣٦، إدارة إحياء التراث الإسلامي، دولة قطر.

(٥) انظر: الدرة فيما يجب اعتقاده لابن حزم، تحقيق: أحمد بن ناصر الحمد وآخر، ص ١٩٩، الطبعة الأول ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٦) انظر: عقيدة الإسلام، للشيخ الكشميري، ص ٤٩.

الحكمة في نزول عيسى بن مريم عليه السلام

تلمس بعض العلماء الحكمة في نزول عيسى بن مريم دون غيره من الأنبياء عليهم السلام، ولهم في ذلك عدة أقوال:

١- الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوا عيسى بن مريم، فبين الله تعالى كذبهم، وأنه هو الذي يقتلهم، ويقتل رئيسهم الدجال، ورجحه الحافظ ابن حجر.(١)

٢- إن نزول عيسى عليه السلام من السماء لدنوّ أجله ليدفن في الأرض، إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها.

٣- إن عيسى عليه السلام لما وجد في الإنجيل فضل أمة محمد ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾(٢). فدعا الله أن يجعله منهم، فاستجاب الله دعاءه وأبقاه حتى ينزل آخر الزمان مجدداً لأمر الإسلام.

ذكر الشيخ الكشميري هذه الأقوال، وأضاف إليه رأيه. حيث يذهب إلى أن المسيح مسيحان: مسيح هداية وهو عيسى بن مريم، ومسيح ضلالة وهو الدجال. ولما جاء عيسى بن مريم بين اليهود زعموه مسيح الضلالة، وبقوا منتظرين مسيح الهداية. فإذا جاء مسيح الضلالة الدجال ظنوه مسيح الهداية واتبعوه، فينزل عيسى بن مريم عليه السلام، ويقتله كما قتل رسول الله ﷺ أبي بن خلف بنفسه. يقول الشيخ الكشميري:

«قلت: هما مسيحان: مسيح هداية(٣)، ومسيح ضلالة، وإذا جاء مسيح الهداية زعمه اليهود مسيح الضلالة -والعياذ بالله- وبقوا منتظرين لمسيح

---

(١) فتح الباري، لابن حجر ٦/ ٥٦٨.

(٢) سورة الفتح، جزء من الآية: ٢٩.

(٣) المراد بمسيح الهداية عيسى بن مريم، وبمسيح الضلالة الدجال.

الهداية، فإذا جاء مسيح الضلالة -وهو الدجال- جعلوه موضع مسيح الهداية، وتبعوه، ولذا ورد "إن اليهود أكثر أتباعه"(١)، فإذا ادعى كونه مسيحًا وتسمى به، قدر الله -تعالى- إهلاكه على يد المسيح عيسى بن مريم -عليه السلام- كما قتل رسول الله -ﷺ- أبي بن خلف بنفسه، وكان يقول: لي فرس أقتلك عليه، فقال له رسول الله ﷺ: «بل أنا أقتلك إن شاء الله تعالى فقتله يوم أحد»(٢). »(٣).

ويرى الشيخ الكشميري أيضًا أن حياة عيسى بن مريم تشبه حياة النبي ﷺ. فقد قال رسول الله ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم، ليس بيني وبينه نبي»(٤). فينزل عيسى عليه السلام ويفتح الشام من حيث رفع، كما فتح النبي ﷺ مكة من حيث أخرج وهاجر إلى المدينة المنورة.

يقول الشيخ:

«وينزل (أي: عيسى) عليه السلام من حيث رفع، أي: من الشام، ويفتحه كفتح النبي ﷺ مكة، ويستأصل اليهود الذين أخرجوه»(٥).

ويرى الشيخ الكشميري أيضًا أن من سنة الله تعالى أنه لما بعث نبيًا في قوم من الأقوام، فإن آمنوا به فذاك، وإن كفروا به أهلكهم الله، كما وقع في قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام. ولما أرسل عيسى عليه السلام إلى بني

---

(١) روى مسلم بسنده عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا، عليهم الطيالسة». كتاب الفتن، باب في بقية من أحاديث الدجال ٣/ ٢٢٦٦.
وانظر: التصريح بما تواتر في نزول المسيح، ص ١٦٣.

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام ٣/ ٩٧، دار التراث العربي.

(٣) عقيدة الإسلام، للكشميري، ص ٥١.

(٤) رواه البخاري في كتاب الأنبياء، باب ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها﴾، بلفظ: أنا أولى الناس بابن مريم والأنبياء أولاد علات ليس بيني وبينه نبي. ٤/ ١٤٢. ورواه مسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام بهذا اللفظ أيضًا، مسلم ٢/ ١٨٣٧.

(٥) عقيدة الإسلام، ص ٥١.

إسرائيل كفروا به، فقدر اللّه له أن يرفع إلى السماء، ثم قدر نزوله، فمن يؤمن به ينجو، ومن لا يؤمن به يهلك.

يقول الشيخ الكشميري:

«واعلم أن سنة اللّه أنه لما بعث نبيًا في قوم، فإن آمنوا به فذاك، وإن كفروا به استأصلهم ودمر عليهم. وهذا في من بعث إليهم . . . وهذا حكاه اللّه تعالى وقصّه في أقوام الرسل: كقوم نوح، وهود، وصالح، ولوط . . . وأما بنو إسرائيل فكانوا من أولاد الأنبياء، وكانوا آمنوا بموسى وبمن بعده من الأنبياء، وإن عصوا بعضهم لم يهلكوا فرقًا بين الأنبياء والرسل. فلما أرسل عيسى عليه السلام إليهم، ولم يكن على شاكلة الأنبياء السابقين ممن لم ينسخ شيئًا عن أحكام التوراة، ولما نسخ عيسى -عليه السلام- بعض الأحكام كفروا به، ولما كفروا قدر أن يرفع إلى السماء هجرة له، وقدر نزوله، فمن آمن به من بني إسرائيل نجا، ومن لا، قتل وأهلك»[1].

وليس ببعيد أن تتعدد الحكمة في واقع، فإن الحكمة لا تقف عند حد، ولكل واحد أن يتفكر في الواقع ويستخرج الحكمة حسب علمه ومعرفته، فاستخراج الشيخ الكشميري هذه الحكم في نزول عيسى بن مريم لا يعنى به أنه لا يرى الحكم السابقة، بل هي إضافة جديدة عليها اهتدى إليها الشيخ الكشميري.

---

(١) عقيدة الإسلام، ص ٥١-٥٢.

رفع عيسى عليه السلام ببدنه وروحه

ذهب المحققون من أهل السنة إلى أن عيسى بن مريم عليه السلام رفع إلى السماء ببدنه وروحه، وأنه حي في السماء، وسينزل في آخر الزمان، ويؤمن به من كان موجوداً من أهل الكتاب، كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾[١].

وروي عن ابن عباس في تفسير هذه الآية أنه قال: «سيدرك أناس من أهل الكتاب حين يبعث عيسى سيؤمنون به»[٢].

بينما يرى الآخرون من العلماء أن عيسى بن مريم لم يرفع بجسمه، بل مات كما مات كل الأنبياء والصالحين وغيرهم، وأن الذي رفع هو روحه.[٣]

وهؤلاء العلماء يعتمدون على الآيات القرآنية التي جاءت بكلمة "التوفي"، والظاهر أن التوفي هو خروج الروح من الجسد.

وممن ذهب إلى هذا الرأي من العلماء المتأخرين الأستاذ محمد عبده[٤] والسيد محمد رشيد رضا[٥]، والدكتور أحمد شلبي[٦].

والشيخ الكشميري يرى -كسائر المحققين- أن عيسى بن مريم عليه السلام رفع بجسده وروحه إلى السماء، وأنه حي في السماء، وسينزل قرب القيامة. ولفظ "التوفي" الوارد في الآية لا يدل على الموت. يقول:

«التوفي -كسائر نظائره في المادة- للأخذ والتناول، كوفاء العدة، أو

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٥٩.

(٢) الدر المثور في التفسير المأثور ٢/ ٢٤١.

(٣) المسيحية، للدكتور أحمد شلبي، ص ٦٢، الطبعة الثامنة ١٩٨٤م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

(٤) انظر: تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا ٣/ ٣١٦.

(٥) تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا ٣/ ٣١٦، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.

(٦) المسيحية للدكتور أحمد شلبي، ص ٦٨.

الدين اللازم والأجل المضروب. ولا دلالة له على الموت من حيث اللفظ والاستعمال، نعم يجامعه كثيراً؛ لأن استيفاء العمر يعقبه الموت، وهذا أمر آخر. ولو كان قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ بمعنى المميت حقًا لم يحتج إلى "وَرَافِعُكَ" ... والمعنى: إني موفيك أجلاً قدرته لك، فالمعادلة من جنس الفعلَ، أي: لا أترك أعداءك يتسلطون على قتلك، بل أنا متوفيك»[1].

وذكر الشيخ الكشميري وجوهًا متعددة في كشف معنى هذا اللفظ من مساق نظم القرآن وسياقه واتساقه، ومنها ما يلي:

١- إنه قابل بين الحياة والموت، ولم يقابل بين التوفي والحياة، بل قابل بينه وبين شيء آخر، فدل إطراد هذا الصنيع أنه ليس بمعنى الموت.

قال تعالى: ﴿يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[2].

وقال: ﴿الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾[3].

وقال: ﴿كِفَاتًا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾[4].

وقال: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾[5].

وقال: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾[6]. وغيرها من الآيات.

وأما مقابلات التَّوفِّي فأمور بحسب معناه، قال تعالى: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّادُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾[7]. فقابله بالكون فيهم.

---

(١) عقيدة الإسلام، ص ١٠٩.

(٢) سورة الحديد، جزء من الآية: ١٧.

(٣) سورة البقرة، جزء من الآية: ٢٥٨.

(٤) سورة المرسلات، جزء من الآية: ٢٥، والآية: ٢٦.

(٥) سورة البقرة، جزء من الآية: ٢٨.

(٦) سورة النجم، الآية: ٤٤.

(٧) سورة المائدة، جزء من الآية: ١١٧.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾(١).

قوله: ﴿وَالَّتِي﴾ أي: والنفس التي لم تمت يتوفاها في منامها. فقوله: ﴿فِي مَنَامِهَا﴾ يتعلق بقوله: ﴿يَتَوَفَّى﴾ قيده في الصورة الأولى بقوله: ﴿حِينَ مَوْتِهَا﴾، فليس التوفي عين الموت، وقسمه إلى الموت وإلى المنام فصار نصًا في أنه يغاير الموت. يفارقه ويجامعه.(٢)

ثم يصل الشيخ الكشميري بعد تفسير هذه الآية إلى أن التوفي في هذه الآية ليس بمعنى الإماتة من ثلاثة وجوه:

١- من جهة أن التوفي أوقع على النفس، ولا توقع الإماتة عليها.

٢- من جهة أنه قيده في القسم الأول بقوله: ﴿حِينَ مَوْتِهَا﴾، فلو كان عينه لم يقيده به.

٣- من جهة أنه قسمة إلى الإمساك والإرسال.(٣)

٢- ومما ذكره الشيخ من الوجوه في كشف معنى هذا اللفظ:

«إن التوفي أسند كثيرًا إلى الملائكة في القرآن، كما أسند إلى اللّه أيضًا، بخلاف الإماتة، فإنه لم يسنده إلى غير اللّه، فكان التوفي شيئًا غير الإماتة.

قال تعالى: ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾(٥). لم يقل: "أماتته رسلنا" لشبهة اتحاد الشرط والجزاء، ووضع بدله "توفته"، فكان مغايرًا له.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

(٢) عقيدة الإسلام، ص ١١٥.

(٣) نفس المصدر،

(٤) سورة يونس، الآية: ٥٦.

(٥) سورة الأنعام، جزء من الآية: ٦١.

ومن الصريح قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَتَوَفَّـهُنَّ الْمَوْتُ﴾[١]. فإن تفسيره بقولنا: حتى يميتهن الموت في الركَّة[٢] بحيث يجب صيانة القرآن عنه.

ومن الصريح قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾[٣]. في قراءة علي بصيغة المعروف، فإنه لا يمكن أن يكون بمعنى الإماتة، بل يتعين أن يكون بمعنى استيفاء العمر.[٤]

ما ذكره الشيخ الكشميري من معنى التوفي في آية: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ موافق لأصحاب اللغة، يقول أبو البقاء[٥]:

«التوفي: الإماتة وقبض الروح، وعليه استعمال العامة، أو الاستيفاء وأخذ الحق، وعليه استعمال البلغاء»[٦].

ويقول الزمخشري[٧] في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾:

«أي: مُستوفي أجلك، ومعناه: أني عاصمك من أن يقتلك الكفار، ومؤخرك إلى أجل كتبته لك، ومميتك حتف أنفك لا قتلاً بأيديهم»[٨].

---

(١) سورة النساء، جزء من الآية: ١٥.

(٢) الركّة: ركّ يركّ ركًا وركّةً بمعنى ضَعُفَ ورقّ.

(٣) سورة البقرة، جزء من الآية: ٢٣٤.

(٤) عقيدة الإسلام، ص ١٢٢.

(٥) أبو البقاء: هو أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، صاحب الكليات، كان من قضاة الأحناف، توفي وهو قاض بالقدس سنة ١٠٩٥هـ. انظر: الأعلام ١/ ٣٨٣.

(٦) الكليات لأبي البقاء، ص ٣١٣.

(٧) الزمخشري: هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي، النحوي، كان رأسًا في البلاغة، والعربية، والمعاني، والبيان، من كتبه "الكشاف" و"المفصل". مات سنة ٥٣٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٢/ ١٥١، الأعلام ٨/ ٥٥.

(٨) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأليف، لأبي القاسم جار الله محمود ابن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، ١/ ٤٣٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

وما ذهب إليه الشيخ الكشمير من أن عيسى بن مريم عليه السلام رفع بجسمه وروحه وهو حي في السماء هو عقيدة أهل السنة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عند ما سُئل عن هذه القضية فقال:

«الحمد للّه عيسى عليه السلام حي، وقد ثبت في الصحيح[١] عن النبي -ﷺ- أنه قال: «ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً، وإمامًا مقسطًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية». وقد ثبت في الصحيح[٢] «أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق، وأنه يقتل الدجال». ومن فارقت روحه جسده لم ينزل جسده من السماء، وإذا أحيي فإنه يقوم من قبره»[٣].

ويقول شيخ الإسلام عن قوله تعالى: ﴿**إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾:

هذا دليل على أنه لم يعن بذلك الموت، إذ لو أراد بذلك الموت لكان عيسى في ذلك كسائر المؤمنين، فإن اللّه يقبض أرواحهم، ويعرج بها إلى السماء، فعلم أن ليس في خاصية. وكذلك قوله: ﴿**وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾. ولو كان قد فارقت روحه جسده لكان بدنه في الأرض كبدن سائر الأنبياء، أو غيره من الأنبياء.

وقد قال اللّه تعالى في الآية الأخرى: ﴿**وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ**﴾[٤]. فقوله هنا: ﴿**بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ**﴾ يبين أنه

---

(١) انظر: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ ١/ ١٣٥. التصريح بما تواتر في نزول المسيح، للكشميري، ص ٩١.

(٢) انظر: صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وما معه ٣/ ٢٢٥٣، سنن الترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء في فتنة الدجال ٤/ ٥١٧، التصريح بما تواتر في نزول المسيح، ص ١١٥.

(٣) مجموع الفتاوى ٤/ ٣٢٢.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٥٧، وجزء من الآية: ١٥٨.

رفع بدنه وروحه، كما ثبت في الصحيح أنه ينزل بدنه وروحه.

ولهذا قال من قال من العلماء: إني متوفيك: أي قابضك: أي قابض روحك وبدنك، يقال: توفيت الحساب واستوفيت. ولفظ التوفي لا تقتضي نفسه توفي الروح دون البدن، ولا توفيهما جميعًا إلا بقرينة منفصلة. وقد يراد به توفي النوم، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[١]. وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّـكُم بِالَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَاجَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾[٢]. ﴿حَتَّى إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾[٣]. [٤]

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

(٢) سورة الأنعام، جزء من الآية: ٦٠.

(٣) سورة الأنعام، جزء من الآية: ٦١.

(٤) مجموع الفتاوى ٤/ ٣٢٢-٣٢٣.

المبحث الثاني

خروج الدجال

من أشراط الساعة الكبرى خروج الدجال. وقد صحت الأحاديث بخروجه في آخر الزمان حتى أصبح خروجه من اليقينيات المقطوع بها، وقد بين رسول اللّه -ﷺ- أوصاف وأحوال وأفعال ونهاية الدجال أوفى بيان، مما يدل على أن الدجال شخص حقيقي، يعطيه اللّه ما يشاء من خوارق ابتلاءً واختباراً لعباده. لا أنه رمز للخرافات والدجل والقبائح، كما ذهب إليه بعض المتأخرين، كالشيخ محمد عبده(١) ومن تبعه(٢).

وقد ذكر الشيخ الكشميري مجموعة من أحاديث الدجال مما يدل على اعتقاده بحقيقة خروج الدجال. ومنها:

عن النواس بن سمعان -رضي اللّه عنه- قال: ذكر رسول اللّه -ﷺ- الدجال ذات غداة فخفّض فيه ورفّع(٣)، حتى ظنناه في طائفة النخل(٤)، فانصرفنا من عند رسول اللّه -ﷺ-، ثم رُحنا إليه(٥)، فعرف ذلك فينا،

---

(١) محمد عبده: هو محمد عبده بن حسن خير اللّه من آل التركماني، مفتي الديار المصرية، ولد سنة ١٢٦٦هـ، ومات سنة ١٣٢٧هـ. انظر: معجم الأعلام، ص ٧٤٥، (معجم تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، بسام عبد الوهاب الجالي، الجفان والجالي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، تاريخ الأدب العربي، لأحمد حسن الزيات، ص ٤٤٣، الطبعة السادسة والعشرون، دار الثقافة، بيروت.

(٢) انظر: تفسير المنار ٣/ ٣١٧.

(٣) معنى "خفض فيه": حقّره، ومعنى "رفع": عظّمه وفخّمه، أو "خفض فيه ورفع": أنه خَفَّض من صوته لكثرة ما تكلم في شأن الدجال، فخفض بعد طول الكلام والتعب ليستريح، ثم رفّع ليبلغ صوته كل أحد. انظر: شرح النووي مع مسلم ١٨/ ٦٣.

(٤) أي: في ناحية بساتين النخل بقرب المدينة، كأنه حضر الآن.

(٥) أي: إلى رسول اللّه ﷺ.

فقال: ما شأنكم؟ فقلنا: يا رسول الله! ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم.

إنه شاب قَطَط[(١)]، عينه طافية[(٢)]، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن[(٣)]، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خَلَّة بين الشام والعراق، فعاث يمينًا وشمالاً، يا عباد الله فاثبتوا.

قلنا: يا رسول الله! وما لبثه في الأرض[(٤)]؟. قال: أربعون يومًا، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم. قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، اقدروا له قدره. قلنا: يا رسول الله! وما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على قوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم[(٥)] أطول ما كانت ذري[(٦)]، وأسبغه ضروعًا[(٧)]، وأمده خواصر[(٨)].

ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون

---

(١) أي: شديد جعودة الشعر جعودة مكروهة.

(٢) بالياء، أي مرتفع، نائتة.

(٣) رجل من خزاعة، كما جاء في بعض الطرق.

(٤) أي: ما قدر مكثه وبقائه؟.

(٥) السارحة: هي الماشية التي تسرح، أي: تذهب أول النهار إلى المرعى.

(٦) الذري: جمع ذروة، وهي هنا أعلى سنام الجمل، وهذا كناية عن كثرة السمن في السارحة والماشية التي عندهم.

(٧) الضروع: جمع ضرع، وهو الثدي، إسباغ الضروع: اتساعًا بكثرة ما فيها من اللبن.

(٨) الخواصر: جمع خاصرة، وهي ما تحت الجنب، ومدها كناية عن زيادة امتلائها بكثرة ما رعته وأكلته من المراعي الخصبة.

ممحلين[١] ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة[٢] فيقول لها: اخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل[٣].

ثم يدعو رجلاً شابًا ممتلئًا شبابًا، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين[٤] رمية الغرض[٥]، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله عيسى بن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهروذتين[٦] واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه[٧] قطر، وإذا رفعه تحدّر منه جمان كاللؤلؤ[٨]، فلا يحل لكافر يجد ريح نَفَسه إلا مات، ونَفَسُه ينتهي حيث ينتهي طرفه[٩]، فيطلبه حتى يدركه بباب لُدّ[١٠]، فيقتله ... الحديث.[١١]

وفي هذا الحديث الطويل لدلالة واضحة على أحوال وأفعال الدجال، وعلى ما يؤتى من خوارق، وما يؤول إليه أمره ونهايته.

---

(١) أي: يصبحون وقد أصابهم المحل، وهو انقطاع المطر، ويبس الأرض من الكلأ والعشب.

(٢) أي: بالأرض الخربة والبقاع الخربة.

(٣) يعاسيب: جمع يعسوب، وهو أمير النحل، متى طار تبعته جماعته.

(٤) جَزلتين: -بفتح الجيم وكسرها- بمعنى قطعتين.

(٥) الغرض: الهدف، ومعنى رمية الغرض: أنه حينما يقطع الدجال بالسيف ذلك الشاب قطعتين تتباعد القطعتان عن بعضهما كبعد رمية السهم عن القوس.

(٦) المهروذتين: مثنى مهروذة، يروى بالذال المعجمة وبالدال المهملة، أي: ينزل في حلتين فيهما صفرة خفيفة.

(٧) طأطأ رأسه: خفض رأسه.

(٨) الجمان: حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار، والمراد يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه.

(٩) أي: حيث ينتهي امتداد بصره.

(١٠) بلدة معروفة، الآن في فلسطين، قريبة من بيت المقدس.

(١١) رواه مسلم في كتاب الفتن، باب ذكر الدجال ٣/ ٢٢٥٠. انظر: التصريح بما تواتر في نزول المسيح، للكشميري، ص ١٠٢-١٢٥.

ونظراً إلى هذه الدلالة الواضحة للحديث على الدجال يقول الشيخ الكشميري في معرض الرد على المنكرين للدجال:

«إنه (ﷺ) قد أخبرنا عنه (الدجال) كأنا به رأى عين»[١].

ويقول الشيخ الكشميري عن خوارق الدجال:

«واعلم أنه لا يكون مع الدجال إلا تخيلات، ليس لها حقائق، فلا يكون له ثبات، وإنما يراه الناس في أعينهم فقط»[٢].

إنما يعني الشيخ الكشميري بذلك أن خوارق الدجال لا تثبت، إنما هي خوارق باعتبار أعين الناس.

ومما يؤيد رأي الكشميري ما جاء في الحديث عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: ما سأل أحد رسول الله ﷺ عن الدجال أكثر مما سألته، قال: وما يُنصبُك[٣] منه؟ إنه لا يضرك، قال: قلت: يا رسول الله إنهم يقولون إن معه الطعَام والأنهار، قال: «هو أهون على الله من ذلك»[٤]

يقول ملا علي القاري في شرح قوله ﷺ: «هو أهون على الله من ذلك» أي: هو أحقر من أن يحقق الله له ذلك، وإنما هو تخيل وتمويه للابتلاء.[٥]

وما ذهب إليه الشيخ الكشميري من خروج الدجال هو امتداد لمذهب أهل السنة.

يقول القاضي عياض رحمه الله:

«هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب

---

(١) فيض الباري ٤/ ٤٩٦.

(٢) فيض الباري ٤/ ١٩.

(٣) ما ينصبك منه: أي ما يتعبك من أمره.

(٤) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الدجال وهو أهون على الله عز وجل ٣/ ٢٢٥٧.

(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن سلطان محمد القاري ٥/ ٢١٣.

أهل الحق في صحة وجوده، وأنه شخص بعينه، ابتلى الله به عباده، وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى؛ من إحياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه، وجنته وناره، ونهريه، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته، ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك، فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره. ويبطل أمره، ويقتله عيسى ﷺ، ويثبت الله الذين آمنوا.

هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار، خلافًا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة. . . »[١].

يقول الحافظ ابن حجر عن فتنة الدجال نقلاً عن ابن العربي:

«قال ابن العربي: الذي يظهر على يدي الدجال من الآيات من إنزال المطر والخصب على من يصدقه، والجدب على من يكذبه، واتباع كنوز الأرض له، وما معه من جنة، ونار، ومياه تجري، كل ذلك محنة من الله واختبار، ليهلك المرتاب، وينجو المتيقن، وذلك كله أمر مخوف. ولهذا قال ﷺ: «لا فتنة أعظم من فتنة الدجال»[٢].

ويقول الحافظ ابن حجر عن كذب الدجال في ادعائه الألوهية والدلالة عليه:

«وفي الدجال مع ذلك دلالة بينة لمن عقل على كذبه، فإنه ذو أجزاء مؤلفة، وتأثير الصنعة فيه ظاهر مع ظهور الآفة به من عور عينيه، فإذا دعا الناس إلى أنه ربهم، فأسوأ حال من يراه من ذوي العقول أن يعلم أنه لم يكن يسوي خلق غيره، ويعدله، ويحسنه، ولا يدفع النقص عن نفسه، فأقل ما يجب أن يقول: يا من يزعم أنه خالق السماء والأرض صَوِّر نفسك، وعدلها، وأزل عنها العاهة، فإن زعمت أن الرب لا يحدث في نفسه شيئًا فأزل ما هو

---

(١) شرح النووي لمسلم ١٨/ ٥٨-٥٩، وفتح الباري ١٣/ ١١٣.

(٢) فتح الباري ١٣/ ١١١.

مكتوب بين عينيك»[١].

ونظرًا إلى عظم وخطر فتنة الدجال أمرنا رسول اللّه ﷺ بالاستعاذة منها:

فعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «إذا تشهّد أحدكم فليستعذ باللّه من أربع: يقول: اللّهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة الدجال»[٢].

---

(١) فتح الباري ١٣/ ١١٠-١١١.

(٢) رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة ١/ ٤١١.

المبحث الثالث

خروج يأجوج ومأجوج

ومن أشراط الساعة الكبرى خروج يأجوج ومأجوج . وقد أشير إليهم في غير آية من القرآن الكريم . فقال تعالى :

﴿ قَالُوا يَـٰذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾[٢] .

وقد جاء ذكرهم في الأحاديث أيضًا .

فقد قال ﷺ : «لا تقوم الساعة حتى تكون عشرُ آيات : طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، والدخان ، والدابة ، ويأجوج ومأجوج ، ونزول عيسى بن مريم ، وثلاث خسوفات . ونار تخرج من قعر عدن أبين . . . الحديث .[٣]

ويقول الشيخ الكشميري :

قد تواتر في الأحاديث أنه (عيسى) -عليه السلام- ينزل بعد خروج الدجال ، فيقتله ويريهم دمه على حربته ، ثم يخرج يأجوج ومأجوج فيهلكم الله بدعائه .[٤]

وقبل الحديث عنهم أرى من المناسب أن أتعرف على هذين اللفظين لغة ، هل هما اسمان عربيان أم أعجميان معربان؟ فيه قولان .

القول الأول: إنهما اسمان عربيان ، وعلى هذا التقدير يكون اشتقاقهما :

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ٩٤ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٩٦ .

(٣) رواه ابن ماجه في سننه ، في كتاب الفتن ، باب الآيات ٢ / ١٣٤٧ ، وانظر : التصريح بما تواتر في نزول المسيح ، ص ١٣٢ .

(٤) عقيدة الإسلام ، ص ٣٥٨ .

١- من أجَّت النار : إذا التهبت .

٢- أو من الأجاج : وهو الماء الشديد الملوحة ، المحرق لملوحته .

٤- أو يكون يأجوج من "الأج" ، وهو سرعة العدو ، ومأجوج من "ماج" بمعنى اضطرب ، ويأجوج على وزن "يفعول" . ومأجوج على وزن : مفعول" ، أو هما على وزن "فاعول" .

وقرأ الجمهور ياجوج وماجوج بدون الهمزة ، وقرأ عاصم بالهمزة .[١]

وجميع ما ذكر من الاشتقاق مناسب لحالهم ، ويؤيد من جعل الاشتقاق من "ماج" إذا اضطرب . قوله تعالى : ﴿**وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ**﴾[٢] . وذلك عند خروجهم من السد .

القول الثاني : إنهما اسمان أعجميان ، يقول الحافظ ابن حجر : «وهما اسمان أعجميان عند الأكثر منعًا من الصرف للعلمية والعجمي»[٣] .

يقول الإمام الآلوسي :

«الظاهر أنهما اسمان أعجميان»[٤] .

ونقل الشيخ الكشميري ما اشتهر عن المؤرخين في كلمة يأجوج ومأجوج من أنهما معربان من "گاگ و مگاگ" (GOG MAGOG) الألمانية ، أو من "كاس وميكاس" أو من "چين وماچين" أو من منگوليا و منچوريا" .

ووصل الشيخ في النهاية إلى عدم القطع بهذه الألفاظ .[٥]

---

(١) انظر : لسان العرب ٢/ ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، حرف الجيم ، فصل الألف ، مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ، تحقيق : صفوان عدنان داودي ، ص ٦٤ ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٤م . فتح الباري ١٣/ ١١٤ ، شرح النووي مع مسلم ١٨/ ٣ ، عمدة القاري للعيني ١٥/ ٢٣٢ .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ٩٩ .

(٣) فتح الباري ١٣/ ١١٤ .

(٤) روح المعاني ١٦/ ٣٩ .

(٥) انظر : عقيدة الإسلام ، ص ٣٦٠ ، فيض الباري ٤/ ٢٣ .

وقد جاءت أقوال في أصل ونسب يأجوج ومأجوج، ولعل أقرب الأقوال إلى الصحة ماذكره الحافظ ابن حجر: أنهما من بني آدم، من بني يافث بن نوح.

وبه جزم وهب بن منبه[(١)]. واعتمده كثير من المتأخرين.[(٢)]

ويقول ابن كثير: والصحيح أنهم من بني آدم، وعلى أشكالهم وصفاتهم.[(٣)]

وذكر الشيخ الكشميري أيضًا أنهم ذرية يافث بن نوح.[(٤)]

ومما يدل على أنهم من ذرية آدم عليه السلام ما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-، عن رسول الله -ﷺ- قال: «يقول الله تعالى: يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، فيقول: أخرِج بعث النار. قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين، فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد، قالوا: وأينا ذلك الواحد، قال: أبشروا، فإن منكم رجلاً، ومن يأجوج ومأجوج ألف»[(٥)].

وعن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله -ﷺ- «إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم، وأنهم لو أرسلوا إلى الناس لأفسدوا عليهم معايشهم، ولن يموت منهم أحد إلا ترك ذريته ألفًا فصاعدًا»[(٦)].

---

(١) وهب بن منبه: هو وهب بن منبه بن الكامل الصنعاني، تابعي، ثقة، كان على قضاء صنعاء، مات سنة ١١٠هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٤٤.

(٢) فتح الباري ١٣/ ١١٣، عمدة القاري للعيني ١٥/ ٢٣٢، روح المعاني ١٦/ ٣٨، الكشاف ٢/ ٤٩٨.

(٣) البداية والنهاية، لابن كثير ٢/ ١١٠.

(٤) فيض الباري ٤/ ٢٣.

(٥) رواه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج ٤/ ١١٠.

(٦) مسند أبي داود الطيالسي، للحافظ الكبير سليمان بن داود بن الجارود الفارسي البصري، الشهير بأبي داود الطيالسي، المتوفى سنة ٢٠٤هـ. ١٩/ ٣٠١، رقم: ٢٢٨٢، دار المعرفة، بيروت.

وقد جاءت أقوال مختلفة في أوصافهم، وأغلب هذه الأقوال والأخبار إما أنها ترجع إلى الإسرائيليات التي ابتلى بها -مع الأسف- تاريخنا القديم، أو أنها كانت مرتعًا خصبًا للقصاصين الذين يزيدون عليها ما طاب لهم من خيال وتصاوير، يبتغون من ورائها إعجاب العامة ورضاهم، يقول الشيخ الكشميري نقلاً عن كتاب الجمان في تاريخ الزمان للعيني:

«إنه لم يصح في صفتهم شيء كثير»(١).

وأما كثرتهم فهي ثابتة بالنصوص الصحيحة.

يقول الشيخ الكشميري: «قد صح في كثرتهم أحاديث»(٢).

يقول ابن كثير بعد ذكر حديث إخراج بعث النار -كما سبق أن ذكرنا- يقول:

«وهذا يدل على كثرتهم وأنهم أضعاف الناس مرارًا عديدة»(٣).

ومما يدل على كثرتهم قوله تعالى: ﴿وَهُمْ مِن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾. فإنه واضح في الدلالة على الكثرة.

ويرى الشيخ الكشميري أن يأجوج ومأجوج فرقتان من الفرق في الشمال والشرق، فهو يقول:

«بل هما شعبتان من شعب في الشمال والشرق»(٤).

وخروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان علامة من علامات الساعة الكبرى. يقول الشيخ الكشميري عن خروجهما:

«المراد من الخروج حملتهم وفسادهم، وذلك كائن لا محالة في زمانه

---

(١) فيض الباري ٤/ ٢٢٦.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣) البداية والنهاية، لابن كثير ٢/ ١٠٩.

(٤) عقيدة الإسلام، ص ٣٦١.

الموعود، وكل شيء عند ربك إلى أجل مسمى. وليس السد منعهم من الفساد، فهم يخرجون على سائر الناس في وقت، ثم يهلكون بدعاء عيسى عليه السلام»[١].

وقد ورد في حالهم عند خروجهم ما أخرجه مسلم من حديث النواس بن سمعان بعد ذكر الدجال وقتله على يد عيسى، قال: «ثم يأتي عيسى بن مريم قومٌ قد عصمهم الله منهم فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عباداً لي لايدان لأحد بقتالهم[٢]، فحَرِّز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمُرُّ أوائلهم على بحيرية طَبْرية، فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، يحصر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب[٣] نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف[٤] في رقابهم فيصبحون فرسى[٥] كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم[٦] ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً لا يكُنُّ[٧] منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة[٨]، ثم

---

(١) فيض الباري ٤/ ٢٣.

(٢) لايدان لأحد بقتالهم: قال العلماء: لا قدرة ولا طاقة.

(٣) فيرغب: أي: يدعو الله.

(٤) النغف -بفتح النون والغين المعجمة ثم فاء-: هو دود يكون في أنوف الإبل والغنم، واحدتها نَغَفَة. انظر: النهاية لابن الأثير ٥/ ٨٧.

(٥) فرسى: جمع فريس، بمعنى قتلى.

(٦) زَهَمهم -بالتحريك: مصدر، زهِمَت يده، تزهم، من رائحة اللحم، أراد أن الأرض تُنْتِن من جيَفهم. انظر: النهاية ٢/ ٢٣٢.

(٧) لا يَكُنُّ: أي: لا يمنع.

(٨) الزلفة: أي: كالمِرآة.

يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردّي بركتَك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحْفها(١)، ويبارك في الرَسل(٢)، حتى أن اللِّقْحَة(٣) من الإبل لتكفي الفئام مَن النَاس، واللقحة من البَقرة لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة عن الغنم لتكفي الفخذ(٤) من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس، يتهارجون(٥) فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة . . . »(٦).

ويرى الشيخ الكشميري أن يأجوج ومأجوج لهم عدة خروجات، ويكون خروجهم الأخير على سبيل الإفساد والإهلاك. وهو المراد من قوله عز وجل: ﴿**حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ**﴾(٧). وهو الذي جُعل من أشراط الساعة، ويكون هذا الخروج قبيل نزول عيسى بن مريم عليه السلام.

ويرى الشيخ الكشميري أيضًا أن خروجهم هذا قبيل نزول عيسى بن مريم عليه السلام لا يمنع من إفسادهم في الأرض في وقت دون وقت.(٨).

ويؤيده قوله تعالى: ﴿**وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ**﴾(٩). فقد

---

(١) بقحْفها: أراد قشرها، تشبيهًا بقحف الرأس، وهو الذي فوق الدماغ، وقيل: ما انفلق من جُمجُمَته وانفصل. انظر: النهاية ٤/ ١٧.

(٢) الرِسل: هو اللبن. انظر: النهاية ٢/ ٢٢٢.

(٣) اللقحة - بكسر اللام وفتحها-: وهي القريبة العهد بالولادة.

(٤) الفخذ: الجماعة من الأقارب. النهاية ٣/ ٤١٨.

(٥) يتهارجون: أي: يجامع الرجال والنساء علانية بحضرة الناس، كما يفعل الحمير، ولا يكترثون لذلك.

(٦) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصنعته وما معه. ٣/ ٢٢٥٠-٢٢٥٥، وانظر: التصريح بما تواتر في نزول المسيح، ص ١٠٢.

(٧) سورة الأنبياء، الآية: ٩٦.

(٨) انظر: عقيدة الإسلام، ص ١٦٤.

(٩) سورة الكهف، الآية: ٩٩.

جاءت في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ثلاثة أقوال. منها ما قيل: تركنا يأجوج ومأجوج وقت كمال السدّ يموج بعضهم في بعض.

وقال القرطبي: إنه أظهر الأقوال الثلاثة.[١]

ويقول الشيخ الكشميري بعدذكر رأيه عن يأجوج ومأجوج:

«واعلم أن ما ذكرته ليس تأويلاً في القرآن، بل زيادة شيء من التاريخ والتجربة بدون إخراج لفظه من موضوعه، فلا يتسع الخرق، فإن التاريخ لما ذكر أن بعض الشعوب الخارجة من السدّ من نسل يأجوج ومأجوج أيضًا. قلنا: إن ثبت فالقرآن لم يذكر السد على كلهم، ولا من كل جهة، فليكن الخارجون المذكورون من يأجوج ومأجوج، ولكن ليسوا بمرادين في القرآن، وإن ثبت أنه اندكّ أو خرجوا من جانب آخر فليكن موج بعضهم في بعض متجدداً مستمراً حتى ينزل عيسى -عليه السلام- فيخرجون أيضًا من بلادهم من السّد المندك ويفسدون في الأرض حتى يهلكهم اللّه تعالى بدعائه عليه السلام»[٢].

وما ذكره الشيخ الكشميري في يأجوج ومأجوج لَخَّصه تلميذه البنوري فلا أرى بأسافي أن أنقل هذا التلخيص ليتضح رأيه، يقول البنوري:

«إنا لا نقطع بأن يأجوج ومأجوج معرّب "**گاگ**" و"**ميگاگ**" في الإنجليزية، ولا نقطع بأن روسيا من يأجوج، وأهل برطانيا من مأجوج، كما اشتهر عند المؤرخين، أو أنه فرقة من الآريوسية، لقبها يأجوجي. فإن جميع هؤلاء بمعزل من الصفات التي وردت في أحاديث قد صحت عدة منها،

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ١١/ ٩٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٩٦٥م - ١٩٦٦م، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق وتعليق: عبد اللّه بن إبراهيم الأنصاري، والسيد عبد العال عبد القادر، المطبوع في دولة قطر ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، فتح العزيز للشوكاني ٣/ ٤٥٠، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٢) عقيدة الإسلام، ص ٣٦٦.

وكونهم موصوفين بها قبيل نزول عيسى عليه من إهلاك النسل والحرث، وتخريب البلاد، والنهب، والسفك، وشنّ الغارة، لا أخذ المماليك والبلاد بالسياسة، والتدبر، وقهرالأقوام بلطائف الحيل والتزوير.

ونقطع ببطلان ما قيل: أنها معرّبان من "كاس وميكاس" أو "چين ماچين"، أو منگوليا ومنجوريا". بل هما شعبتان من شعب في الشمال والشرق، نعم إن انتهت إلى هؤلاء الأورباويين، أو روسيا أصلاً ونسلاً فلتنتهيا. لا انتماءً ونحلةً.

ولهم خرجات عديدة، والمراد في قول الله عز وجل: ﴿**إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ**﴾. وفي الأخبار هو خروجهم الأخير على سبيل الإفساد والإهلاك، وهو الذي جعل من أشراط الساعة. وليس أنهم مسدودين بالسد من كل جانب، بل من شعب خاص، ولا أن السدّ سدّ جميعهم، فلو كان السَدّ مندكًّا وهم خرجوا عنه، أو خرجوا من جهة أخرى فلا يضرنا، فإنه ليس ذلك الخروج مرادًا مطلقًا. أو يكون منهم شعب خاص يكون لهم الخروج قبيل نزول المسيح عليه السلام بالصفات الواردة في الأخبار»[(١)].

وبعد أن ذكر البنوري هذا التلخيص يقول:

«وهذا الذي اختاره الشيخ -رحمه الله- طريقة مثلى لمن كان يؤمن بالقرآن والسنة في اعتبار واستبصار من التاريخ، لا أن يحرف القرآن، وينكر الأخبار، ويؤمن بالتاريخ الذي تقادم عهده، وتطاول أمده بالقرون، ولم يقم عليه بعد برهان ساطع، بل أساسه ورأس ماله التخمين والجُزاف، والتحليل، والتركيب في وقائع، ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون، ويتأثر من نكير ملاحدة المؤرخين فينكر من الأخبار رأسًا، ويقيم رأيًا، ويظنه وحيًا سماويًا قطعيًا، أو يقول: قد مضى خروجهم، وما أخبر به القرآن قد تحقق فيماسلف، ويغمض عينيه من أحاديث الرسول ﷺ، فليس ذلك من الإيمان

---

(١) نفحة العنبر، ص ١٦٧.

في شيء، واللّه الهادي إلى الصواب»(١).

ومما ينبغي أن يعلم أن أمة يأجوج ومأجوج علم غيبي مثل غيره من علامات الساعة كالدجال، والدخان، والدابة، والنار، ولا شك أن كل هذه العلامات ستعرف في حينها عين اليقين. والخير أن لا نخوض في شيء غيبي نجهله، بل يكفي أن نقف على دلالات النصوص الصحيحة. فليس علينا إلا أن نؤمن بهاتين الأمتين كما ورد أمرهما في القرآن الكريم، وصحيح السنة. وأما ما وراء ذلك من التفصيلات المتعلقة بصفاتهم، وكيفياتهم، وتفصيل أخبارهم فلا مطمح في باب العقيدة في اعتماد شيء، بل إن معظم ما ورد من تفصيل أخبارهم، وصفاتهم، وأشكال جسومهم إنما تناقله الناس عن طريق أحاديث واهية، أو منكرة، أو باطلة.

ولقد أجاد الدكتور البوطي عند ما قال:

«وخير من الخوض في ذلك أن نقف عند حدود الدلالات القطعية، التي ثبتت بصريح القرآن وصحاح الأحاديث الواردة عن الرسول ﷺ ثم ننتظر في معرفة الكنه والتفاصيل الواقع الزمني نفسه، فهو الذي سيتكفل وحده بشرح كل شيء منهم، وذلك أن يأجوج ومأجوج غيب من الغيوب التي أخبرنا اللّه عن ظهورها بين يدي الساعة، وهو أمر لم يظهر بعد. فهو لا يزال في تلافيف الغيب لم يتبين لنا إلا الأخبار عنه بشكل إجمالي، إذ لا عبرة للتفصيلات التي وصلتنا بالطرق الباطلة والواهية، وإذًا فلا معنى للخوض في شيء لا سبيل إلى العلم بتفصيلاته، اللّهم إلا سبيل الرجم بالغيب»(٢).

ومما يتصل بيأجوج ومأجوج ذوالقرنين فقد جاء في القرآن الكريم ذكر يأجوج ومأجوج ضمن قصة ذي القرنين، فلا بأس بأن نذكر رأي الشيخ

---

(١) نفحة العنبر ص ١٦٧.

(٢) كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، ص ٣٥٦، دار الفكر، الطبعة الخامسة ١٣٩٧هـ.

الكشميري فيه، فهو يرى أن ذا القرنين مَلِك صالح من الملوك، كان في زمن إبراهيم الخليل عليه السلام، فهو يقول:

«فالذي ينبغي أن يعلم ويكفى ههنا أن الظاهر من أمر ذي القرنين أنه رجل ليس من أهل المشرق كما قيل: إنه فغفور الصين الذي بنى سداً هناك في طول ألف ومائتي ميل، ويمر على الجبال والبحار، لأنه لو كان كذلك لقيل في القرآن العزيز بعد سفره إلى المغرب إنه رجع إلى المشرق كالراجع إلى وطنه، ولا من أهل المغرب، وإنما هو من أهل ما بينهما. والراجح أنه ليس من أذواء اليمن، ولا كيقباء من ملوك العجم، ولا هو إسكندر بن فيلقوس، بل ملك آخر من الصالحين، ينتهي نسبه إلى العرب الساميين»[١].

يبدو للباحث أن الأصح في أمر ذي القرنين أنه كان رجلاً صالحًا، وكان مَلِكًا ولم يكن نبيًا ولا مَلَكاً[٢]، وهذا هو ما ذهب إليه الشيخ الكشميري.

---

(١) عقيدة الإسلام، ص ٣٥٨.

(٢) انظر: البداية والنهاية ٢/ ١٠٢، ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح، دراسة تحليلية مقارنة على ضوء القرآن والسنة والتاريخ، لمحمد خير رمضان يوسف، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

الفصل التاسع

عذاب القبر ونعيمه

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: إثبات عذاب ونعيم القبر.

المبحث الثاني: شبهة والرد عليها.

المبحث الأول

إثبات عذاب القبر ونعيمه

القبر أول منزل من منازل الآخرة، فالإنسان بعد موته وانقطاع حياته الدنيوية ينتقل إلى الدار الآخرة عن هذا الطريق في الغالب ليُجازى على أعماله، فمن كان محسنًا كافأه الله على إحسانه بالنعيم في قبره بتحويله إلى روضة من رياض الجنة، ومن كان مسيئًا عاقبه الله في قبره بتحويله إلى حفرة من حفر النار، ثم يستمر النعيم أو العذاب في القبر إلى أن تقوم الساعة ويبعث الناس من قبورهم للحساب، ثم إلى الجنة أو إلى النار.

والشيخ الكشميري -رحمه الله- يقرر ويثبت عذاب القبر فهو يقول عن ذلك:

«وهو -عذاب القبر- ثابت عند أهل السنة والجماعة»[(١)].

ويقول عن تفسير قول الله تعالى: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا**﴾[(٢)]: «وهذا في القبر»[(٣)].

والقبر هو أول منزل من منازل الآخرة، ويبدأ النعيم أو العذاب من القبر ثم يتم عند دخول الجنة أو النار، يقول عن ذلك الشيخ الكشميري:

«والحاصل أن شيئًا من العذاب يبدأ من القبر، ثم يتم العذاب عند دخوله جهنم، كما قال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾[(٤)]»[(٥)].

---

(١) فيض الباري ٢/ ٤٩٢.

(٢) سورة غافر، الآية: ٤٦.

(٣) فيض الباري ٢/ ٤٩٢.

(٤) سورة غافر، الآية: ٤٦.

(٥) فيض الباري ٢/ ٤٩٢.

ويبدو من هذه النصوص أن الشيخ الكشميري -رحمه اللّه- يقرر ويثبت عذاب ونعيم القبر ، وهو معتقد علماء أهل السنة والجماعة - كما ذكره الشيخ الكشميري في النص السابق ذكره، وهذه بعض أقوال علماء وأئمة أهل السنة :

١- قال الإمام أحمد بن حنبل -رحمه اللّه- :

«عذاب القبر حق، لا ينكره إلا ضال مضل»(١) .

٢- وقال أبو الحسن الأشعري :

«الإجماع التاسع والثلاثون : وأجمعوا على أن عذاب القبر حق، وأن الناس يفتنون في قبورهم بعد أن يحيون فيثبت اللّه من أحب تثبيته»(٢) .

٣- وقال محمد بن الحسين الآجري بعد أن سرد الأحاديث والآثار التي تدل على ثبوت عذاب القبر ونعيمه :

«ما أسوأ حال من كذب بهذه الأحاديث، لقد ضل ضلالاً بعيدًا، وخسر خسرانًا مبينًا»(٣) .

٤- وقال ابن عبد البر بعد أن ذكر حديث التعوذ من عذاب القبر :

«وفي هذا الحديث الإقرار بعذاب القبر، ولا خلاف بين أهل السنة في جواز تصحيحه، واعتقاد ذلك، والإيمان به»(٤) .

---

(١) طبقات الحنابلة ١/ ٦٢، للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.

(٢) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق ودراسة : عبد اللّه شاكر محمد الجنيدي، ص ١٥٩، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤١٣هـ.

(٣) كتاب الشريعة للإمام المحدث أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، دراسة وتحقيق : د. عبد اللّه ابن عمر بن سليمان الدميجي، ٣/ ١٢٨٧، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

(٤) التمهيد ١٢/ ١٨٦.

٥- وقال الإمام الطحاوي :

«ونؤمن . . . . وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً ، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة رضوان الله عليهم ، والقبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النيران»(١) .

٦- وقال ابن القيم بعد روايته لبعض أحاديث القبر :

«وهذا كما أنه مقتضى السنة الصحيحة فهو متفق عليه بين أهل السنة»(٢) .

أدلة أهل السنة والجماعة:

استدل أهل السنة والجماعة على إثبات عذاب القبر ونعيمه بنصوص من الكتاب العزيز والسنة المطهرة .

أولا : من القرآن الكريم :

١- وقوله تعالى : ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾(٣) .

قال قتادة : «يقال لهم : هذه منازلكم توبيخًا ونقمة وصغارًا»(٤) .

وقال الحافظ ابن كثير :

«هذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور ، وهي قوله تعالى : ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا**﴾(٥) .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٣٩٦ .

(٢) الروح للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، ص ٧٦ ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .

(٣) سورة غافر ، الآية : ٤٦ .

(٤) الدر المنثور ، للسيوطي ٥/ ٣٥٤ .

(٥) تفسير القرآن العظيم ، للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ٦/ ١٤٢ .

٢- قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّـٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾[١].

وقد ورد عن النبي ﷺ بأنها نزلت في عذاب القبر، فعن البراء بن عازب رضي اللّه عنهما، عن النبي ﷺ قال: «إذا أقعد المؤمن في قبره أتى ثم شهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه، فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾. وزاد شعبة "يثبت اللّه الذين آمنوا، نزلت في عذاب القبر»[٢].

٣- وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣].

قال ابن جرير الطبري: «اختلف أهل التأويل في العذاب الذي توعد اللّه به هؤلاء الظلمة دون يوم الصعقة، فقال بعضهم: هو عذاب القبر، ونقل هذا عن البراء بن عازب وابن عباس رضي اللّه عنهم»[٤].

ثانيًا: من السنة المطهرة:

١- ما روى أنس بن مالك رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم فيأتيه ملكان فيقعدانه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل -لمحمد ﷺ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد اللّه ورسوله، فيقول له: انظر إلى مقعدك من النار، أبدلك اللّه به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً.

وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل، فيقول: لاأدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال له: لا دريت ولا تليت، ويضرب

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

(٢) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر ٢/ ١٠١.

(٣) سورة الطور، الآية: ٤٧.

(٤) جامع البيان ١١/ ٢٢.

بمطرقة من حديد ضربةً، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين»[١].

قال الحافظ ابن حجر عند شرح هذا الحديث وغيره:

«وفي أحاديث الباب من الفوائد: إثبات عذاب القبر، وأنه واقع على الكفار، ومن شاء الله من الموحدين»[٢].

٢- حديث عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها، فذكرت عذاب القبر، فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن عذاب القبر، فقال: نعم، عذاب القبر. قالت عائشة رضي الله عنها: فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلّى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر»[٣].

٣- حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر النبي ﷺ على قبرين، فقال: إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، ثم قال: بلى، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما أحدهما فكان لا يستتر من بوله، قال: ثم أخذ عوداً رطبًا فكسره باثنتين، ثم غرز كل واحد منهما على قبر، ثم قال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا»[٤].

ولا يخفى ما في الحديثين من وجه الاستدلال على عذاب القبر.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب الميت يسمع خفق النعال ٢/ ٩٢.

(٢) فتح الباري ٣/ ٢٨٣.

(٣) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر ٢/ ١٠١.

(٤) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر من الغيبة والبول ٢/ ١٠٣.

المبحث الثاني

شبهة والرد عليها

هناك من ينكر عذاب القبر كالجهمية، وضرار بن عمرو من المعتزلة، فقالوا: إن الميت صار جمادًا لا حسّ فيه ولا حياة، فكيف ينعم أو يعذب؟ فإن النعيم إدراك اللذة، والعذاب إدراك الألم، وذلك يكون مع الحياة، ولا تتصور الحياة في من صار جمادًا.(١)

ذكر الشيخ الكشميري هذه الشبهة وتولى الرد عليها من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: إن ذلك غير ممتنع بل له نظير في هذا العالم أيضًا، وهو النائم، فإنه يرى في منامه ما يتلذذ ويتألم به، ولا يشعر بذلك جليسه والنائم بجنبه(٢).

الوجه الثاني: إن الشيء الواحد قد يرى صغيرًا، وقد يرى كبيرًا باعتبار آلات النظر، والشيء الواحد قد يكون ثقيلاً وقد يكون خفيفًا بحسب بُعده وقربه من تجاذب الأرض، كما أثبتت الفلاسفة، فما دام هذا الحال في هذا العالم فأي استبعاد لو رأى الميت قبره مبسوطًا أو ضيقًا.

يقول الشيخ الكشميري:

«إن أوزان الأشياء ومقاديرها ليست بأمر متعين، فإن الشيء الواحد يرى صغيرًا وكبيرًا باعتبار آلات النظر، وكذلك يختلف وزن الشيء الواحد عند وزنه بخط الاستواء ثم وزنه عند القطبين.

وقد ذكر نيوتن(٢) أن الشيء الواحد يختلف ثقلاً وخفة بحسب تجاذب

---

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة ص ٧٣٠، أصول الدين للبغدادي ص ٢٤٥.

(٢) ملفوظات الشيخ الكشميري، ص ٢٥٤.

(٣) نيوتين: عالم رياضيات، وفلكي إنجليزي، اكتشف كيفية تماسك مكونات الكون بعضها ببعض من خلال نظريته عن الجاذبية، كما اكتشف أسرار الضوء والألوان وابتكر فرعًا من الرياضيات يسمى حساب التفاضل والتكامل. مات سنة ١٧٢٧م. انظر: الموسوعة العربية العالمية ٦٥٥/٢٥.

الأرض، فإذا وزنت شيئًا على الأرض ثم وزنته في الهواء تجده أثقل، فإذا علمت أن الشيء الواحد يمكن أن يكون صغيراً وكبيراً بحسب المرآى، وكذلك اختلف وزنه بحسب اختلاف المواضع لم تبق للبصر حقيقة. فرب شيء تراه صغيراً يمكن أن يكون كبيراً في الواقع وبالعكس. فطاحت المقادير رأسًا. فأي بعد في رؤية الميت قبره القصير مبسوطًا في ستين أو سبعين ذراعًا مثلاً، فقد شاهدنا اختلاف المقادير لشيء واحد في هذا العالم، فما البعد فيه عند اختلاف العالمين؟ على أنه يمكن أن يكون في الأرض شيء يقبض ويبسط كالجسم التعليمي عند الفلاسفة، فيصير ممدوداً عند الثواب ومقبوضًا عند العذاب.

وأيضًا يمكن أن تترفع منه الحجب إلى مسافة متعينة مع بقاء في نفسه، كما ترى في بعض الآلات الجديدة - يرى منها باطن الإنسان من فوق جلده»[(١)].

الوجه الثالث: ومن الأسهل في الرد على هذه الشبهة أن نقول: إن عذاب ونعيم القبر أمور تتعلق بعالم الغيب، وإقامة الدلائل العقلية على ما في عالم الغيب جهل، يقول الشيخ الكشميري:

«إن الأسهل أن يقال: إنه من عالم الغيب، وإقامة الدلائل العقلية عليه جهل، ومن يطيق ذلك، وإنما يشتغل به من لا يعرف الفرق بين الخطابة[(٢)] والبرهان[(٣)]».

ولا يخفى أن ما ذكره الشيخ الكشميري في الوجه الثالث هو الطريق الأسلم، وهو ما ذهب إليه علماء أهل السنة والجماعة من الاعتقاد بما جاء في النصوص الصحيحة من عذاب القبر ونعيمه من دون الخوض في الكيفية.

يقول شارح الطحاوية:

---

(١) فيض الباري ٢/ ٤٧٦، ملفوظات الشيخ الكشميري، ص ٢٥٤-٢٥٥.

(٢) الخطابة: هو قياس مركب من مقدمات مقبولة أو مظنونة، والبرهان: هو قياس مركب من اليقينيات. انظر: التعريفات للجرجاني ص ٤٤، ٩٩.

(٣) فيض الباري ٢/ ٤٧٦.

«وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ذلك، والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول»(١).

---

(١) شرح العقيدة الطحاوة، ص ٣٩٩.

الفصل العاشر

الشفاعة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الشفاعة وأنواعها.

المبحث الثاني: الرد على من أنكرها.

المبحث الأول

الشفاعة وأنواعها

الشفاعة لغة: الانضمام إلى آخر ناصرًا له، وسائلا عنه، وأكثر ما تستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى.(١)

واصطلاحًا: سؤال التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم.(٢)

يقرر الشيخ الكشميري وجوب الإيمان بشفاعة النبي ﷺ يوم القيامة حيث يقول:

«يجب الإيمان بما صح ثبوته بالكتاب والأحاديث الصحيحة يوم القيامة، ومنها الشفاعة التي جاء ثبوتها بالأحاديث الصحيحة بل المتواترة»(٣).

وبهذا يوافق الشيخ الكشميري ما ذهب إليه علماء أهل السنة والجماعة من إثبات الشفاعة يوم القيامة. فهم يثبتون ما جاء في الكتاب والسنة من أنواع الشفاعة. وهذه أقوال بعضهم:

١- قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله:

«وأن الله يخرج أقوامًا من النار بشفاعة محمد ﷺ»(٤).

٢- عقد ابن خزيمة بابًا مطولاً بعنوان: "باب ذكر أبواب شفاعة النبي ﷺ التي خص بها دون الأنبياء سواه صلوات الله عليهم لأمته، وشفاعة النبي ﷺ دون غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم، وشفاعة بعض أمته لبعض أمته ممن أوبقتهم خطاياهم وذنوبهم، فأدخلوا النار ليخرجوا منها بعد ما قد عذبوا فيها بقدر ذنوبهم وخطاياهم التي لا يغفر الله لهم، ولم يتجاوز لهم عنها بفضله

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن، ص ٤٥٧.

(٢) النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير ٢/ ٤٨٥.

(٣) أنوار الباري، لأحمد رضا البجنوري ٣/ ١٩٦.

(٤) طبقات الحنابلة ١/ ٣٤٤.

وجوده بالله نتعوذ من النار "(١).

ثم ساق الأحاديث والآثار المتعلقة بالشفاعة يوم القيامة.

٣- قال أبو الحسن الأشعري:

الإجماع الثاني والأربعون: «وأجمعوا على أن شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمتي، وعلى أنه يخرج من النار قومًا من أمته بعد ما صاروا حمما فيطرحون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل»(٢).

٤- قال الآجري:

«قد روي من غير وجه أن النبي ﷺ يشفع يوم القيامة لجميع ذرية آدم عليه السلام من الموحدين بأن يخرج من النار كل موحد، ثم يشفع آدم عليه السلام، ثم الأنبياء، ثم الملائكة، ثم المؤمنون، فنعوذ بالله ممن يكذب بهذا، لقد ضل ضلالاً بعيدًا وخسر خسرانًا مبينًا»(٣).

٥- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«وأما شفاعته لأهل الذنوب من أمته فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم، وأنكرها كثير من أهل البدع من الخوارج والمعتزلة والزيدية»(١).

٦- وقال السفاريني:

«شفاعة النبي ﷺ نوع من السمعيات، وردت بها الآثار حتى بلغ مبلغ التواتر المعنوي، وانعقد عليها إجماع أهل الحق من السلف الصالح قبل ظهور

---

(١) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، لإمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة ٢/٥٨٨، تحقيق: د. عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٢) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، لأبي الحسن الأشعري، ص ١٦٤.

(٣) الشريعة ٣/١٢٣٨.

(٤) مجموع الفتاوى ١/١٤٨.

المبتدعة»[١] .

أدلة ثبوت الشفاعة:

استدل علماء أهل السنة والجماعة على ثبوت الشفاعة للنبي ﷺ ولغيره من الشافعين بنصوص من الكتاب العزيز والسنة المطهرة .

أولا : من الكتاب العزيز:

١- قال اللّه تعالى : ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلا بِإِذْنِهِ﴾[٢] .

٢- وقال اللّه تعالى : ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾[٣] .

٣- وقال اللّه تعالى : ﴿وَكَمْ مِن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾[٤] .

إن هذه الآيات واضحة في الاستدلال على الشفاعة يوم القيامة بعد الإذن والرضا من اللّه عز وجل .

ثانياً: من السنة المطهرة:

١- عن أنس بن مالك -رضي اللّه عنه- قال : قال رسول اللّه ﷺ : «أنا أول الناس يشفع في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعًا»[٥] .

٢- وعن أبي هريرة -رضي اللّه عنه- أن رسول اللّه ﷺ قال : «لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبي دعوته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلة إن شاء اللّه من مات من أمتي لا يشرك باللّه شيئًا»[٦] .

---

(١) لوامع الأنوار ٢/ ٢٠٨ .

(٢) سورة البقرة، الآية : ٢٥٥ .

(٣) سورة يونس، الآية : ٣.

(٤) سورة النجم، الآية : ٢٦ .

(٥) رواه مسلم في كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ : أنا أول الناس يشفع في الجنة ١/ ١٨٨ .

(٦) رواه مسلم في كتاب الإيمان ، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته ١/ ١٨٩ .

٣- وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه أنه قال: مَن أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث. أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا اللّه خالصًا من قبل نفسه»[١].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار ٧/ ٢٠٤.

أنواع الشفاعة

لقد ذكر الشيخ الكشميري -رحمه اللّه- في حديثه عن الشفاعة بعض أنواع الشفاعة، وهي ما يلي:

١- الشفاعة الكبرى في الخلائق كلهم من المؤمنين والمشركين والمنافقين للقضاء بينهم يوم القيامة ليتخلصوا من هول الموقف حين يكونون مجتمعين في صعيد واحد، وتدنو الشمس، فيبلغون من الهم والكرب ما لا يطيقون ولا يتحملون، ويطلبون من الأنبياء أن يشفعوا لهم إلى اللّه في تخليصهم من كربات هذا اليوم العظيم، وينتهي السؤال إلى محمد ﷺ فيقول: أنا لها، فيحمد اللّه ويثني عليه بكلمات تلقى إليه، ويخرّ ساجداً للّه تعالى. فيقول اللّه تعالى: يا محمد ارفع رأسك، سل تعط، واشفع تشفع.

٢- شفاعته ﷺ لأهل الكبائر من الأمة ممن دخل النار ليخرجوا منها.

٣- شفاعته ﷺ للمؤمنين ليدخلوا الجنة بغير حساب.

٤- شفاعته ﷺ في رفع درجات المؤمنين فوق ما كانت تقتضيه أعمالهم.

٥- شفاعته ﷺ للذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع لهم ليدخلوا الجنة»[١].

إن هذه الأنواع كلها قد ذكرها علماء أهل السنة والجماعة[٢]، وبسطوا القول فيها، وهي كلها ثابتة بالنصوص.

١- أما الشفاعة الأولى الكبرى فقد جاء ذكرها في حديث أبي هريرة -رضي اللّه عنه- الطويل، قال رسول اللّه ﷺ: «أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مِمَّ ذاك؟ يجمع الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد

---

(١) أنوار الباري في شرح صحيح البخاري من إفادات الشيخ محمد أنور شاه الكشميري ٣/ ١٩٦-١٩٧.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية من ص ٢٢٩ إلى ٢٣٥.

يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم، ثم ذكر أنهم يأتون آدم ونوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وكلهم يقول: اذهبوا إلى غيري، فيأتوني ويقولون: يا محمد أنت رسول اللّه وخاتم الأنبياء، وقد غفر اللّه لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه. فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجدًا لربي، ثم يفتح اللّه علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلي. ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأقول: أمتي يا رب أمتي يا رب . . . الحديث»[1].

٢- وأما شفاعته ﷺ لأهل الكبائر من الأمة، فقد جاء ذكرها في حديث أنس بن مالك رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»[2].

٣- وأما شفاعته ﷺ للمؤمنين لدخول الجنة بغير حساب، فقد جاء ذكرها في دعاء النبي ﷺ لعكاشة بن محصن[3] أن يكون ضمن السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فعن أبي هريرة -رضي اللّه عنه- أن النبي ﷺ قال: يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفًا بغير حساب، فقال رجل:

---

(١) رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدًا شكورًا ٥/ ٢٢٥، ورواه الترمذي في سننه، كتاب أبواب صفة القيامة، باب ما جاء في الشفاعة ٤/ ٦٢٢.

(٢) رواه أبو داود برقم: ٤٧٣٩، في كتاب السنة، باب الشفاعة، ورواه ابن ماجه عن جابر رضي اللّه عنه برقم: ٤٣١٠ في كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة ٢/ ١٤٤١، وفيه: إن شفاعتي يوم القيامة لأهل الكبائر، قال الألباني: حديث صحيح، وله طرق وشواهد.

(٣) صحابي جليل من السابقين الأولين البدريين، قد أبلى يوم بدر بلاء حسنًا، وانكسر سيفه في يده، فأعطاه النبي ﷺ عرجونًا من نخل أو عودًا فعاد بإذن اللّه في يده سيفًا، فقاتل به، قتله طليحة في حروب الردة في خلافة أبي بكر رضي اللّه عنه سنة ١٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١/ ٣٠٧.

يا رسول اللّه! ادع اللّه أن يجعلني منهم. قال: اللّهم اجعله منهم. ثم قام آخر فقال: يا رسول اللّه أدع اللّه أن يجعلني منهم. قال: سبقك بها عكاشة»[١].

٤- وأما شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم، فيدل عليها حديث أم سلمة رضي اللّه عنها قالت: دخل رسول اللّه ﷺ على أبي سلمة وقد شُقَّ بصره، فأغمضه ثم قال: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر، فضجّ ناس من أهله، فقال: لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يُؤَمِّنُون على ما تقولون، ثم قال: «اللّهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره، ونور له فيه»[٢].

٥- وأما شفاعته ﷺ لقوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم ليدخلوا الجنة، فيدل عليها قول ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: «السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد برحمة اللّه، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد ﷺ»[٣].

ولا يخفى مما ذكرت أن هذه الأنواع كلها للشفاعة ثابتة ومدعمة بالنصوص الصحيحة، وبهذا تظهر موافقة الشيخ الكشميري -رحمه اللّه- لأهل السنة والجماعة.

ومما يجدر بالذكر أن عدم ذكره لبعض أنواع الشفاعة لا يدل على إنكار هذه الأنواع. فإن الشيخ الكشميري لعله لم يقصد الاستقصاء في بيان الأنواع عند حديثه عن الشفاعة.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ١/ ١٩٧.

(٢) رواه مسلم في كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حُضر ١/ ٦٣٤.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير ١١/ ١٨٩، رقم الحديث: ١١٤٥٤، وفي سنده موسى بن عبدالرحمن، قال الذهبي عنه في الميزان: معروف، ليس بثقة. وقال ابن حبان: دجال. وقال ابن عدي: منكر الحديث، وعد هذا الخبر من منكراته. وقال الهيثمي: وفيه موسى بن عبدالرحمن الصنعاني وهو وضّاع. مجمع الزوائد ١٠/ ٣٧٨.

المبحث الثاني
الرد على من أنكر الشفاعة

بعد أن ذكرت الشفاعة وأنواعها، وثبوتها بالنصوص الصحيحة، ومذهب أهل السنة والجماعة في ثبوت الشفاعة، وموافقة الشيخ الكشميري لمذهب أهل السنة والجماعة فيها. أذكر هنا من ذهب إلى إنكارها، ثم أعقب بالردّ عليهم.

وممن أنكر الشفاعة الجهمية والمعتزلة والخوارج[١]، ومن سلك سبيلهم.

أما الجهمية: فقد أنكرت الشفاعة أصلاً، وقالوا: ليس هناك شفاعة أصلاً سواء لأهل الكبائر أو الصغائر، ولا لزيادة الثواب. ويظهر من كلام الجهمية أنهم ينكرون الشفاعة مطلقًا، فلا يثبتون لمحمد ﷺ أي نوع من أنواع الشفاعة التي صح بها الخبر عن الرسول ﷺ - كما سبق أن ذكرت.

وقد جاءت الأحاديث الكثيرة صحيحة وصريحة في ثبوت الشفاعة -كما سبق بيانها- وإنما أنكرتها الجهمية تكبرًا وعنادًا لزيغ في قلوبهم، والعياذ بالله من الزيغ والضلال.

وأما المعتزلة والخوارج ومن وافقهم: فقد ذهبوا إلى أن شفاعة المصطفى ﷺ إنما تكون للمستحقين للثواب، بأن تحصل لهم بالشفاعة زيادة في الثواب على القدر الذي استحقوه، ولا تكون لأهل الكبائر الذين لم يتوبوا إلى الله مما ارتكبوه، فاستحقوا بذلك العقاب من الله تعالى. بناء على مذهبهم أن فاعل الكبيرة مخلد في النار، فلا تنفعه شفاعة.

---

(١) الخوارج: هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب بعد قبوله التحكيم عقب معركة صفين، حيث اعتبروا التحكيم خطيئة تؤدي إلى الكفر، ومن ثم طلبوا من علي أن يتوب من هذا الذنب، وانتهى بهم الأمر إلى الخروج عليه مما اضطره إلى قتالهم بعد أن قطعوا الطريق، وقتلوا عبد الله بن خباب بن الأرت. انظر: الملل والنحل، للشهرستاني، ص ١١٤.

واستدلوا على ما ذهبوا إليه بما يلي:

١- قال اللّه تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[(١)].

استدلوا بهذه الآية على نفي الشفاعة لأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: قوله تعالى: ﴿لا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾ المقصود من الآية عندهم أن لا تتحمل أي نفس عن أي نفس شيئًا من الجزاء أو تعفيها عنه، فذلك من حق اللّه لما تقرر عندهم من وجوب الوعد والوعيد.[(٢)]

الوجه الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـعَةٌ﴾. شفاعة نكرة في سياق النفي، فتعم جميع أنواع الشفاعة، فتكون الشفاعة مطلقًا في حق المذنب غير مقبولة.

الوجه الثالث: قوله تعالى: ﴿ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ﴾. يقولون في هذه الآية: لو كان محمد شفيعًا لأحد من العصاة المرتكبين للكبائر لكان ناصرًا لهذا العاصي، وهذا ما نفته الآية بصريح اللفظ، فكيف نثبته؟.

ويكون الرد عليهم من وجهين:

الوجه الأول: إن الآية نزلت في شأن اليهود الذين زعموا أن آباءهم سوف يشفعون لهم.

الوجه الثاني: إن ظاهر الآية يقتضي نفي الشفاعة مطلقًا، إلا أن المعتزلة اتفقوا مع أهل السنة على تخصيص ظاهر الآية، حيث قالوا بالشفاعة لزيادة الثواب لأهل الطاعة من الأمة المحمدية. وإذا حق لهم أن يخصصوا ظاهر الآية لنا أيضًا أن نخصص عموم الآية بالشفاعة في حق المسلم المرتكب لكبيرة،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٨.

(٢) شرح الأصول الخمسة، ص ٦٨٩.

وذلك بالأحاديث الواردة في هذا الشأن .[١]

٢- قال اللّه تعالى : ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَـٰلِداً فِيهَا﴾[٢] .

ومعنى الآية -حسب ما زعموا- أن اللّه تعالى أخبر أن العصاة يعذبون بالنار، ويخلدون فيها بنص هذه الآية . والعاصي اسم يتناول الفاسق من أمة محمد ﷺ كما يتناول الكافر، فيجب حمله عليهما؛ لأن اللّه لو أراد أحدهما دون الآخر لبيّن ذلك، لكنه لم يبيّن فدلّ على ما ذكروا .[٣]

ومثل هذه الآية : ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ﴾[٤] . فالمجرم اسم عام يتناول الفاسق والكافر، فيجب أن يكونا مرادين بالآية، معذّبَيْن بالنار؛ لأنه تعالى لو أراد أحدهما لبيّنه، فلما لم يبيّنه دلّ على أنه أرادهما جميعًا .[٥]

وخلود العصاة والمجرمين في النار يتنافى مع القول بالشفاعة لإخراجهم منها .

وأجاب أهل السنة بأن مثل هذه الآيات نزلت في حق الكفار، وعلى التسليم في أنها نزلت في أعم من ذلك، فقد ثبت تخصيص الموحدين بالإخراج .[٦]

٣- قال اللّه تعالى : ﴿مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[٧] .

---

(١) انظر : التفسير الكبير للفخر الرازي ٣/ ٥٦ .

(٢) سورة النساء، الآية : ١٤ .

(٣) شرح الأصول الخمسة، ص ٦٥٧ .

(٤) سورة الزخرف، الآية : ٧٤ .

(٥) شرح الأصول الخمسة، ص ٦٦٠ .

(٦) فتح الباري ١١/ ٤٤٠، التفسير الكبير، للإمام الفخر الرازي ٩/ ٢٢٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة .

(٧) سورة غافر، الآية : ١٨ .

قالوا: إن الظالم هو الذي يأتي بالظلم، والظلم قد يكون من المسلم كما يكون من الكافر، فلذلك قلنا: إنه شامل لهما.[(١)]

وقد أجاب أهل السنة والجماعة بأنه نقيض لقولنا: للظالمين حميم وشفيع، لكن قولنا: للظالمين حميم وشفيع موجبة كلية، ونقيض الموجبة الكلية سالبة جزئية، والسالبة الجزئية يكفي في صدقها تحقق ذلك السلب في بعض الصور، ولا يحتاج فيه إلى تحقق ذلك السلب في جميع الصور، وعلى هذا فنحن نقول بموجبه؛ لأن عندنا أنه ليس لبعض الظالمين حميم، ولا شفيع يجاب، وهم الكافرون. فأما أن يحكم على كل واحد منهم بسلب الحميم والشفيع فلا.[(٢)]

٤- قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ﴾[(٣)].

يقولون: إن ظاهر الآية يفيد نفي الشفاعة كليةً؛ لأن كلمة "شفاعة" نكرة، وهي واقعة في سياق النفي، فتعم كما هو معروف في علم النحو، فتكون الشفاعة منفية بأنواعها.[(٤)]

وأجاب أهل السنة بقولهم: هَبْ أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب إلا أن تخصيص مثل هذا العام بذلك السبب المخصوص يكفي فيه أدنى دليل، فإذا قامت الدلائل الدالة على وجود الشفاعة وجب المصير إلى تخصيصها.[(٥)]

٥- قال تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[(٦)].

---

(١) التفسير الكبير، لفخر الرازي ٣/ ٦٥.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٤.

(٤) التفسير الكبير، لفخر الرازي ٣/ ٦٥.

(٥) المصدر نفسه والصفحة.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٧٠.

قالوا: لو كان الرسول يشفع للفاسق كما يقول أهل السنة والجماعة لكان الرسول ناصراً للظالمين مع أن الآية نفت أن يكون للظالمين نصير؛ لأن الشفاعة نصر، تخلصهم من العذاب، فأيّ نصر بعد هذا؟.

وأجاب أهل السنة عن هذا الاستدلال بأن قوله: ﴿مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ نقيض لقولنا: للظالمين أنصار، وهذه موجبة كلية، فقوله: ﴿وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ سالبة جزئية، فيكون مدلوله سلب العموم، وسلب العموم لا يفيد عموم السلب.[١]

وأما الأحاديث التي جاء فيها ذكر شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته فالمعتزلة لا يقرون بصحة ثبوتها، وعلى فرض صحتها فهي منقولة بطريق الأُحاد عن النبي ﷺ، فلا يصح الاحتجاج بها. أو المراد بهذه الأحاديث شفاعته ﷺ لأهل الكبائر إذا تابوا.[٢]

ويرد عليهم الفخر الرازي بقوله: «أجاب أصحابنا عن هذه المطاعن بأن كل واحد من هذه الأخبار وإن كان مرويًا بالآحاد إلا أنها كثيرة جدًا، وبينهما قدر مشرك واحد، وهو خروج أهل العقاب من النار بسبب الشفاعة فيصير هذا المعنى مرويًا على سبيل التواتر، فيكون حجة.

والجواب على جميع أدلة المعتزلة بحرف واحد، وهو أن أدلتهم على نفي الشفاعة تفيد نفي جميع أقسام الشفاعات، وأدلتنا تفيد إثبات شفاعة خاصة، والعام والخاص إذا تعارضا قدم الخاص على العام، فكانت دلائلنا مقدمة على دلائلهم»[٣].

ويقول الإمام النووي في معرض الرد على المعتزلة:

«أما تأويلهم أحاديث الشفاعة بكونها في زيادة الدرجات فباطل، وألفاظ

---

(١) التفسير الكبير ٣/ ٦٥.

(٢) شرح الأصول الخمسة، ص ٦٩٠-٦٩١.

(٣) التفسير الكبير ٣/ ٦٥.

الحديث في الكتاب وغيره صريحة في بطلان مذهبهم وإخراج من استوجب النار»[١].

ويظهر لي من تتبع كتب الشيخ الكشميري أنه لم يتعرض بالرد على المنكرين للشفاعة صراحةً، إلا أن إثباته للشفاعة مع أنواعها هو رد على من ينكرون الشفاعة أصلاً، أو ينكرون بعض أنواعها.

---

(١) شرح مسلم للنووي ٣/ ٣٥.

التوسل

اضطرب الناس في مسألة التوسل، وحكمها في الدين اضطرابًا كثيرًا، واختلفوا فيها اختلافًا كثيرًا بين محلل ومحرم، وبين مغال ومتساهل. والذي يظهر بعد تتبع ما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة أن هناك ثلاثة أنواع للتوسل شرعها الله تعالى، وحث عليها وهي:

١- التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه، أو بصفة من صفاته.

٢- التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح قام به المتوسل.

٣- التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح.

وأما ماعدا هذه الأنواع فلم يرد فيه دليل تقوم به الحجة.

والشيخ الكشميري عند ما تناول هذه المسألة بالذكر فلم يصرح برأيه. فعند شرحه حديث العباس بن عبد المطلب في الاستسقاء يذهب إلى أن التوسل هو التوسل بالدعاء، وليس هو التوسل المعهود الذي يكون بالغائب؛ لأنه لو كان فيه التوسل المعهود لما احتاج الصحابة -رضي الله عنهم- إلى الذهاب بالعباس بن عبد المطلب، ولكفى لهم التوسل بنبيهم ﷺ بعد وفاته أيضًا.

وبعد ذكر هذه المسألة ذكر الشيخ الكشميري -رحمه الله- رأي شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في هذه المسألة ومابنى عليه شيخ الإسلام هذه المسألة. فهو يقول:

«قوله: إنَّا كُنَّا نتوسل إليك بنبينا...» ليس فيه التوسل المعهود الذي يكون بالغائب حتى قد لا يكون به شعور أصلاً، بل فيه توسل السلف وهو أن يقدم رجلاً ذا وجاهة عند الله تعالى ويأمره أن يدعو لهم، ثم يحيل عليه في دعائه كما فعل بالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي ﷺ. ولو كان فيه توسل المتأخرين لما احتاجوا بإذهاب العباس رضي الله عنه معهم، ولكفى لهم التوسل بنبيهم بعد وفاته أيضًا، أو بالعباس رضي الله عنه مع عدم شهوده

معهم، وهذا النحو جائز عند المتأخرين، ومنع منه الحافظ ابن تيمية رحمه الله. وإني متردد فيه؛ لأنه أتى بعبارة عن الإمام من تجريد القدوري أن الإقسام على الله بغير أسمائه لا يجوز.[١] فتمسك بنفي الإقسام على نفي التوسل، فإن كان التوسل إقسامًا فالمسألة كما ذهب إليه ابن تيمية رحمه الله، وإن لم يكن إقسامًا يبقى جائزًا»[٢].

إن هذا النص يدل على أن التوسل إن كان إقسامًا على الله فلا يجوز، وإن لم يكن إقسامًا فلا بأس به عند الكشميري، والشيخ الكشميري لم يبين رأيه بوضوح.

ويتمسك البعض على جواز التوسل بهذا الحديث «إنما ترزقون بضعفائكم»[٣]. فيرد عليهم الشيخ الكشيميري قائلاً:

وأما التمسك بقوله ﷺ: «إنما ترزقون بضعفائكم» فليس بناهض؛ لأنه ليس على التوسل بل معناه أن الله تعالى يرزفكم برعاية الضعفاء، والرعاية لكونهم فيكم، لا للتوسل اللساني فقط، اللّهم ارزقنا بوسيلة فلان»[٤].

وعلى كل فمن الصعب للباحث استنتاج رأي الشيخ الكشميري في مسألة التوسل لعدم الوضوح. والله أعلم.

---

(١) انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية ص ١٦٠، المكتبة العلمية، بيروت.

(٢) فيض الباري ٢/ ٣٧٩.

(٣) روى البخاري بسنده عن مصعب بن سعد، قال: رأى سعد رضي الله عنه أن له فضلاً على من دونه، فقال النبي ﷺ: هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم، كتاب الجهاد، باب من استعان بالضعفاء ٤/ ٢٢٥، وروى أبو داود في كتاب الجماد، باب الانتصار برذل الخيل والضعفة ٢/ ٧٣، والترمذي في كتاب الجهاد، باب ما جاء في الاستفتاح بصعالين المسلمين ٤/ ٢٠٦، وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) فيض الباري ٢/ ٣٧٩.

الخاتمة

الخاتمة

بعد أن ساقني توفيق اللّه عز وجل إلى إتمام هذا البحث عن شخصية الشيخ المحدث محمد أنور شاه الكشميري وآرائه الاعتقادية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة فقد توصلت إلى أهم النتائج التالية :-

١- فساد الأحوال السياسية والدينية والاجتماعية في العصر الذي عاش فيه الكشميري في بلاد كشمير، وذلك لاستيلاء حكومة دوجرا عليها، وسيطرة الإنجليز على الهند، وعملهم الحثيث على زلزلة الحياة الإسلامية على مستوى الفرد والجماعة.

٢- إن الشيخ محمد أنور شاه الكشميري أقبل على العلم والمعرفة منذ وقت مبكر، وأفنى حياته في التدريس ونشر العلوم الإسلامية، وقد ساعده ماوهبه اللّه من فرط الذكاء المدهش حتى صار علما من أعلام الهند، كما تأثر ببعض الجوانب الصوفية.

٣- اعتمد الشيخ الكشميري في ذكر المسائل الاعتقادية على الأدلة الشرعية، إلا أنه سلك في بعض المسائل مسلك الماتريدية كما يتضح من نصوصه.

٤- لم يتعرض مباشرة للتوحيد ومفهومه، وأنواعه، وأشار إلى وحدة الوجود.

٥- سلك في إثبات الصفات وتقسيمها مسلك الماتريدية والأشاعرة، وذلك متأثراً بالفكر السائد في بيئته التي عاش فيها.

٦- أثبت الرؤية للمؤمنين يوم القيامة، كما أثبت الرؤية بالعين للنبي ﷺ ليلة الإسراء، ورؤية النبي ﷺ يقظةً.

٧- وافق أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر وأفعال العباد، إلا أنه وافق الأشاعرة في مدى تأثير قدرة العبد على فعله، وقال بالكسب.

٨- أرجع الخلافات كلها بين علماء أهل السنة والجماعة في قضية الإيمان إلى

النزاع اللفظي.

٩- أثبت النبوة وختمها بالنبوة المحمدية وردّ على القاديانية قلمًا ولسانًا، وذهب إلى جواز شد الرحال لزيارة قبر النبي ﷺ.

١٠- أثبت أشراط الساعة وعذاب القبر، ورد على بعض الشبهات حول عذاب القبر، كما أثبت الشفاعة بأنواعها.

ولا شك أن الكمال للّه والعصمة له ولرسوله، والبشر معرض للخطأ والزلل، فما أصاب فيه الشيخ الكشميري فهو من اللّه عز وجل، وما أخطأ فيه فهو من نفسه ومن الشيطان.

هذه هي أهم النتائج التي وصلت إليها من خلال بحثي، واللّه أسأل أن يتقبل عملي هذا، ويجعل في موازين حسناتى يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى اللّه بقلب سليم. ورحم اللّه الشيخ الكشميري، ورفع درجته في عليين، وصلى اللّه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الآثار

فهرس الأعلام

العلـــــم	الصفحة

العلم	الصفحة
أبو موسى الأشعري، عبد الله بن قيس (رضي الله عنه).	١٤١
الميرتهي، بدر عالم.	٤٥
النانوتوي، محمد قاسم.	٣٦
النانوتوي، محمد مظهر.	٣٧
النانوتوي، يعقوب بن مملوك علي.	٣٥
الندوي، السيد سليمان بن أبي الحسن.	٧٩
النعماني، محمد منظور.	٤٨
نيوتن.	٢١٤
ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى.	٢١٣
وهب بن منبه.	٣٠٠
أبو هاشم، عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب.	١١٥
الهمداني، أبو طالب كليم.	٢٢
الهمداني، سيد علي.	٢٠

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الإبانة عن أصول الديانة:
أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، مركز شؤون الدعوة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الخامسة.
- الإحكام في أصول الأحكام:
أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- اردو دائرة معارف إسلامية:
دانش گاه پنجاب، لاهور - باكستان.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب:
أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة:
عز الدين بن الأثير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الأسس المنهجية لبناء العقيدة الإسلامية:
يحيى هاشم فرغل، دار الفكر العربي.
- الأسماء والصفات:
البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة:
زين الدين بن إبراهيم بن نجيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- الإصابة في تمييز الصحابة:

ابن حجر العسقلاني، دراسة وتحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

- اعتقاد أحمد بن حنبل:

أبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز التميمي، ملحق طبقات الحنابلة، دارالمعرفة للطباعة ونشر، بيروت – لبنان.

- الأعلام:

(قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين). خير الدين الزركلي، الطبعة الثالثة.

- إعلام الموقعين عن رب العالمين:

شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن أبي بكر، المعروف بابن قيم الجوزية، دارالجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت – لبنان.

- أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات:

زين الدين مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- الاقتصاد في الاعتقاد:

أبو حامد محمد الغزالي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

- إكفار الملحدين في ضروريات الدين:

الشيخ محمد أنور شاه الكشميري، المجلس العلمي دابهيل، سملك – الهند، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

- إكمال إكمال المعلم شرح صحيح مسلم:

أبو عبد اللّه محمد بن خلفة الرشتاني الأبيّ المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

- **أنوار أنوري:**
محمد أنوري لائل پوري، ١٩٦٨م - ١٣٨٧هـ.

- **أنوار الباري في شرح صحيح البخاري:**
من إفادات الشيخ محمد أنور شاه الكشميري، السيد أحمد رضا البجنوري، مكتبة ناشر العلوم، بجنور - الهند.

- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المعروف بتفسير البيضاوي:**
أبو ناصر الدين عبد الله بن محمد بن عمر الشيرازي البيضاوي، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت.

- **الأنور:**
عبد الرحمن كوندو، دار المصنفين، دلهي، الطبعة الرابعة ١٩٨١م.

- **إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى مذهب الحق من أصول التوحيد:**
محمد بن المرتضى اليماني، المعروف بابن الوزير، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

- **الإيمان:**
ابن تيمية، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ.

- **الإيمان بين السلف والمتكلمين:**
أحمد بن عطية الغامدي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، عام ١٣٩٧هـ.

- **البداية والنهاية:**
ابن كثير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

- **تاريخ الأدب العربي:**
أحمد حسن الزيات، دار الثقافة، بيروت، الطبعة السادسة والعشرين.

- **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي:**
الدكتور حسن إبراهيم حسن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة السابعة ١٩٦٤م.

- تاريخ الإسلام في الهند:
د. عبد المنعم النمر.

- تاريخ دار العلوم ديوبند:
السيد محبوب رضوي.

- تاريخ دمشق:
الحافظ الإمام أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبيد الشافعي، المعروف بابن عساكر، دراسة وتحقيق: محب الدين أبو سعد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

- تاريخ المذاهب الإسلامية:
الشيخ محمد أبو زهرة.

- تبصرة الأدلة في أصول الدين:
أبو معين ميمون بن محمد النسفي، تحقيق: كلود سلامة.

- تحفة الندوة:
مرزا غلام أحمد القادياني، مطبعة ضياء الإسلام، قاديان، ١٩٠٢م.

- تحية الإسلام في حياة عيسى عليه السلام:
الشيخ محمد أنور شاه الكشميري، المجلس العلمي دابهيل - الهند، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

- التدمرية:
(تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع). ابن تيمية تحقيق: محمد بن عودة السعوي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

- تذكرة الخليل:
عاشق إلهي الميرٹهي، مكتبة قاسمية، سيالكوث، ١٩٦٩م.

- تذكرة طيب:

ترتيب: محمد أبو بكر الغازيفوري، المكتبة الأثرية، قاسمي منزل، سيد واره، غازي فور – الهند.

- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة:

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر فرح الأنصاري القرطبي. دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

- تذكرة وحي مقدس:

مرزا غلام أحمد القادياني، الشركة الإسلامية، ربوة – باكستان.

- تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر وآثارهم الفقهية:

عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م..

- ترجمان السنة:

بدر عالم الميرٹهي، ندوة المصنفين، دلهي – الهند.

- ترياق القلوب:

مرزا غلام أحمد القادياني.

- التصريح بما تواتر في نزول المسيح:

الشيخ محمد أنور شاه الكشميري، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.

- تفسير القرآن العزيز:

أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: أبي تميم ياسر ابن إبراهيم، أبي بلال غنيم بن عباس غنيم، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.

- تفسير القرآن العظيم:

الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، مكتبة دار التراث، القاهرة.

- التفسير الكبير:

فخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.

- تفسير المنار:

محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد:

الإمام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية.

- تهافت الفلاسفة:

أبو حامد الغزالي، تحقيق: الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة.

- توضيح المرام:

مرزا غلام أحمد القادياني.

- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد:

الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب.

- جامع البيان في تفسير القرآن العظيم:

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار المعرفة، بيروت – لبنان.

- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم:

ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باجي، الطبعة السادسة ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

- جلاء العينين في محاكمة الأحمدين:

السيد نعمان خير الدين، الشهير بابن الآلوسي البغدادي، المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة.

- حاشية أحمد الصاوي على شرح الخريدة البهية:

المطبعة الأزهرية بمصر، الطبعة الثالثة ١٣٤٧هـ - ١٩٢٨م.

- حاشية الباجوري على متن السنوسية:

- حاشية الدسوقي على أم البراهين:

دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

- حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة:

الدكتور جميل عبد الله المصري.

- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح:

ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

- حقيقة النبوة:

مرزا بشير الدين محمود، طبعة ١٩١٥م.

- حياة أنور:

ترتيب: السيد أزهر شاه قيصر، ١٩٥٥م.

- حياة الصحابة:

الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي، تحقيق: الشيخ نايف العباس، ومحمد علي دولة، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- خاتم النبيين:

الشيخ محمد أنور شاه الكشميري، المجلس العلمي، دابهيل - الهند، ١٣٥٣هـ.

- خطبات عثماني:

مرتب: بروفيسور محمد أنوار الحسن شيركوثي، نذر سنز ٢٢١، لاهور.

- درء تعارض العقل والنقل:
ابن تيمية، تحقيق: الدكتور رشاد محمد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠١هـ.

- درّ ثمين:
مرزا غلام أحمد القادياني، مطبعة وزير هند، أمرتسر.

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور:
جلال الدين السيوطي، دار المعرفة للطباعة، بيروت.

- دعوة التوحيد (أصولها، الأدوار التي مرت بها، مشاهير دعاتها).
الدكتور محمد خليل هراس، مكتبة الصحابة، طنطا.

- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب:
قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون العميري المدني المالكي، المعروف بابن فرحون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

- ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح:
(دراسة تحليلية مقارنة على ضوء القرآن والسنة والتاريخ).
محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

- الرد على المنطقيين:
ابن تيمية، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.

- رسالة الإكليل في المتشابه والتأويل:
ابن تيمية.

- رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب:
أبو الحسن الأشعري، تحقيق ودراسة: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤١٣هـ.

- الروح:
الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر، المعروف بابن قيم الجوزية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:
أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت – لبنان.

- سنن أبي داود:
الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث، دار الدعوة، استانبول، دار سحنون، تونس.

- سنن ابن ماجه:
الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد، دار الدعوة، استانبول، دار سحنون، تونس.

- سنن الترمذي:
أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، دار الدعوة، استانبول، دار سحنون، تونس.

- سنن الدار قطني:
الإمام الكبير علي بن عمر الدار قطني، دار المحاسن للطباعة، القاهرة.

- سير أعلام النبلاء:
الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة العاشرة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

- سيرة المهدي:
مرزا بشير أحمد، الطبعة الثانية ١٩٣٥م.

- السيرة النبوية:
أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري، المعروف بابن هشام، تحقيق: الدكتور أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي للطباعة والنشر.

- شـرح أصول اعـتـقـاد أهـل الـسـنـة:
أبو القـاسم هـبـة الله الطبـري اللالكائي، تحـقـيق: الدكـتـور أحـمـد بن سـعـد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ.

- شـرح الأصول الخمسة:
القاضي عبد الجبار بن أحمد، تحقيق: الدكتور عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة مصر، الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ - ١٩٦٥م.

- شـرح جوهـرة الـتـوحـيـد:
الإمـام العـلامـة الشـيخ إبراهيم البـاجـوري، مكتبـة الغـزالي للطبـاعـة والنشـر والتوزيع، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

- شـرح جـوهـرة الـتـوحـيـد:
الشيخ عبد السلام بن إبراهيم اللقاني المالكي.

- شـرح صـحـيـح مـسـلـم:
الإمام النووي، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى.

- شـرح الـعـقـيـدة الأصـفـهـانـيـة:
ابن تيمية، تقديم: حسنين محمد مخلوف، دار الكتب الحديثة.

- شـرح الـعـقـيـدة الـطـحـاويـة:
العـلامـة ابن أبي الـعـز الحنفي، تحـقـيق: جـمـاعـة من العلمـاء، المكتب الإسـلامي، بيروت، الطبعة التاسعة ١٤٠٨هـ - ١٩٩٨م.

- شـرح الـعـقـائـد الـنـسـفـيـة:
سعد الدين التفتازاني.

- شـرح الـفـقـه الأكـبـر:
الملا علي القاري الحنفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ.

- شـرح الـقـصـيـدة الـنـونـيـة:
الدكتور محمد خليل هراس.

- شرح المقاصد:
سعد الدين التفتازاني.

- شرح المواقف:
علي بن محمد المعروف بالشريف الجرجاني، تحقيق: الدكتور أحمد المهدي.

- الشريعة:
الإمام المحدث أبو بكر محمد بن الحسين الآجري، دراسة وتحقيق: الدكتور عبدالله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى:
القاضي أبو الفضل عياض، دار الفكر، بيروت.

- الشيخ محمد أنور شاه الكشميري ومآثره العلمية:
الدكتور رضوان الله، رسالة دكتوراة، الجامعة الإسلامية عليجره، الهند.

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء:
أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

- الصحاح:
الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

- صحيح البخاري:
الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الدعوة استانبول، دارسحنون، تونس ١٤١٣هـ.

- صحيح مسلم:
الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج، دار الدعوة استانبول، دار سحنون، تونس، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

- **صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة:**
علوي بن عبد القادر السقاف.

- **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة:**
ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي دخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

- **ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة:**
الدكتور عبد الله بن محمد القرني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

- **طبقات الحنابلة:**
القاضي أبو الحسين محمد بن أبي يعلى، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.

- **العقائد النسفية:**
النسفي.

- **عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام:**
الشيخ محمد أنور شاه الكشميري، المجلس العلمي، دابهيل - الهند، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

- **عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية:**
الدكتور أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي.

- **علماء حق:**
مولانا محمد ميان.

- **علماء هند كا شاندار ماضي:**
مولانا محمد ميان.

- **العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ:**
الشيخ محمد المقبلي، مكتبة دار البيان، دمشق.

- عمدة القاري:
الحافظ بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني الحنفي، المشهور بالعيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

- غاية المرام في علم الكلام:
سيف الدين الآمدي، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة.

- الغريبين في القرآن والحديث:
أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، مكتبة نزار مصطفى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

- فتاوى ابن تيمية:
جمع: عبد الرحمن بن قاسم.

- الفتاوى الهندية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان:
جماعة من علماء الهند الأعلام، المكتبة الإسلامية، تركيا، الطبعة الثالثة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري:
الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- الفرق بين الفرق:
أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي.

- الفصل في الملل والأهواء والنحل:
ابن حزم، تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر، د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة:
أبو حامد الغزالي، تحقيق: الدكتور سليمان دنيا، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.

- فيض الباري على صحيح البخاري:
الشيخ محمد أنور شاه الكشميري، المجلس العلمي، دابهيل - الهند، الطبعة الأولى ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م.

- في العقيدة الإسلامية بين الفلسفة والمعتزلة. (تحليل ونقد)
الدكتور محمود أحمد خفاجي، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- القاديانية. دراسات وتحليل:
إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور.

- القاديانية والاستعمار الإنجليزي:
الدكتور عبد الله سلوم السامرائي، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية.

- القادياني والقاديانية: (دراسة وتحليل).
أبو الحسن علي الحسني الندوي، الدار السعودية للنشر، جدة.

- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه:
الشيخ محمد صالح بن عثيمين.

- قوة حفظ المحدثين في ضوء التاريخ:
الأستاذ محمد أبو بكر الغازيفوري، المكتبة الأثرية، غازي فور - الهند، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

- كبرى اليقينيات الكونية: (وجود الخالق وظيفة المخلوق).
محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، الطبعة الخامسة ١٣٩٧هـ.

- كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد:
إمام الحرمين الجويني، تحقيق: الدكتور محمد يوسف موسى، علي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر.

- كتاب الإيمان:
الحافظ محمد بن إسحاق بن يحيى بن مندة، تحقيق: الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقي، إحياء التراث الإسلامي الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

- كتاب البرية:
مرزا غلام أحمد القادياني.

- كتاب التعريفات:
الشريف الجرجاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل:
ابن خزيمة، تحقيق: الدكتور عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

- كتاب الدرّة فيما يجب اعتقاده:
ابن حزم، تحقيق: الدكتور أحمد بن ناصر بن محمد الحمد، الدكتور سعيد بن عبد الرحمن بن موسيالقزقي، مكتبة التراث، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- كتاب السنة:
الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن إمام أهل السنة أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق ودراسة: الدكتور محمد سعيد بن سالم القحطاني، دار ابن القيم، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

- كتاب من عاش بعد الموت:
أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد، المعروف بابن أبي الدنيا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأليف:
محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: محمد صادق قمحاوي، شركة مكتبة

ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

- كشف الأسرار شرح المصنف على المنار:

أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

- كشف الستر عن صلاة التراويح:

الشيخ محمد أنور شاه الكشميري، المجلس العلمي، دابهيل - الهند.

- كفاح المسلمين في تحرير الهند:

الدكتور عبد المنعم النمر.

- الكليات: (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية).

أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

- الكواشف الجلية عن معاني الواسطية:

عبد العزيز المحمد السلمان، الطبعة الحادية عشر ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

- لسان العرب:

ابن منظور، دار صادر، بيروت.

- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية:

محمد بن أحمد السفاريني الأثري الحنبلي.

- ماساة كشمير المسلمة:

دكتور إحسان حقي.

- مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار:

الشيخ محمد طاهر الصديقي الفتني الهندي، مكتبة دار الإيمان، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد:

الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش،

دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية:

جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، وابنه محمد.

- مختار الصحاح:

محمد بن أبي بكر الرازي، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن قيم الجوزية.

اختصره: محمد الموصلي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين:

الإمام ابن قيم الجوزية، دار التراث العربي، القاهرة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

- مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات:

ابن حزم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح:

علي بن سلطان محمد القاري.

- المستدرك على الصحيحين:

الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

- مشكلات القرآن:

الشيخ محمد أنور شاه الكشميري، المجلس العلمي، دابهيل - الهند، الطبعة الثانية ١٩٧٤م.

- المصباح المنير:

العلامة أحمد بن محمد علي المقري الفيومي.

- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد:
الشيخ حافظ بن أحمد حكمي.

- معالم التنزيل، الشهير بتفسير البغوي:
أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، دار المعرفة، بيروت - لبنان.

- معالم السنن:
أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

- معجم الأعلام: (معجم تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين).
بسام عبد الوهاب الجالي، الجفان والجابي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- المعجم الوسيط:
مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية.

- المغني:
موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، دار الفكر.

- مفتاح دار السعادة:
ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

- مفردات ألفاظ القرآن:
العلامة الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

- المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم:
أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، تحقيق: محي الدين ديب مستو وغيره من العلماء، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

- مقاصد الطالبين:

سعد الدين التفتازاني.

- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين:

أبو الحسن الأشعري، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت.

- الملل والنحل:

محمد عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

- ملفوظات المحدث الكشميري:

ترتيب: السيد أحمد رضا البجنوري، بيت الحكمة، ديوبند - الهند.

- منهاج السنة النبوية:

ابن تيمية، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

- المواقف في علم الكلام:

القاضي عبد الرحمن الإيجي، عالم الكتب، بيروت.

- المواهب اللدنية:

القسطلاني، دار المعرفة، بيروت - لبنان ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

- الموسوعة العالمية العربية.

مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

- الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة:

الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

- الموطأ:

الإمام مالك، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

- موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين:
مصطفى صبري، المكتبة الإسلامية، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م.

- النبوات:
ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

- النبوة والأنبياء في ضوء القرآن:
أبوالحسن علي الحسني الندوي، دار القلم، دمشق، بيروت.

- النبي والرسول:
الدكتور أحمد بن ناصر بن محمد الحمد.

- النجاة:
ابن سينا، الطبعة الثانية ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م.

- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر:
العلامة الشريف عبد الحي بن فخرالدين الحسني، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن - الهند، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

- نظرة على المذهب البريلوي:
محمد عبد الله الغازيفوري، المكتبة الأثرية، غازي فور - الهند.

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب:
الشيخ أحمد بن محمد المقرمي التلمساني، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دارصادر، بيروت، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

- نفحة العنبر:
الشيخ محمد يوسف البنوري، المجلس العلمي كراتشي، باكستان، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

- نقش حياة:
السيد حسين أحمد المدني، دار الإشاعة، كراتشي ١٩٧٩م.

- نقش دوام:

السيد أنظر شاه مسعودي، شاه اكيڈمي، ديوبند، الطبعة الثانية ١٩٩٦م.

- نقوش رفتگان:

محمد تقي العثماني، مكتبة جاويد، ديوبند ١٩٩٤م.

- نهاية الإقدام في علم الكلام:

محمد عبد الكريم الشهرستاني.

- النهاية في غريب الحديث والأثر:

مجد الدين المبارك بن محمد الجزري، الشهير بابن الأثير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

- نور الحق:

مرزا غلام أحمد القادياني.

- الهند في العهد الإسلامي:

العلامة السيد عبد الحي الحسني.

- الوصية الكبرى:

ابن تيمية.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان:

أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، الشهير بابن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة